الحديثُ النّبَوي والأدبُ العربَي عِندَ العالِم الهندي مُحمّد أنور شاه الكشميري

تأليف

الدكتور محمد أجمل

97

الحَديث النبوي والأدب العربي
عند العالم الهندي
محمد أنور شاه الكشميري

تأليف

الدكتور محمد أجمل

مؤسسة براون بوك للطباعة والنشر الخاصة المحدودة
نيودلهي

الحَديثُ النّبَويّ والأدبُ العربي عِندَ العالِمِ الهنديْ

مُحمّد أنورْ شاهْ الكشميريْ

ISBN: 978-93-83558-40-7

ایڈیشن	:	2015
تعداد	:	500
قیمت	:	144
مطبع	:	جے۔ کے۔ آفسیٹ، دہلی۔ 110006
ناشر	:	الدکتور محمد أجمل

(یہ کتاب قومی کونسل برائے فروغ اردو زبان کی مالی تعاون سے شائع کی گئی ہے۔)

تقسیم کار:

- جواہر بک سینٹر، جواہر لعل نہرو یونیورسٹی کیمپس، نئی دہلی۔110067
- مکتبہ جامعہ لمٹیڈ، نئی دہلی۔ 110025
- مکتبہ جامعہ لمٹیڈ، علی گڑھ 202002

محتويات الكتاب



الإهــداء

إلــــى

أبوي المرحومين اللذين نفخا في روح

القراءة والدراسة

(رب ارحمْهما كما ربيا ني صغيرا)

تقديم الكتاب

غدا علمُ الحديث علماً أساسياً ضمن علوم الدين، فهو مرتبطٌ أشدَّ الارتباط بفقه السيرة النبوية العطرة، وعلم الحديث أحد أركان تفسير القرآن، فطالما عاد المفسرون إلى الأحاديث النبوية لتوضيح آية أو قاعدة نحوية وتثبيتها، ومن أراد أن يفقه مباحث الفقه ويتعرّف على حياة الرسول عليه الصلاة والسلام في أفعاله وتصرفاته وأوامره ونواهيه وسلوكه وأخلاقه ونظرته للأشياء، فعليه أن يقرأ علوم الحديث ويعرف السند من المتن والصحيح من الضعيف.

وقد ساهم علماء كثيرون في علم الحديث في الهند والسند، ومن أهمهم العالم أنور شاه الكشميري الذي درّس علوم الحديث في دار العلوم بديوبند وكان قد أوصى المشرف العام على مدرسة ديوبند الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي القائم على أمور الجامعة بالاهتمام البالغ في تدريس علوم الحديث والفقه.

ولأن الكتاب يتعلق باللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف لا بدّ من ذكر زيارة الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة "المنار" وكان من علماء سوريا ومصر البارزين في القرن التاسع عشر وقد حضر دروس الشيخ أنور شاه الكشميري، فقال معجباً به: "ما رأيت قط مثل هذا الأستاذ الجليل".

وقد انشغل العلماء في البحث بأسماء الرجال وتحديد درجة الرواة والتدقيق في متون الأحاديث وأسانيدها واستيضاح المذاهب الأربعة مع أدلتها.

قضى الشيخ أنور شاه ثلث عمره في ديوبند، وجرت من قبله ينابيع الحكمة والمعرفة واستفاد منه كثير من علماء الإسلام.

وأضاف الشاه الكشميري إلى مصطلحات بعض الفنون زيادات قيمة لا نجدها في الكتب المشهورة للهنود عند العرب مثل كتاب كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد علي التهانوي، فنجد مثلاً أقسام التواتر الأربعة التي بسطها الشيخ في (نيل الفرقدين) و (إكفار الملحدين في شيء من ضرورات الدين).

وفي الحقيقة إنَ مؤلف الكتاب الدكتور محمد أجمل بيَن في هذا التأليف قيمة أعمال أنور شاه الكشميري في الحديث النبوي والأدب العربي، وبيَن في كتابته أن الشاه الكشميري قضى ثلاثين عاما من حياته ليبيَن أنَ الفقه الحنفي يطابق علم الحديث من خلال الحجة والبرهان والمنطق والقياس.

وللشيخ أنور الكشميري قصائد بديعة منها القصيدة التي نظمها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها يقول:

شمس الضحى بدر الدجى صدر العلى
علم الهدى هو قدوة للقادي
مولى الورى وبشيرهم وشفيعهم
وخطيبهم في مشهد الأشهاد

والحقيقة أنَ الدكتور محمد أجمل قدَم لنا عالما هنديا بارزاً من خلال بحث أكاديمي اعتمد فيه على المنهج الوصفي التحليلي معوّلا على الصدق في المرجعية الأكاديمية والكتب التي عاد إليها، وأثبت منها أفكار البحث بلغة عربية فصيحة.

والجدير ذكره أنَ الدكتور محمد أجمل يدرس اللغة العربية في مركز الدراسات العربيَة والإفريقية في جامعة جواهر لال نهرو في دلهي بالهند .

د. خلدون سعيد صبح
أستاذ البلاغة في جامعة دمشق - سوريا

تصدير الكتاب

الحمد لله الذي علم الإنسان وعلمه البيان وخلق السماوات والأرض في ستة أيام وأدار الشمس وقدر القمر على القدام، والصلاة والسلام على رسوله خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وبعد،

غير معروف لمن يشتغل بدراسات الحديث النبوي وآدابها في البلدان غير العربية ما للهند، منذ أنْ انتخبها المسلمون وطناً لهم وبعد انتشارهم في أكثر أرجائها من مساهمات في الحديث والأدب العربي والعلوم الدينية والثقافات الإسلامية، ومن الأهمية بالمكان أن نشير إلى أن العالم الإسلامي بعد الغارة المغولية في سنة (932 الهجرية 1526 الميلادية) قد شهد الإنحطاط والإنحسار في عديد من النواحي العلمية والعقلية وبالنتيجة ظهر الإعياء الفكري في أسوأ أشكالها، ولم تنحو الهند من هذا الإعياء والعقم، وذلك بالرغم من أن الاسلام ازدهر فيها مؤخراً ولم تتأثر بالحملة المغولية مباشرة، وعلى أية حال، فإن المسلمين سرعان أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية إثر دخولهم في هذه البقعة من بقاع الأرض ونشروا التعاليم الإسلامية بين الجماهير وسلكوا في هذا المضمار مسلك سكان آسيا الوسطى والعالم الإسلامي الأخرى. فجهودهم هذه سرعان ما أتت أكُلها وبرزت على ساحة الأدب والعلم وحركات أدبية وعلمية تمخضت عن رجال يستحقون أن يعدوا من نوابغ المسلمين، وذلك لأن مؤلفاتهم وكتاباتهم تتسم بقدر كبير من الإبتكار والإبداع

والطرافة عن الأسلوب المعروف في زمن حياتهم من أمثال الشيخ شرف الدين أحمد بن يحي المنيري (المتوفي 772هـ 1370م) مؤلف 'الرسائل البديعة في التربية وحقائق الشريعة'، والشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي (المتوفي 1176هـ 1762م) مؤلف 'حجة الله البالغة' و'إزالة الخفاء' و الشيخ رفيع الدين الدهلوي (المتوفي 1233هـ 1817م) مؤلف 'أسرار المحبة' و'تكميل الأذهان' والشيخ إسماعيل الشهيد بن عبد الغني الدهلوي (المتوفي 1246هـ 1830م) مؤلف 'العقبات' و'منصب الإمامة'، يوجد في كتابات هؤلاء العباقرة كثيراً من الأفكار الجديدة والاستنباطات العلمية التي تخلوا عنها كتب أكثر معاصريهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لبعض مناطق بلاد السند قصب السبق في الدراسة والحفاظ على علوم الحديث النبوي وذلك لأن بلاد السند في بداية العصر الإسلامي في الهند أنجبت عديداً من نوابغ العلماء ودارسي الكِتاب والسنة، فنرى هناك نشاطاً كبيراً في سبيل العلم ورواية الحديث النبوي ولا سيّما بعد نزوح عدد كبير من المحدثين الكبار إليها، فتلمذ عليهم أبناء السند بعدد كبير، وفي نفس الفترة رحل إلى البلاد الإسلامية غير واحد من أهل الهند، ودرسوا هناك علوم السنة وكتب التاريخ والتراجم والرجال، وبعد الرجوع إلى بلادهم بذلوا جهوداً أقصر في سبيل خدمة الكتاب والسنة ورفعوا لواء الدين الحنيف في هذا البلد الأجنبي وتعاونوا في نشر الدعوة الإسلامية و تعاليم الكتاب والسنة في مختلف أصقاع الهند، فكانت غاية همهم في أسفارهم وفتوحاتهم نشر الدعوة وتبليغ رسالة الإسلام إلى سكان هذه

المنطقة ومن الجدير بالذكر هنا إلى أن أكثرية علماء هذه البلاد في القرون الماضية كانت على مذهب الكتاب والسنة بعيدة عن التفرقة المسلكية، التعصب الطائفي والجمود الفقهي.

ومن هنا ازدهرت حركة السنة ودراستها في بلاد الهند تحت ظلال الدولة 'البهمنية' (بدكن)، فلعب ملوكها دوراً بارزاً في نشر الكتاب والسنة وقاموا بالذود عنها وبرعاية أهلها، وكانت نتيجة ذلك أن مسلك الكتاب والسنة انتشر في معظم أرجاء البلاد، وتسارع إليه أهل العلم والمعرفة من كل قطر وإقليم، وكما توجه إليه وفود العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكانت دراسة السنة والكتاب أكثر انتشاراً في مصر والحجاز آنذاك. ولا سيما كانت لمصر شهرة كبيرة في هذا المجال بسبب وجود الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى 852 هـ 1448م) فيها، الذي نذر حياته لدراسة الحديث الشريف والسنة النبوية ولخدمتهما، وقد انتفع بعلمه خلق كبير، ودرس عليه عصبة من علماء الهند والعرب، وإلى هذا المرجع الهام يرجع فضل تجديد علوم الحديث في بلاد الهند، وذلك لأن تلاميذه توافدوا إلى الهند، وبذلوا مجهوداتهم القيمة في دراسة الحديث والقرآن الكريم وخدماتهما، فكثرت رحلات أهل العلم من الهند إلى الحرمين التي كان لها أثر كبير في تجديد السنة. ولم يمض عصر الملك المغولي 'أكبر' إلاّ وقدِم إمامان وهما أحمد بن عبد الأحد المجدد السرهندي{971-1034هـ/ 1563- 1624م} (المعروف بـ مجدد الألف الثاني)، وعبد الحق المحدث الدهلوي (959-1052هـ/ 1552-1642م). و لعب كل واحد منهما دوراً هاماً في نشر الدعوة الإسلامية وخدمة السنة النبوية

ودراستهما؛ وساهما مساهمة كبيرة في نشر العقيدة الحقة والدين الحنيف والسنة المطهرة، وقد قمنا في هذا الخصوص بذكر موقف معظم سلاطين الهند وملوكها من الإسلام والدعوة الإسلامية وخدمة الكتاب والسنة ودراستهما. ومن الجدير بالذكر هنا أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية قد تغيرت في زمن الملك 'أكبر' (1556-1605م) إلى حدٍ أن مجدد الألف الثاني خرج إلى الناس داعياً إياهم إلى التمسك بالكتاب والسنة والاجتناب عن البدع والمحدثات فكان لمجهوداته الإصلاحية أثر عميق في إرجاع الناس إلى دراسة الكتاب والسنة، ومن هنا ظهرت جماعة من المحدثين الذين عكفوا على نشر السنة ودراستها، وعلى رأسهم كان المحدث عبد الحق الدهلوي وأسرته.

وبهذه الجهود المبذولة المتركزة على الدعوة الإسلامية والسنة النبوية بدأ عصر التحديث والإصلاح، وعهد الإعتصام بالكتاب والسنة والإهتمام بها وإصلاح العقيدة والعمل.

وعندما أمعنا النظر قبل أن يبرز أحد من كبار المحدثين الهنود بعد الشيخ 'أحمد السرهندي' و'عبد الحق الدهلوي' كانت حركة دراسة الحديث ضئيلة بل كانت أصبحت بطنية جداً في منطقة دلهي وجوارها خاصة وسائر بلاد الهند عامة، حيث أن مدينة دلهي لا تزال تُزعم مركز الدراسة والعلوم لاشتغال العلماء بالفقه وأصوله وبعلوم الفلسفة، فجاء عبد الحق الدهلوي وركز مهامه على نشر السنة تعليماً وتأليفاً أكثر من نصف قرن بكل جد وحماس وإخلاص؛ بحيث اشتهر بين الناس، أنه أول من جاء بعلم الحديث في الهند؛ وهذا، لا يصدقه الواقع إلا أن جهوده

المشكورة أثرت أثراً كبيراً في نشر السنة في شمال الهند ومنطقة دلهي خاصة، فتدفق إليه طلاب الحديث من جميع نواحي الهند واعترفوا ببحار علومه، وتخرّجوا عليه. ثم ساهموا في خدمة علم الحديث.

فازدهرت حركة السنة ازدهاراً كبيراً، وكل ما نرى من حلقات تدريس الحديث والمؤلفات في علوم الحديث من مستهل القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين)، أغلبها تنتمي إلى منطقة دلهي وشمال الهند؛ ويرجع فضل هذه النهضة إلى عبد الحق الدهلوي[1]. تخرّج عليه جمعٌ غفير من دارسي الحديث، أشهرهم: الشيخ معين الدين ابن محمود (المتوفي 1138هـ/1725م) ونجله المحدث نور الحق (المتوفي 1073هـ/1662م).

هذه نبذة عن الإمامين المجدد والمحدث وغيرهما، والحق أن هؤلاء العلماء الأعلام، كانوا روّاد النهضة الدينية في الهند الذين أنشأوا أمثال شاه ولي الله الدهلوي في مرحلتها الثانية.

كتابنا هذا دراسة واعية وتحليلية فيما تناول التفاصيل ما قامت به كبرى المدارس الإسلامية الأهلية وعلماءها وخرّيجوها ومؤسسوها من خدمات بارزة وأعمال رائعة في نشر علم الحديث النبوي تدريساً وتأليفاً، شرحاً، تعليقاً وتحشية بعد ما مضت قرون متطاولة وكان الحديث عديماً في الهند، فجاء شاه ولي الله ابن الشيخ عبد الرحيم الدهلوي (1703 – 1762م) حاملا لواء السنة، ونبغت تحت لوائه شخصيات مرموقة في علم الحديث

[1]. شيخ محمد اكرام: "رود كوثر" ط. أدبي دنيا ماتيا محل، ص. 343.

وبدأ نهضة جديدة، ثم ازدهرت علوم السنة من جديد. وبما أن مدرسة ديوبند وفروعها من المدارس الإسلامية في الهند تنتمي إلى شاه ولي الله فكراً ومنهاجاً.

فانتقلت روح هذه الورثة العلمية بواسطة أحفاد الإمام العبقري محمد قاسم النانوتوي (1248-1297هـ/1832-1879م) وزميله الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي (1244-1323هـ/1828-1905م) وإلى ما ذلك العلماء والمحدثين، ومنهما ورث علماء هذه المدرسة هذا المنهج والفكر فلعبوا دوراً هاماً في نشر علوم السنة وخدمة الحديث النبوي.

ففي هذه البيئة العريقة التي أنشأها شاه ولي الله الدهلوي لدراسة الحديث وفهمه وتفهمه وهي كانت احتجبت تحت غيوم الجمود والجهالة والتعصب الديني، تم بروز أنور شاه (1292-1352هـ/1875-1933م) في القرن التاسع عشر الميلادي في ظل المحدثين الكبار، الذي قام بتقديم خدمة جليلة واختار نهجاً فريداً وبليغاً، وتفرّد بين معاصريه في دراسة الحديث وروايته وتدريسه المبتكر. فإنه تكرّس نفسه في إبداع بيان الأحاديث وإفهامه وأبرز جمل وقطع منتشرة تمثيلاً ليكون للمشتاقين الغافلين عن هديه، وهداه هداية وبرهاناً، وطالع من شروح الحديث عدة لا تحصى، حتى أصبح فريد من نوع معاصريه هو الذي كان علم الحديث له شعاراً. وله أمالي علمية على صحيح البخاري طبعت بعضها باسم 'فيض الباري' و'العرف الشذي' و'التصريح بما تواتر في نزول المسيح'، وزيادات قيمة على مصطلحات بعض العلوم. وهو أيضاً من أكبر

الأدباء في الأدب العربي وشعراء الهنود باللغة العربية حتى تاريخه، فقرض الشعر في مجالات مختلفة ولكنه تركز على قرض القصائد في مديح النبي عليه السلام، حيث كان محدّثاً جليلاً على أرض الهند؛ كما هو كرّس نفسه على قرض الأبيات في رثاء شيوخه وأساتذته مثل الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ محمود حسن الديوبندي (1268-1339هـ/1851-1920م) وغيرهم. وعندما ظهرت فئة القاديانية كانت تزعم إن زعيمها هو نبي ورسول، مسيح موعود ومهدي مسعود، لم يأل أنور شاه جهداً لمكافحتها وبذل قصارى جهوده في قمعها وسد أبوابها.

ولقد واجهنا صعوبات كثيرة في حصول على الكتب العربية بشأن موضوع الكتاب إذ أن الكثير منها غير متيسرة في المكتبات وقد اضطررنا إلى الاتصالات شخصياً بأساتذة مدرسة ديوبند وبأقارب الشيخ أنور شاه للوصول إلى المعلومات عنه وعن إسهاماته.

لقد قمنا بجانب الفحص عن الكتب حول الشيخ أنور شاه في المكتبات الجامعية وغير الجامعية والاتصالات الشخصية بأفراد مختلفين ومتعلقين به في هذه الدراسة ـ بالإطلاع على الإستعراضات للكتب في المجلات العربية والأردية التي تصدر معظمها في الهند. إن فاتنا شيء من مساهمات العالم الهندي الشيخ أنور شاه في دراسة الحديث النبوي ومساهمته في الأدب العربي بعد كل هذه المساعي الممكنة فليس لنا إلاّ أن نكرّر ما جاء في القرآن: لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعَها. وربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. (الآية)

فالهدف الرئيسي من هذه الدراسة والكتابة جمع أشتات من معلومات متعلقة بالكتب المؤلفة لأعلام المحدثين ولأساتذة دراسات الحديث النبوي بالمدارس الإسلامية أو الجامعات الأخرى، وتعريف عام بهذه الكتب وبمحتوياتها.

وعليه، فهذه الدراسة جزء من المشروع الدراسي الضخم الذي كنا نحمله في ذهننا منذ أن كنا طالباً في مدرسة دار العلوم بديوبند ثم وجامعة علي غراه الإسلامية في التسعينات. وهو المشروع الذي كنا نعزم على تنفيذه كاملاً في الأيام المقبلة فهو هلاً (الآن) يُقدّم إلى جانب القراء والباحثين على نمط كتاب بعد أن قمنا بعض الإجراءات التصليحية حذفا وزيادة وذلك حسب ضروارات الكتاب. فندعو الله سبحانه وتعالى التوفيق لقبول هذا الجهد ونشكر الله العزيز الحكيم على إكمال هذا التأليف.

وقمنا هذا التأليف بالتقسيم إلى أربعة أبواب وكل باب يحتوي على فصول عديدة.

فالباب الأول: هو في دراسة الحديث النبوي في الهند وبروز أنور شاه الكشميري، حيث كيف كانت الأوضاع والأجواء تجاه دراسة الحديث في هذه القارة، وتم بروز أنور شاه، وهو وجد الأجواء مناسبة أو معتدلة في دراسة الحديث وتدريسه بعد ما هو فتح عينيه وبلغ أشدّه، فقد فصّلنا في هذا الباب تفصيلاً تاماً. والباب يضع فيه ثلاثة فصول. في الفصل الأول قد تتبعنا فيه المناهج والأساليب في دراسة الحديث في القرن التاسع عشر الميلادي وماهي التغيرات والعوامل التي حصلت في طريقة دراستها في بداية القرن العشرين الميلادي، وأيضاً ألقينا ضوءاً هادئاً انه ماذا لعبت الحركات الإصلاحية الدور تجاه اصلاح المجتمع الإسلامي.

<u>والفصل الثاني</u> ذكرنا فيه أن المجتمع الإسلامي كيف تأثر بمدرسة رحيمية الولي اللهية، وما هي النشاطات أجرت هذه المدرسة في إصلاح المجتمع، ولاريب فيه أن هذه المدرسة تغيرت الأحوال الدينية والأوضاع الاجتماعية حتى السياسية بكاملها، فقد قمنا بالذكر تفصيلاً في هذا الفصل.

<u>وفيما خص الفصل الثالث</u> الذي يدور هذا البحث حول "الشيخ أنور شاه" فقد بيّنا فيه من بداية طفولته حتى ان سافر إلى ديوبند لتحصيل العلوم العالية، وسميناه 'ظهور أنور شاه ورحيله من قرية لولاب إلى ديوبند'.

<u>والباب الثاني</u>: هو عن مدرسة ديوبند التاريخية وأسلوب أنور شاه في تدريس الحديث، وهذا لا يكون مصداقاً لـ 'وضع الشيء في غير محله' لو نقول أن محور هذا الباب يقتصر البحث عليه، وفي مثل هذا المعهد الديني الذي تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والأحوال الأخرى للمجتمع الإسلامي خاصة وسكان الهند عامة.

وفي هذه البينة العريقة لبس أنور شاه ملابس دراسة الحديث وأظهر أسلوباً نادراً يمتاز من أساليب الآخرين المتقدمين أو السلفيين. وهو يشتمل على أربعة فصول. ففي <u>الفصل الأول</u> حاولت بذكر إقامة مدرسة ديوبند ودراسة الحديث النبوي فيها. <u>والفصل الثاني</u> هو في طريقة أنور شاه المبتكرة في تدريس الحديث وإصلاحاته الدراسية، فانه عمل إصلاحات بديعة وشاملة في منهج تدريس الحديث الذي تشكل الطريقة المبتكرة الفذة فيما بين أساتذة الحديث السابقين.

ويدور الفصل الثالث حول ميزات وخصائص أنور شاه في تحضير دروس الحديث النبوية ومحاضراتها. أما الفصل الرابع فهو يحيط على تفاصيل التعصب الحنفي في محاضرات دروس أنور شاه للحديث وبذل محاولاته بالإثبات في أن الحنفية هو أفضل سبيل يُقلّد به، وسعى في شرحه أنه لا تقليد إلا الحنفية، ومازال قام بترجيح الحنفية على المسالك الأخرى لدى تطبيق المذاهب في المسائل الفقهية.

وبينما الباب الثالث: وهو في الأشعار قرضها الشيخ أنور شاه في المديح ويشتمل على فصلين: فالفصل الأول ناقشنا عليه حول القصائد التي قالها في مدح النبي وبما أن الفصل الثاني استعرضنا فيه القصائد الصوفية نستطيع أن نقولها المراثي والمدائح عن مشايخه.

وأخيراً، الباب الرابع: ولا شك أنه مهم أيضاً في إطار هذا التأليف فهو في حملة ومحاربة أنور شاه ضد الفئة الأحمدية، فوزّعناه على ثلاثة فصول؛ وقد ذكرنا في الفصل الأول حول انه ما هي الأحمدية ومعتقداتها الأساسية، وقد بينّا في الفصل الثاني من هذا الباب انه كيف قام العلماء بمعارضة هذه الطائفة ومخالفتها بكل ما أمكن لهم التوفير للاستدلالات والبراهين.

أما الفصل الثالث: فقد قمنا بجمع العناصر التي اتخذها الشيخ أنور سبباً ودعماً لمكافحة القاديانية وبطلانها وتكفيرها، مصرّحاً إن هذه الفئة ليست لها مكاناً في الإسلام بل هي مردودة من كل ناحية وأثبت هذا في ضوء القرآن والأحاديث النبوية وإجماع الأمة الإسلامية.

هذه كانت بعض الصور لجهودنا المتواضعة التي قمنا بها خلال إعداد هذا التأليف، وبذلنا قصارى مجهوداتنا قدراً مستطاعاً أن نفي بحاجة الموضوع ولكننا نشعر إنه لم نوفق إلى الحد الذي كنا نتمناه. على كل حال ندعو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه المحاولات ولا نعتبرها أكثر من المحاولات خيراً ونفعاً للآخرين.

وبالله التوفيق وهو المستعان.

نيودلهي في 2014/10/10

الدكتور محمد أجمل القاسمي
أستاذ محاضر بمركز الدراسات العربية والإفريقية
جامعة جواهر لال نهرو- نيودلهي

كلمة شكر

نحمد الله العلي العظيم ونصلي على رسوله الكريم،
ونودّ أن نشكر جزيل الشكر لكل من له مساعدة في شكل من أشكال، فأولاً نقدم بالشكر إلى مسئولي المكتبات المختلفة أخصها بالذكر مكتبة جامعة جواهر لال نهرو بنيودلهي، ومكتبة دار العلوم ديوبند ومكتبة مدرسة رحيمية بدلهي، ومكتبة مولانا آزاد التابعة لجامعة عليغراه الإسلامية كما ومكتبة قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها بجامعة عليغراه الإسلامية، علي غراه، ومكتبة جامعة همدرد بنيودلهي، كذلك ومكتبة الجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي، وفرت لنا كلّ هذه المكتبات كافة بالتسهيلات والإمكانيات لإعداد هذا الكتاب. كما يجب، بل لابد علينا أن نوجه جزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور البروفسور محمد أسلم الإصلاحي، عميد كلية اللغة والأدب والثقافة في جامعة جواهر لال نهرو- نيودلهي حالياً، وهو الذي قام بالإشراف علينا في الموضوع، و أرشدنا إلى أماكن الصواب، وأنقذنا من مواطن الصعوبة والخطاء، وقدم لنا مشورات مفيدة أثناء البحث والتحقيق وفي كتابة التأليف، وقام بتوجيهات سامية وإرشادات نافعة، وتكلف المشاق وأرهق نفسه في إعداد هذا الكتاب المتواضع وزوّدنا بمعلومات قيمة في هذا الصدد، ولم يأل جهداً في تزويدنا بما يفي بالهدف المنشود في إبراز هذه الرسالة إلى حيّز الوجود. وبفضل عنايته الكريمة تمكنّا من أن نقوم بهذا العبء الثقيل، داعياً المولى الكريم أن يمتعه بدوام الصحة

والعافية ويتيح لنا فرصة سعيدة للاستفادة من علمه العميق وفضله الجليل ونصحه الكريمة.

وكذلك نقدم الشكر إلى جميع أساتذة مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو الذين استفدنا من توجيهاتهم وإرشاداتهم بشأن الموضوع.

وأخيراً، نود أن نقوم بتوجيه الشكر إلى مشرفنا وأستاذنا المرحوم الدكتور ظهور الباري الأعظمي رحمه الله رحمة واسعة، الذي أشرفنا على كتابة مقالتنا للحصول على شهادة الإيم فل، (ما قبل الدكتوراه) والذي شجعنا على الدراسة والمطالعة، ودائماً تقدم بمساعدات غالية ونصح نافعة، مع أن الضعف قد أنهكه بسبب المرض الذي يعاني منه، لكنه لم يدّخر وسعاً في تقديم كل ما لديه من علم وفكر ومشورة ومساعدة، وقادنا إلى إنهاء هذه المهمة. فندعو الله سبحانه تعالى أن يسكن الفقيد فسيح جنانه ويلهمنا جميعا الصبر والسلوان.

وكيف يتم الكلام إذا لم نشكر الذات الكريم الذي بيده مقادير الإنسان وبتوفيقه يتم العمل، نشكر الله عزوجل أنه وفقنا لهذه الدراسة وكتابة هذا التاليف وندعوه أن يجعله خيراً للآخرين.

الدكتور محمد أجمل القاسمي

نيودلهي 2014/11/22

الباب الأول

دراسة الحديث في الهند وظهور أنـور شاه الكشميري

- مناهج دراسة الحديث بالهند في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين الميلادي.
- تأثير مدرسة رحيمية في أنحاء الهند.
- ظهور محمد أنور شاه ورحيله من قرية لولاب إلى ديوبند

مناهج دراسة الحديث بالهند في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين الميلادي

أحرى بنا أن نصرح إن القرن التاسع عشر الميلادي هو قرن خصيب للهنود اجتماعية، وإقتصادية، حضارة، حركة ودراسة. إن الهند قبل هذا القرن عانت من مشاكل كبيرة ومعضلات غير قليلة من قبل الإستعمار الإنكليزي فإنها اتجهت إلى أضعاف المسلمين من الناحية الإقتصادية، خاصة بمهارتهم في اختراع الحيل والأساليب فضاعفوا ديونهم، وساعدوا المراقبين الهندوس على انتزاع أملاكهم وسدوا في وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة، وكان المسلمون سابقاً يفوزون بأكثرها، فإن المسلمين كانوا يملكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة لأية وظيفة، ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي. فحاربوا مدارسهم التي كانت منبع الثقافة والعلم في الهند، يتعلم فيها المسلمون والهندوس معاً، ونزعوا الأوقاف الإسلامية التي كانت موقوفة على هذه المدارس وعمدوا إلى الأغنياء الذين كانت تدفعهم حميتهم لمساعدة هذه المدارس فأرهبوهم أو أغروهم بالبعد عن المساعدة حتى كفوا عنها... فأغلق كثير من المدارس أبوابها.[3]

وكانت هناك المدارس التي أنشأها الإنكليز حسب نظامهم وبرامجهم، ولكن المسلمين من قبل كانوا يحاربون هذه المدارس، ويعملون على مقاطعتها، ليحولوا بين الشباب المسلم

---

[3] أبو الحسن علي الندوي: "المسلمون في الهند"، المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ 1998، ص. 28.

وبين التربية في هذه المدارس، خوفاً على عقليتهم وروحهم ودينهم[4]. فازدادوا بعد الإحتلال شدة في هذه المقاطعة، وكان منطقهم أنهم إذا كان قد ضاع منهم سلطانهم، فليحافظوا على دينهم وروحهم بالبعد عن هذه المدارس. واتخذت هذه الخطة شعار الدين والوطنية معاً، وكانت أشبه ما يكون بالتقوقع على ثقافتهم ودينهم وتقاليدهم، خوفاً على ذلك كله من الضياع بعد ما ضاع منهم سلطانهم وتلاقت هذه النظرة الإسلامية مع أغراض الإنكليز الاستعمارية.[5]

لكن العلماء الذين يمثلون فكرة النضال ضد المستعمرين ظلوا يواصلون رسالتهم في المحيط الذي يتأثر بهم، بواسطة الفتاوى والتعليم والدروس والعظات.

وبدأ هؤلاء، ينشئون المدارس الدينية العربية كما يطلقون عليها في الهند، لتعمل على الحفاظ على الثقافة الإسلامية وأدواتها الأصيلة من علوم الحديث والقرآن وتفسيره... والإنكليز يهيبون أن يغلقوها حتى لا ينقضوا عهودهم بعدم التدخل في الأديان[6]. ولكنهم كانوا يراقبونها ويطاردونها بأساليبهم الخاصة حتى لا تشعل فكرة النضال والمحاربة ضدهم، وكانت هذه المدارس تقوم على تبرعات المسلمين الخاصة ولا تقبل معونة من الحكومة ولا من الأغنياء المتصلين بها حتى تظل

---

4. Tarachand: "Influence of Islam on Indian culture". Allahabad, 1963, p. 34

5. محمد ميان: "علماء حق اور ان كے مجاهدانه كارنامے"، الجمعية بكديو دهلي 1966، ص. 31

6. مجلة البعث الإسلامي: "مقالة، كتب الشيخ معراج الحق"، عدد 18، ربيع الثاني 1396هـ ط. ندوة العلماء لكناؤ، ص. 46 – 47.

لها حريتها، وقد أعلن هؤلاء العلماء شعار مقاطعة الإنكليز في كل ثقافة أتوا بها.[7]

وتكونت على هذه الأسس مدرسة فكرية يزعمها العلماء أكبر مدرسة وأقواها في الهند وهي: مدرسة "دار العلوم ـ ديوبند" التي يسمونها [أزهر آسيا] وأصبح لعلمائها نفوذ على عقول المسلمين في كل أنحاء الهند نظراً لمكانة مؤسسيها ومواقفهم في الثورة ضد الإنكليز واستمرارهم في الثورة السلمية عن طريق هذه المدرسة ولما يحمله الشعب المسلم من روح عدائية ضد المستعمر الذي سلب ملكهم، وبالغ في اضطهادهم والتنكيل بهم. ونبغ في هذه الأسر الكريمة وفي من أسلم على يدها من الأسر الهندية المكرمة رجال في العلم والدين والإدارة والسياسة، وكان منهم رجال عزّ نظيرهم في العالم الإسلامي. وأنجبت الهند من هذا الشعب الإسلامي الهندي ملوكا وأمراء ووزراء وقادة للجيوش والعلماء والمؤلفون يتجمل بهم تاريخ الإسلام العام ويكاد يكون منهم العلم المفرد في بعض صفات الكمال ونسيج الوحدة فيها.

وبلاد الهند في هذه العصور دخلها رجال من المحدثين، وخرج منها رجال في طلب الحديث فتضلعوا غير أنهم يرجع كثير منهم فلم تنتفع بهم بلادهم، وتجد في رواة الحديث عدة من رجال الهند، ومع هذا نبغ في القرن التاسع عشر الميلادي شخص عبقري بارز هو الشاه ولي الله الدهلوي فتضلع من علوم الهند، وكتب تأليفا هاماً بـ "حجة الله البالغة" في أسرار أحكام الشريعة

[7] سيد محبوب رضوي: "تاريخ داالعلوم ديوبند"، مكتبة دار العلوم ديوبند 1981، ص. 9-7

وفلسفة التشريع الإسلامي وهو كتاب مبتكر في موضوعه لا يوجد له مثيل في المكتبة العربية على سعتها، وقد أجله علماء هذا الموضوع وأعيد طبعه في مصر مراراً وتكراراً[8]. وشرح الموطأ لمالك بشرحين، وقرر دراسة الصحاح الستة كلها مع الحصن الحصين، وجعل موطأ لمالك في الصحاح بدلاً عن ابن ماجة، وجعله أول الصحاح منزلة، فسعى في نشر الحديث حتى استوى على المستوى، وتلاه أصحابه وأنجاله الغراء. فمن أصحابه القاضي ثناء الله البانيبتي مؤلف "منار الأحكام"، منهم المحدث مرتضى البلكرامي الزبيدي مؤلف "العقود الجواهر المنيفة والإتحاف شرح الإحياء، و تاج العروس" الذي هو أشهر من أن يعرف، وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة في عشرة مجلدات كبار، وقد اشتهر أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه، ومن أنجاله الشاه عبد العزيز (1746- 1823م) وكان بارعاً في العلم والإستحضار وحيداً في سعة الإطلاع على الحديث وسائر العلوم موفقاً لحل المشكلات والغوامض، والشاه عبد القادر (1753 – 1815م) المحدث كاتب "العارف" وترجمان القرآن، والشاه رفيع الدين (1750 - 1817م) المحدث الضليع ومن فيض هذه البينة الولي اللهية نشأ رجال في الهند نوابغ أصحاب مؤلفات جليلة في الحديث والرجال من أجل ذلك، لا تزال تزدهر دراسة الحديث تدريسه في هذين القرنين دون أي معاق أو زلق[9].

---

[8] أبوالحسن علي الندوي : "تاريخ دعوت وعزيمت"، ج. 5، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام، لكناؤ 2002، ص. 215-217

[9] عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر" المجلد الخامس، دار عرفات راى بريلي 1984، ص 269

فزادت هذه النهضة إعتلاء وبهاء، وطبقت هؤلاء الأعيان أرجاء الهند حديثاً وسنة وقرآناً وكتاباً، فكان من أزهى العصور المزدهرة في علوم الحديث، وأخذ من الشاه عبد العزيز ابن أخيه الشاه اسماعيل الشهيد (1779 – 1830م) وابن ابنته محمد اسحق.[10]

وبجهود هؤلاء جهابذة العلماء ترعرعت ونشطت دراسة الحديث والسنة وإحياءها نشاطاً كبيراً فكثر المعتنون بعلوم الكتاب والسنة، وكثر دعاتها، وكثرت المؤلفات في هذا الموضوع، ونشرت كتب الحديث وشروحه بكثرة غير قليل في عصر انقراض دولة المسلمين الذي بلغت دراسة السنة وحركتها فيه منتهى الضعف.

ثم تلا محمد إسحق وصاحبه عبد الغني المجددي غير أنه هاجر إلى المدينة فلم يمكث عهده في الهند طويلاً، وجرت في طيبة ينابيع عليه الذي نشفه ولي الله منها ثم أخذ الحديث منه أكابر –ديوبند- مثل محمد قاسم النانوتوي ورشيد أحمد الكنكوهي وعليهما تخرج المحدث محمود حسن الديوبندي، وأدرك الشيخ محمود حسن من الشاه عبد الغني فاستجاز منه أيضاً ومكث في ديوبند يخدم الحديث والعلم فتخرج عليه أصحاب حديث وعلم أربى عديدهم على ألف حتى نبغ فيهم نابغة المحدث أنور شاه الكشميري فكان خير مثال لعلوم القدماء وشمائلهم في قوة الحافظة وشدة الإستحضار والتبحر الواسع والغوص في

---

[10] محمد ابراهيم سيالكوتي: "تاريخ اهل حديث"، جمعية اهل حديث 1995، ص. 118

المشكلات، واستنباط الدقائق مع ورع وزهد وقناعة وحسن هدى وسمت من ملكات سامية لا تجتمع إلا في أفراد الأمة وأفذاذها.[11]

ولا بد أن لا نتجاهل عن المساهمة في تطوير دراسة الحديث والسنة خدمات علماء "الغير المقلدين" وهم الذين يزعمون بأنفسهم بـ "أهل الحديث" في الهند، فساهموا مساهمة كبيرة في دراسة الحديث والسنة وتدريسه ونشره في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وتنورت بأشعتها بلاد دلهي، وولايتي بهار وبنغال وإقليم جنوب الهند، بل تجاوزت إلى البلاد الإسلامية.

وقاد هذه الهيئة العلمية والإصلاحية النواب صديق حسن خان (1832-1890م) والسيد نذير حسين الدهلوي (1805 – 1902م) (أحد مؤسسي حركة أهل الحديث في الهند)، فخدم كل منهما خدمة خالصة جليلة علوم السنة بالتأليف والنشر ونفقة الأموال واحتضان العلم والعلماء بكل جد ونشاط، وبكل جود وحماس، أما السيد نذير حسين الدهلوي كرس نفسه على تدريس الحديث مدة طويلة تستغرق حوالي اثنين وستين عاما.[12]

منهج التعليم والمراكز العلمية

وإن أساس تلك النهضة في البلاد الهندية أفذاذ أجلاء تمخضت بهم العصور الحديثة، وانتهجوا في تحصيل العلوم بالمنهج النظامي (المنهج المعروف في مدارس العربية الإسلامية

11. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري على صحيح البخاري" ج 1، المكتبة الأشرفية ديوبند، 2000، ص. 43

12. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، إدارة البحوث الإسلامية ببنارس 1986، ص 20-22.

بـ الدرس النظامي) الذي قد قام بتأسيسه "ملا نظام الدين" (1110-1161هـ) في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، فنبّه شأنهم وعلا أمرهم، وذاع صيتهم، وتكونت جمعيات سلكت سبيلهم وعملت على نشر مبادئهم، فكان لها ذلك الأثر الصالح، والسبق الواضح، ومن أشهر هؤلاء الأعلام.[13]

مراحل عديدة لمنهج التعليم

وفي عهد الملك شاهجهان (1592-1666م) وعالمغير، لمع نجم مير زاهد (المتوفي 1689م)، وهو عالم أفغاني أقام في كابل وتوفي بها، له حاشية على شرح جلال الدين الدواني على تهذيب المنطق، فسخر القلوب، وبهر العيون بمباحثه ومناقشاته، ونكته الدقيقة فصار يعد كأنه مؤسس منهج التعليم النظامي، فكان من تلاميذه قاضي مبارك، وأسرة الشيخ ولي الله الدهلوي الشهيرة التي يضم أبناءه الثلاثة: الشاه عبد العزيز، والشاه رفيع الدين، والشاه عبد القادر، وعبد الحي، والشاه محمد اسماعيل، والشاه محمد اسحاق، ورشيد الدين، ومن تلاميذ هذه الأسرة النجباء المفتي صدر الدين خان، المولوي مملوك علي الذين يعدّون أساتذة الهند، وشيوخ العصر، ويرجع إليهم أصل جميع نظم التعليم المعاصر[14].

وهي نهضة عظيمة أثرت على بقية البلاد الإسلامية، فاقتدى بها معظم البلاد الإسلامية. إن تاريخ منهج التعليم وأعداده، وأدوار التي مرّ بها وتطور في العهد الإسلامي طويل

---

[13] شيخ محمد اكرام: "رود كوثر"، كلاسيكل برنترس دلهي، 1957، ص. 560.
[14] نفس المصدر : ص. 562

وعسير كذلك، وإن متابعة هذه المراحل التعليمية تتطلب تحليل الظروف الممتدة إلى ثمانية قرون، وتنتشر مواد هذه الدراسة ومصادرها في كتب التراجم والتاريخ والسير وأقوال السلف الصالحين ومذكراتهم، كما يطول تاريخ أساتذة هذا المنهج، والذي رسموا هذه الخطة التعليمية، والمعاهد الدراسية التي قبلت هذا المنهج الخاص، فقد أمس الأمراء المسلمون، والسلاطين المؤمنون، محبو العلم والأغنياء والذين قاموا بتمويل هذا المنهج وإدارته، ومدارس في القرى، والمديريات وانشأوا شبكة للمدارس، ولا يوجد اليوم وسيلة لاستقصاء هذه المدارس، واستخراج تفاصيلها.[15]

في الواقع، تجدر الإشارة هنا إلى أن التاريخ يدلنا على أن العلم وصل إلى هذه البلاد مع الغزاة، وأن كل تغير وقع في بلاد ما وراء النهر والعراق حيناً بعد حين أثر على منهج التعليم السائد في الهند كذلك.

فانتشر العلم في سائر أنحاء ولاية الهند ونفقت سوقه، فلم يبق مكان إلا وقد استنار بالعلم والمعرفة، وأنجبت بكثرة يندر مثيلها في أماكن أخرى.

وعندما نرفع الحواجب على سطح هذه العهود الراقية المتقدمة تجاه الدراسة والعلوم وتعلم القرآن والحديث النبوي فنجد أدوار شتى لمنهج التعليم.

ويجدر بنا أن نقسم مراحل المنهج التعليمي إلى أربعة مراحل لكي يسهل لنا أن نجمع هنا تفاصيل الكتب الرائجة في

---

[15] أبوالحسن علي الندوي: "المسلمون في الهند"، المجمع الإسلامي العلمي 1998، ص76.

ضوء ما تذكره طبقات الأدباء والشعراء، والمذكرات، أو الملفوظات أو مجموعات الكتب والكتائب.

المرحلة الأولى :

فالمرحلة الأولى يبدأ من القرن الثاني عشر الميلادي وينتهي في القرن الخامس العشر الميلادي حيث بدأ الدور الثاني، فكانت دراسة الفنون لازمة في هذا الدور، وهي الصرف، والنحو، والبلاغة، والفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والكلام والتّصوف، والتفسير، والحديث.

وعندما ندرس أحوال العلماء في هذا الدور نرى أن الفقه وأصول الفقه كان مقياس الفضيلة كما يعتبر المنطق والفلسفة مقياس العلم في هذا العصر.

المرحلة الثانية :

أما المرحلة الثانية وذلك يبدأ حينما وصل الشيخ عبد الله والشيخ عزيز الله من ملتان في أواخر القرن الربع عشر الميلادي، واستوطن الشيخ عبد الله مدينة دلهي، والشيخ عزيز الله مدينة سنبهل، ورحّب بهما الملك سكندر لودي ترحيباً حاراً، حتّى أن الملك نفسه كان يحضر مجلسهما، وكان قد بلغ من احترامه وإجلاله لهما فإنه كان يجلس في زاوية من المسجد لكيلا يحدث قدومه اضطراباً في مواصلة الدرس، وكان يستمع إلى محاضرة الشيخ باهتمام ورغبة، وثم يتشرف بلقاء الشيخ عبد الله بعد انتهاء الدرس[16].

---

[16] أبوالحسن علي الندوي : "تاريخ دعوت وعزيمت"، ج. 4، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام، لكناؤ 2002، ص. 184

وذاعت ذروة سمعة الشيخين في أنحاء الهند لما كانا يتمتعان به من تفوق علمي، ويتصفان بكمال وفضل مرموقين، ويتميزان بهما عن أقرانهما، ولتشجيع الملك، وأجريا تعديلات في منهج التعليم، ورفعا مستوى الدرجة، فأدخلا من مؤلفات القاضي عضد الملك، المطالع، وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي، فأصبحت هذه الكتب متداولة بسرعة.

وفي هذا العهد نالت شروح المطالع والمواقف (*كتابان في المنطق للمنتهين*) القبول العام بمساعي تلامذة مير سيد شريف كما أدخل تلامذة تفتازاني كتاب المطول والمختصر (*في فن المعاني والبيان، ولا تزال هذه الكتب مدرجة في المنهج*) والتلويح (*كتاب هام في أصول الفقة*) وشرح عقائد نسفي (*في علم العقائد*).[17]

وضم المنهج في نفس الفترة شرح الوقاية، وشرح ملا جامي، (*في الفقه الحنفي وفي النحو مزيج باستدلال منطقي*) كل بحسب ترتيب.

وارتحل إلى الحجاز أكبر عالم في عصره وهو عبد الحق المحدث من الهند، قد ورد ذكره في الصفحات الأولى، ومكث في الحجاز ثلاث سنوات ونقل هذه الثروة العلمية، فعكف هو وأولاده النبغاء على نشر هذا العلم، ولكن لسوء الحظ، لم ينل هذا العلم القبول في عهدهم، فكان هذا الشرف انتقل إلى حصة الشاه ولي الله الدهلوي.[18]

---

[17] زبيد أحمد : "مساهمة الهند وباكستان في الأدب العربي" مكتبة لاهور 1968، ص. 352.

[18] عبد الحي : "نزهة الخواطر" ج 5 ، ص. 519

المرحلة الثالثة :

كان التحول الذي وقع في منهج التعليم في المرحلة الثانية قد حثّ رجاء الناس وطموحهم ورفع مستوى العلم، فطمحوا إلى رفع هذا المستوى إلى درجة أعلى، فكان قدوم الناس فتح الله الشيرازي باعثاً جديداً، حافزاً على التقدم في التعليم في المعاهد التعليمية، فقبل العلماء التعديلات التي أجراها الشاه فتح الله الشيرازي في المنهج الدراسي.

من اللازم أن لا ننسى في هذه المرحلة محاولات الشيخ وجيه الدين العلوي الغوجراتي، فأدخل هذا الرجل البارز في المنهج مؤلفات المتأخرين، فلم تكن منطقة غوجرات وحدها المتمتعة بهذا السيل العلمي، بل وصلت روافده إلى الهند الوسطى، ولكن لم ينل هذا المنهج القبول العام إلاّ بجهود فتح الله الشيرازي الذي انتشر تلامذته وتلامذة تلامذته في أنحاء الهند المختلفة، وروّجوا هذا المنهج.

ونهائياً، أعدّ الشاه ولي الله الدهلوي حسب ذوقه وفكره منهجاً جديداً، ولكن مركز الثقل العلمي في ذلك العهد كان انتقل لأسباب سياسية من مدينة دلهي إلى لكناؤ حيث نال المنطق والفلسفة قبولاً حسناً وأهمية، فلم يحظ هذا المنهج بالقبول والشعبية.

المرحلة الرابعة :

تبدأ المرحلة الرابعة من القرن الثامن عشر الميلادي، وقد قام بتأسيسه الشيخ نظام الدين بقوة وعزم وهمة، ففاق

جميع المناهج وقهر الألباب، فلم يناهضه منهج آخر، ولا يزال يحتفظ بقوته وجاذبيته ولم ينقص منه شيء.[19]

لم يكن نظام التعليم منزّهاً عن النقائص ومواطن الضعف كلياً، فقد كانت عدة نواحيه تحتاج إلى الإصلاح والنقد والتنقيح من الناحية الفنية، لكنه كان يحمل بعض خصائص ومزايا خاصة بفضل ما كان يتسم به المسؤولون عنه والداعون إليه من صفات شخصية وروح دينية وطبيعة إمتيازيه، فسرت إلى ذلك النظام تلك الخصائص الشخصية التي تعوز النظام الجديد للتعليم.

وكانت الميزة الخاصة التي تجدر بالذكر أن هذا النظام والقائمين به والمسؤولين عنه كانوا رغم انهماكهم بالعلم وتبحرهم العلمي، وحذقهم في الفن وشعبيتهم والإعتراف بعظمتهم وكمالهم، لا يغفلون عن تزكية نفوسهم وتوثيق علاقتهم مع الله، فكانوا في الوقت الذي يبذلون فيه جهدهم لتحصيل العلم والكمال في الفن، وخدمة رجال الفن، كانوا يبحثون عن أصحاب القلب السليم والشيوخ الذين يزكون نفوسهم، فكانوا يقومون بخدمتهم ويلازمون صبحتهم ويحسبون رضاهم وحبهم مكملا لسعيهم وجهدهم، ولا يعترض في هذا السبيل شرفهم العلمي، وتفوقهم الفني، وقبولهم الشعبي فبينما كانوا غيارى وكانوا يبدون كل أنفة حشمة، فإن السلاطين كانوا أمام هؤلاء المشايخ الفقراء متواضعين، فاقدي الإرادة والنفس، فكان التواضع والغيرة تمتزج بها طبيعتهم ويشكل العنصر الرئيسي لسيرتهم. ولا يمكن التجاهل عن ناحية غريبة للتاريخ العلمي للهند، وهي

---

[19] شيخ محمد إكرام: "رود كوثر" كلاسيكل برنترس دهلي 1957، ص 565

الشخصيات التي حكمت بعلمها العالم العلمي للهند عدة قرون، وقد أثرت على الأوساط العلمية في الهند.[20]

وكانت المدارس تشتهر في المدن مثل جهان آباد، وجونبور، ولكناؤ، تستنير بهذا النور. وكان مسك الختام لهذه السلسلة العلمية الذي نال الخلود والصيت العالمي الفائق والذي قهر الهند وأفغانستان وإيران وغلب على جميع النظم، وسحر شبكات العلم، وهو نظام التعليم الذي أسسه الشيخ نظام الدين السهالوي (قد مرّ ذكره)، ولم يكن هذا العالم الجليل مجرد مسترشد لشيخ السلسلة القادرية الشيخ عبد الرزاق البانسوي، بل كان مسحوراً بحبه، مغلوباً بغرامه، وتعكس كل كلمة من كتاب "مناقب رزاقية" هذا الحب والوله العميق العامر، الذي كان يقوم بينه وبين شيخه.[21]

الحركات الإصلاحية في هذا القرن

منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري – نهاية القرن الثامن عشر الميلادي- ظهرت تيارات إصلاحية في العالم إسلامياً وغير إسلامي وهذه التيارات شهدتها الدول نحو إيران ومصر وسوريا ولبنان وشمال إفريقيا وتركيا وأفغانستان إسلامياً مثلاً والهند غير إسلامي على سبيل المثال.[22] كذلك في هذه البلدان ظهر بعض دعاة الإصلاح الذين نشروا الأفكار الإصلاحية ديناً ووطنياً. ظهور هذه التيارات والحركات جاء بعد

---

[20]. أبو الحسن علي : "تاريخ دعوت و عزيمت" ج 4، ص 315.

[21]. محمد إكرام "رود كوثر" ص. 274.

[22]. أرحيلة ، عباس: "حركات الإصلاح في العالم الإسلامي"، منشور في موقع رسمي على الانترنت للكاتب، 2009، ص. 1.

ركود فكري لعدة قرون، وإلى حد يمكن القول بأنه كان كردّ فعل لغزو الاستعمار الغربي السياسي والاقتصادي والثقافي وكان نوعاً من حركة التوعية وتجديد الحياة (Renaissance) في البلدان الآنفة الذكر.

وفي الواقع قد انطلقت الحركات الإصلاحية في الهند – على وجه العموم – خلال نهاية القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين وتالياً حتى القرن العشرين، وكان شعارها التغيير والتجديد، والإسهام في الحضارة الحديثة، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية. وقد اتخذت هذه الحركات توجهات بحسب أوضاعها، وعلاقاتها مع الحضارة الغربية.

كانت الوضعية العامة في المجتمع الهندي تستدعي الإصلاح. وهناك خصائص طبيعية وأسباب تاريخية تزيد من عوامل الاختلاف بين الشعوب؛ إذ تتميز هذه الشعوب بتوزيع جغرافي عبر مناطق شاسعة من أرجاء الهند، وتتعدد أجناسها وتختلف لغاتها وحضارتها، مما يصعب معه تصور تحقيق وحدة لوطنية، إلا إذا قامت على منهجية قومية قوية ودقيقة.

وفي هذه المرحلة الحَرِجة من تاريخ الإسلام في الهند، ظهرت حركة الشيخ المجدد أحمد السرهندي (1563 – 1624م) وقويتْ في عهد المَلِك جهانگير (1569 – 1627م)، بعد أن وصل الإسلام إلى حالة من الضعف والهوان.[23] ومن واقع المسلمين هذا نهَض الشيخ السرهندي بدعوته التي تركزت على

---

[23]. النجار، فهمي قطب الدين: "الشيخ السرهندي من رواد الصحوة الإسلامية في الهند"، ط. شبكة الألوكة الثقافية الإلكترونية.

تثبيت العقيدة الصحيحة، والقضاء على معالم الوثنيَّة الهندوسية والمسيحية الثلاثية والديانات الأخرى الرائجة في البلاد.

كذلك وفي مِثل هذا العصر الخامل المُظلِم مفكِّرٌ مُتبصِّر، حرية الرأي، يُفكِّر متجرِّدًا عن أوضاع بيئته وزمانه، ويَفُك أغلال المسلم التقليدي، والعصبيات الراسخة في النفوس طيلة القرون، فإن الإمام الشاه ولي الله الدهلوي (1703 – 1762م) ولا ريب فيه أنه ثبت من أعماله ومساهماته فإنه من أحد زعماء التاريخ الإنساني الذين عالجوا مرتبكَ الأفكار، مُتشابكَ الآراء، فجلّوا غامضها، وحلّوا مَقصِدَها، ووضعوا للفكر والنظر الإنساني نهجًا واضحًا مستقيمًا، ثم خلّفوا في نفس الناس تضجُرًا من الأحوال الراهنة، وتركوا في أذهانهم صورة متلألئة لبرامج الإصلاح والإنشاء؛ مما يُفضي، لا محالة إلى أن تَنبعِث منهم حركة لهدم الفاسد وعمارة الصالح.[24]

ففي ضوء أفكار وآراء هاتين الشخصيتين البارزتين نقوم بالتطرق إلى الخدمات والنشاطات في الأسطر التالية عبر بعض الكتل والتيارات أو الحركات التي مرّت خلال أجواء الهند آنذاك.

فاستبقت في هذه المرحلة وذلك على نطاق واسع مدرسة "فرنغي محل" التي أسست خلال نظام الملك المغول أورنگ زيب (1658-1707م) في النصف الأخير من القرن السابع عشر الميلادي والتي لعبت دوراً هاماً في الأوضاع الخطيرة عمت في

---

[24]. المودودي، أبو الأعلى: "تجديد الدين وإحياءه"، ط. دار الفكر الحديث لبنان، الطبعة الثانية 1967، ص. 140.

أنحاء البلاد وأثرت أثراً عميقاً في تقدم البيئة العلمية والمناخ التعليمي في الهند[25].

مدرسة فرنغي محل

ساهمت مدرسة "فرنغي محل" مساهمة كبيرة في ازدهار وتطور العلوم الإسلامي في الهند، وهي أول مدرسة فكرية وعلمية في ذلك العصر، وذلك في بداية القرن الثامن عشر الميلادي[26]. وانتقلت العلوم انتقالاً سريعاً إلى طيلة زمن حتى جاء عهد شاه ولي الله الدهلوي (1703 - 1762م)، وفي هذه المدرسة على الأغلب انتشرت دراسة علوم المعقولات بدلاً عن العلوم المنقولات ولكنها بسرعة سريعة.[27]

"فرنغي محل"، في الحقيقة، هي إحدى حيء من أحياء مدينة لكناؤ، قام في هذا القرن بزيارة الهند تاجر فرنسي وأقام في هذا الحيء، فسمي هذا المكان الخاص بـ "فرنغي محل"، الذي سكن فيه عندما غادر التاجر متوجهاً إلى موطنه، وهذا القصر الخاص الذي مكث فيه تم نقله إلى الأراضي الحكومية، وتم تأسيس مدرسة أساسية وجرى التعليم في هذا القصر، وهي أصبحت تدريجياً معهداً كبيراً للعلوم المعاصرة والعلوم الدينية بشمول المعقولات والمنقولات والعلوم الأخرى الضرورية.[28]

---

[25]. Singh, Rajendrapal: Rana, Gopal: "Teacher Education in Turmoil: Quest for solution", Sterling Publishers Pvt. Ltd. New Delhi-2002, p. 19.

[26]. الحسني، عبد الحي: "الهند في العهد الإسلامي"، ط. مجمع الامام احمد بن عرفان، دار عرفات، راى بريلوي 2001، ص. 369.

[27]. مجيب، محمد: "The Indian Muslim"، ط. لندن 1967، ص. 36.

[28]. شيخ محمد إكرام: "رود كوثر" كلاسيكل برنترس دلهي 1957، ص 578.

ولم تقم في شبه القارة الهندية دعوة إصلاحية واحدة فحسب ولكن قامت فيها عدة تيارات ومنظمات حقق لبعضها النجاح التام وبعضها الآخر تم له نجاح محدود كقوة سياسية ذات نفوذ مستقل.

ومن أشهر قادة الإصلاح الديني والاجتماعي في الهند السيد أحمد بن عرفان الشهيد (1786-1831م) الذي درس على يد الشاه عبد العزيز (1746- 1823م) ابن ولي الله الدهلوي، بدأ يُرشِد الناس ويدعوهم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، وبعد عودته من فريضة الحج نادى بالجهاد في سبيل الله؛ لتحرير الهند من السيطرة الإنغليزية، التي بدأت في الهند سنة 1600م على يد شركة الهند الشرقية، ثم استولت على الهند عند انتهاء القرن الثامن عشر الميلادي.[29] كانت له جهود عظيمة في إيقاظ الروح الإسلامية في القارة الهندية. وكان له تأثير بالغ في صفوف المسلمين في نشر الدعوة الإسلامية ورعاية أتباعها. وكذلك التيارات التي أنجزت نجاحاً كبيراً في هذا المجال هي حركة أهل الحديث في الهند وقائدها العظيم النواب صديق حسن خان (1832-1890م) أمير مدينة بهوبال الهندية، الذي قامت دولته على الدين الخالص وإحياء السنن وإماتة البدع وكانت له عناية بعلوم الشريعة أصولا وفروعا فبحث وألف ونشر ودعا الناس إلى التوحيد.[30] وأقام كياناً سياسياً في شبه القارة الهندية. وإن كانت الدولة قد زالت فإن آثار هذه الدولة الفكرية والدينية لا

---

[29]. الندوي، مسعود عالم: "تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند" ط. دار العربية بيروت، 1986، ص 168

[30]. الندوي، أبو الحسن علي: "إذا هبت ريح الإيمان"، ط. مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد دار عرفات-راى بريلي، 1994، ص. 38

تزال قائمة في نفوس أتباعها ممثلة في جمعية أهل الحديث.[31] ومن بين هذه الكيانات، الحركة الفرانضية كرس أصحابها على قوة ضاغطة ووقفوا في وجه الاستعمار الانكليزي في الهند ينافحون عن دعوتها ويعملون على نشر مبادنها السلفية بكل قوة جريئة.

ومن أصحاب الكيانات الإصلاحية في الهند كذلك السيد أمير علي (1849 – 1928م) وهو أحد قادة الهند الذي قاد حركة سياسية إسلامية في الهند ولقي في ذلك عناء شديداً وكان في كثير من الأحيان يضطهد من الجيش الإنغليزي وإن كان يشجع من أحرارهم ويُكره من الهندوسيين لاصطدامه معهم في إصلاح المسلمين.[32] وأخذت دعوته تتعاظم وتمتد، وأقام دولة إسلامية حملت راية الدعوة الإسلامية والجهاد ضد الاستعمار الانغليزي وأعوانه.[33] وبقيت آثار هذه الحركة في نفوس أتباعها حتى اليوم في إقليمي البنجاب والبنغال.

فكان القرن التاسع عشر الميلادي قرن الازدهار Booming والتطور Blooming علماً وثقافة، كما و هذا القرن كان قرن الحركات الإصلاحية والتيارات النشطة، وحاولت هذه الحركات إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند، واعتنى المصلحون والمفكرون عناية خاصة إلى إصلاحات سياسية، دينية، اجتماعية، دراسية، علمية، وعقائدية، وتحول انتباه

---

[31]. الندوي ، محمد إجتباء: الأمير نواب صديق حسن خان، حياته وآثاره"، ط. دار ابن كثير 1999، ص. 15.

[32]. أحمد أمين: "زعماء الإصلاح في عصر الحديث"، ط. دار الكتاب العربي، بيروت 1985، ص. 139

[33]. انجينير ،أصغر علي: "They too fought for India's freedom: The role of minorities"، مقال منشور له في كتاب قام بإدارتها أصغر علي انجينير بنفسه، ط. Hope India Publications نيودلهي 2005، ص. 18.

الناس إلى العلوم الجديدة[34]. فاليق بنا أن نقوم بتسليط الضوء على أبرز الحركات الإصلاحية المهمة التي لعبت دوراً هاماً لإصلاح المسلمين الهنود.

حركة أهل الحديث

أهل الحديث هو اسم آخر من مسميات أهل السنة. فقد عُرف أهل السنة والجماعة بمسميات تدل على منهجهم واعتقادهم، الذي يميزهم عن غيرهم من أهل التشيع والتصوف والإباضية والمعتزلة وغيرها كأهل السنة والجماعة، أهل الحديث أو أصحاب الأثر، والفرقة الناجية أو الطائفة المنصورة، والسلف والسلفيون، والخلاف بين تلك المسميات خلاف تنوع[35].

حركة أصحاب الحديث من أقدم الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية، قامت على الدعوة لاتباع الكتاب والسنة وفهمهما على ضوء منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يوم الدين، وتقديمها على كل قول وهدى سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق على طريقة الفقهاء المحدثين، ومحاربة المحدثات والبدع والخرافات بأنواعها. يرجع تاريخ أهل الحديث في شبه القارة الهندية إلى العهد الإسلامي الأول،[36] وفي أواخر القرن الرابع الهجري بدأ الضعف يدب في نشاط هذه التيار الفكري وقد بلغ منتهاه في القرن الثالث عشر الهجري نظراً لانتشار الخلافات السياسية

---

[34]. Chandra , Bipan: "India's Struggle for Independence", Penguin Books, New Delhi, 1988, pp. 44.

[35]. عجلان ، عبد الله ابن محمد: "حركة التجديد والاصلاح في نجد في العصر الحديث"، ط. مكة 1992، 113.

[36]. عبد الوهاب خليل الرحمان: "الحركة السلفية في الهند"، لاهور 1983، ص. 30

والعصبيات، وظهور فتنة الباطنية وقل الاهتمام بالسنة وفشا التقليد والتعصب للمذاهب والجمود عليها، وسادت علوم اليونان.[37]

ومع بداية القرن الحادي عشر الهجري بدأ دور جديد لأهل الحديث إذ ظهرت في عصر الشيخ أحمد السرهند (1563 – 1624م) وبلغت ذورتها في عهد أنجال الإمام شاه ولي الله المحدث الدهلوي (1703 – 1762م) وبخاصة نجله الأكبر شاه عبد العزيز الدهلوي (1746- 1823م). إذا استفادوا من منهج أبيهم في الدعوة والإرشاد والتدريس والإفادة والتأليف، ونبذ الجمود والتعصب المذهبي، وزادت قوتها وانتشارها في عهد حفيده الإمام إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الشهيد (1779 – 1830م) قائد الدعوة والجهاد وصاحب كتاب تقوية الإيمان.

بعد وفاة الإمام شاه إسماعيل الدهلوي في معركة بالاكوت في سنة (1246ه/1830م)- عمل أهل الحديث مسؤولية الدعوة والجهاد بكل أمانة وإخلاص، وكانت جهودهم في هذه الفترة مرتكزة على ثلاثة ميادين: الجهاد والتأليف والتدريس.

أما فيما يتعلق بمصطلح أهل الحديث فقد روى الخطيب البغدادي في "شرف أصحاب الحديث" عن الإمام أحمد: أنه ذكر حديث افتراق الأمة فقال: "إن لم يكونوا أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم"، وكذا قال يزيد بن هارون، وعقب القاضي عياض

---

45. أحمد، صلاح الدين مقبول: " دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة ومواقف الخصوم منها"، در ابن الأثير، القاهرة 1996، ص. 253.

على قول أحمد بقوله: "إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث".[38]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه: "وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين. فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك : هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلكَ فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة. فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول؛ مما يجهله غيرهم أو يكذب به.[39]

ومنذ أن سطعت شمس الإسلام على أرض الهند، وبددت أنوارُ التوحيد ظلمات الكفر وإلى يومنا هذا؛ كان ولا يزال أهل الحديث هم الحاملين الحقيقيين للجهاد والدعوة الإسلامية.

ففي ميدان الجهاد هم الذين قادوا الفتح إلى البلاد، وهم الذين حاربوا الهندوس والسيخ والبراهمة، وهم الذين قاوموا المحتلين الأجانب، وحرروا المدن وفتحوا أخرى، بل هم الذين

---

[38]. شرح النووي على مسلم (67/13)

[39]. مجموع الفتاوى:26/4

قاوموا الاحتلال الإنغليزي وبخاصة في الحدود الشمالية للهند حتى خرج الاستخراب منها عام 1947م.

وفي ميدان المشاركة العلمية والتأليف فقد كانت لهم قدم السبق إلى الاهتمام بعلوم القرآن والحديث، وبيان السنة وشروحها، والدفاع عن العقيدة، ومحاربة البدع والأفكار الهدامة.

فمن أبرز أئمتهم أمير (بهوبال العلامة النواب صديق حسن خان (1832-1890م)، الذي أثرى المكتبة الإسلامية بما يقارب ثلاثمائة كتاب والذي آثر العمل الجماعي على الجهد الفردي. فشكل مجلسا علميا مكونا من العلماء السلفيين، ليقوم بمهمات التأليف والترجمة والتدريس. وأنشأ لذلك عدة مطابع لنشر كتب السلف، قرر لغير واحد من العلماء والدعاة العاكفين على التأليف والدعوة والإرشاد رواتب شهرية تشجيعا لهم وتنويها بأعمالهم.[40]

أما في ميدان الدعوة والتدريس والتعليم فقد كان تركيز علماء أهل الحديث في الهند، إذ به يُفرق بين الحق والباطل، وتُضبط المسائل، وتُقام الحجة، وتُبين المحجة. وكان من أبرزهم العلامة الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي (1805 – 1902م)، الذي استمر في تدريس علوم الحديث والعقيدة الصحيحة في مدينة دلهي قرابة الستين عاما، وانتهت إليه رئاسة علوم الحديث فيها، بل وقيل أنه اعتنق في عصره نحو المليونين

---

40. ابو المكرم بن عبد الجليل: "دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها" ط. مكتبة السلام الرياض، 2000، ص. 148.

من المسلمين العقيدة الصحيحة، ورأى أن جهده كفرد لا يوافي القدر المطلوب من العمل والمتابعة والتدريس، فأنشأ لذلك مدرسة، خرَّجت عددا من أعلام السنة والدعوة في العصر الحديث، أمثال الإمام المحدث عبدالله الغزنوي (المتوفي 1880م) وشمس الحق العظيم آبادي (1856 – 1929م)، مؤلف عون المعبود شرح سنن أبي داوود، والشيخ عبد الرحمن المباركفوري (1866 – 1934م)، صاحب تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، والشيخ محمد بشير السهسواني (1833 – 1908م)، صاحب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، والشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي (1844 – 1931م) وغيرهم، ومازالت مدرسته إلى اليوم بمدينة دلهي معروفة بجامعة السيد نذير حسين الدهلوي.[41]

وقد اعترف الشيخ العلامة رشيد رضا (1865 – 1935م) بخدمات علماء السنة في الهند فقال في مقدمة كتاب كنوز السنة للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: "لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر".[42] وإلى الإشادة بمنهجهم تكلم الأستاذ المحقق عبدالعزيز الخولي في كتاب مفتاح السنة فقال:

---

[41]. الفريواني ، عبد الرحمان: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، جامعة السلفية بنارس 1990، ص. 210.

[42]. عبد الباقي محمد فؤاد: "مفتاح كنوز السنة"، في مقدمته أعرب رشيد رضا عن رأيه حول علماء الهند وخدماتهم.

وإن أساس تلك النهضة في البلاد الهندية الأفذاذ والأجلاء تمخضت بهم العصور الحديثة وانتهجوا في تحصيل العلوم نهج السلف فنبه شأنهم وعلا أمرهم وذاع صيتهم وتكونت جمعيات سلكت سبيلهم وعملت على نشر مبادئهم، فكان لها ذلك الأثر الصالح والسبق الواضح ومن أشهر هؤلاء الأعلام ولي الله الدهلوي صاحب التصانيف في اللغتين العربية والفارسية وأشهرها حجة الله البالغة والسيد صديق حسن خان ملك بهوبال صاحب التصانيف الكثيرة أيضا".[43]

وفي الحقيقة ظهرت حركة أهل الحديث لأول مرة بعد انحطاط الدولة المظفرية بولاية غوجرات في الهند، ولعب علماءها دوراً بارزاً هاماً في نشرها وحمايتها ورعايتها ورعاية أهلها وطار صيتها في أنحاء البلاد، فيتبادر إليها أهل العلم من كل ناحية من نواحي البلاد، حتى تتابع وفود العلماء من خارج الهند. وكانت حركة الحديث والسنة قوية في البلاد العربية آنذاك. وتخرج منها عدد كبير من علماء الهند والعرب ويرجع إلى هذه الحركة فضل تجديد علوم السنة في بلاد الهند، فإن تلاميذها قصدوا إلى أرجاء الهند وركزوا اهتمامهم على خدمة الكتاب والسنة، وكثرت رحلات أهل العلم من الهند إلى الحرمين التي كان لها أثر طيب في تجديد السنة. ثم انتقل علم الحديث من غوجرات إلى منطقة دلهي.[44]

واليقظة الدينية التي ظهرت من دعوة المجدد السرهندي والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (1551 – 1642م) قد خفيت

---

43. أحمد أمين: "زعماء الإصلاح ص. 164.
44. مهر ، غلام رسول: "تراجم أهل حديث"، لاهور 1977، ص. 138-139.

آثارها واندرست وتسربت الأوهام المنكرات إلى صفوف المسلمين، وراج التصوف على أعمال المحدثات والخرافات التي تقضي إلى الزندقة والإلحاد. وران الجمود الفقهي والتعصب الديني على عقول الفقهاء الذين شغلتهم التدقيقات الفقهية، والمناقشات الكلامية وعلوم اليونان عن الإشتغال بعلوم الكتاب والسنة. فلم يكن من السهل الميسور إحياء تلك الحركة التجديدية التي بذر بذرتها الأولى الإمام السرهندي، ولكن تغيرت الأوضاع وانقلبت الموازين ببروز الشاه ولي المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى الذي رتب منهاجاً حديثاً للدعوة والإصلاح وكان هذا الرجوع إلى دين السلف، وقصر همته على نشر أفكاره وإحياء السنة وكان هذا تحولا عظيما في حياته، وقد اختار نشر أفكاره عن طريق التدريس والتاليف والدعوة والإرشاد، وقد استقاد من دروسه ومؤلفاته خلق كثير واشتغلوا بعده في نشر أفكاره وبث الروح الإسلامي ودعوة الرجوع إلى دين السلف.[45]

الشاه ولي الله الدهلوي وحركة أهل الحديث

ومن المعروف كان بروز دعوة الشاه ولي الله الدهلوي في القرن الثامن عشر الميلادي واهتمامه بإحياء السنة على طريقة السلف، وكان الشاه ولي الله من العلماء المجتهدين الذين جدّدوا علوم الدين وشيدوا أركان العلم ودفعوا الفساد عن الأرض. وللشاه ولي الله آراء قوية في تقدير الرجال وهي إن أعظم الرجال وأفضلهم المصلحين الذين يوجهون عزائمهم إلى

---

[45] . الفريواني ، عبد الرحمن: "جهود مخلصة ، ص. 60 – 62 وسيالكوتي: "تاريخ أهل حديث"، ص. 45

رفع الأمة من الدرجة السفلى إلى الدرجة العليا، وهو يقول عن أسباب الضعف للإسلام:

> "إن أسباب الضعف ليس مصدرها الإسلام بل الإسلام لا يزال على نقائه وإنما سببها المسلمون أنفسهم الذي تخلفوا عن دينهم، وإنه دافع عن الإسلام أشرف دفاع وهاجم الأنظمة والأفكار الإنغليزية، فكانت له مواقف قوية رائعة خاصة للدفاع عن الإسلام".[46]

وتختلف آراء العلماء في موقف الشاه ولي الله الدهلوي، إما هو يتعلق بأهل الحديث أو بالحنفية، فيجره الحنفية إلى الحنفية ويضيف السلفيون إلى السلفية ولكن الأحسن أن تتأمل إلى أعماله وإصلاحاته فإنه يركز نفسه على دراسة الحديث وعلمه وعمله، وكذلك يبدوا بعد دراسة عميقة لكتب المسالك الأربعة وكتب أصول الفقه والأحاديث التي تعتصم بها إستقر في القلب بتوفيق الله تعالى وهدايته إلى طريقة الفقهاء المحدثين.[47] ومع هذه الصراحة لا يرى من البأس انتسابه إلى الحنفية أو السلفية بثبات، كما أنه قام بأكثر من الأعمال التي هي على طريقة الأحناف عامة، وفي بعض الأحيان إنه يؤيد التأمين بالجهر خلف الإمام، الذي هو عمل أصلي لمسلك أهل الحديث.

---

[46]. الحسني ، عبد الحيء: "الثقافة الإسلامية في الهند"، دار عرفات راى بريلي، ص. 1979، ص. 105.

[47]. نوشهروي: تراجم علماء أهل الحديث"، ص. 227.

. وكانت الغايات والأهداف لهذه الحركة إلى أن يلفق بين المذاهب الأربعة ومذهب الفقهاء المحدثين، لا تكون فيها الظاهرية التي تشين النصوص وتبعد عنها الفصاحة والبلاغة عهدناها لدى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ولا الإهتمام البالغ بالقياس والرأي بحيث يتحكم في النصوص تدقيق العلماء وتفريعهم، ولا يبقى لها معنى واضحا كما نرى لدى الفقهاء المتأخرين الذين أنشأوا قصراً جديداً للدين حيث عجز المتقدمون.

وكذلك إهتم أصحاب هذ الحركة بعدم قبول إلى مواقف الظاهرية، فوجهوا انتقادهم إلى قواعد الفقه وأصوله التي يترتب عليها رفض الحديث وانكاره، مثل الخاص واضح فلا يلحقه البيان، والعام القطعي كالخاص والمفهوم المخالف غير معتبر.[48]

أبناء الشاه ولي الله وحركة أهل الحديث

ثم انتقلت مسؤولية هذه الحركة إلى أنجال الشاه ولي الله الدهلوي وتلامذتهم الذين ساهموا في حركة إحياء السنة النبوية.

تخرج فيها علماء ودعاة وأئمة، قاموا بنشر دعوته وإصلاحاته والأخص بالذكر منهم أبناءه الأربعة الذين رفعوا لواء السنة والتوحيد بعده. ومن بينهم: الشاه عبد العزيز الدهلوي (1746- 1823م)، والشاه رفيع الدين (1750 - 1817م) والشاه عبد القادر (1753 – 1815م) والشاه عبد الغني (1757 – 1819م). وعكف أبناء الشاه ولي الله الدهلوي على مسند أبيه في المدرسة الرحيمية بدلهي، ونشطوا لنشر آراءه وأفكاره فصارت المدرسة أكبر معهد في الهند، تبادر إليها طلاب العلم من

---

[48]. نو شهروي: "علماء أهل حديث كى تصنيفي خدمات"، ص. 145.

أرجاء البلاد. وقد تخرج على هؤلاء العلماء الكبار عدد كبير من طالبي علوم الحديث والفقه وتفسير القرآن الكريم الذين قاموا بدور التجديد والإصلاح في المجتمع الإسلامي الهندي ونشروا السنة وأحيوها.[49] وقد انتشرت هذه الدعوة في الهند على نطاق واسع. وكان بناءها الفكري والعلمي والديني على أساس قوي بحيث لم تهنه التحولات السياسية الهندية. وكانت من غاياتها تصفية الإسلام من التوهمات المخترعة والخرافات المنكرة ودعوة الناس إلى اتباع منهج السلف في مجال العلم والعمل واختيار طريق الفقهاء المحدثين في المسائل الفقهية، وفي الوقت نفسه أخذ يغادر الناشطون متوجهاً إلى الدول مثل نجد والحجاز واليمن وغيرها لتجديد هذه الحركة التي بدأها ابن تيمية وابن القيم في بلاد مصر والشام في القرن السابع و الثامن الميلاديين، والتي كانت تهدف إلى تحرير الأمة المسلمة من التقليد الجامد للأئمة المجتهدين وأتباعهم من غير دليل وبرهان، ودعوتهم إلى اتباع الكتاب والسنة، وقد التصقت هذه الحركة بفكرة الشاه ولي الله الخالصة.[50]

> "إن حركة أهل الحديث ملتقى حركات ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والشوكاني وحركة الشاه ولي الله الدهلوي للرجوع إلى دين السلف والتي تهدف إلى القضاء على المحدثات وتحرير المسلمين من

---

[49]. أجمل ، محمد: "الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي ومآثره العلمية"، ط. روز وورد بوك، نيودلهي 2012، ص. 58.

[50]. المصدر السابق: ص. 59-60.

التقليد الجامد للأئمة المجتهدين
وأتباعهم بدون دليل. ثم دعوة الناس
إلى أصل الكتاب والسنة في العقائد
والأعمال واتباع طريق السلف".[51]

وقد صرح الشيخ السيد سليمان الندوي:

"إن أهل الحديث قادها إسماعيل
الشهيد فكانت تبني على نصب
الامارة وإنشاء نظم الزكاة وإرجاع
الإسلام إلى أصله بإزالة جميع الآثار
التي طرأت عليه".[52]

وازدهرت هذه الحركة العلمية والإصلاحية بمحاولات هؤلاء العباقرة المخلصين، وكان في هذه الجماعة من ينتمي إلى الحنفية عملاً وإلى أهل الحديث عقيدة، ومنهم من ينتمي إلى الحنفية في العقيدة والعمل، ومنهم من ينتمي إلى أهل الحديث عقيدة وعملاً. ولكنهم الذين يشتركون فيه الجميع هو أنهم لا يبرزون هذا الاختلاف فقط. فمن كان منهم من يتمسك المذهب الحنفي كان يكره الجمود الفقهي والعصبية وكان هؤلاء يتوسعون في المسائل الخلافية لدى الأئمة ولم يكن يسخطهم العمل بمذهب من المذاهب. وأيضاً متأثرون بالتصوف ولكن يتنفرون من المحدثات.

ثم تطورت هذه الحركة الإصلاحية الدينية تحت رئاسة عائلة "صادق فور" السلفية ومن أبرز الشخصيات في هذا

---

[51] الفريواني، عبد الرحمان: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، جامعة السلفية بنارس 1992، ص. 39 .

[52] الندوي ، سيد سليمان: "مقدمة" نوشهروي: تراجم أهل حديث، ص. 7 .

الميدان كان الشيخ ولايت علي الصادقفوي (ت1269هـ/1852م) وشقيقه الشيخ عنايت علي الصادقفوري (ت 1274هـ/1857م)[53] وأسرتهما الذين تحملوا مسؤولية الجهاد ورفعوا رايته وأبلوا فيه بلاءً حسناً.

وقد ضحت بكل غال وثمين للحركة وسجل التاريخ بطولتهما وبطولة عائلة صادقفور في إصلاحها وإخلاصها للحركة، وقد ظلت هذه الحركة تمارس أعمالها الإصلاحية والدعوية، ونظرة دعاتها وقادتها في انشاء المدارس الدينية، وإحياء الدعوة السلفية وقد انتفع بهذه الحركة أهل الهند كثيراً بحيث لفت الناس عناياتهم إلى الإسلام، فتطورت الدعوة السلفية، ونشط رجالها لنشر السنة وإحياءها، فإن هذا جانب رائع من هذه الحركة التي ملأت بها الحياة الدينية في المسلمين. ثم شعر بعض من كان لهم علاقة وثيقة بهذه الحركة وأهدافها، وأدّوا واجباتهم فمنهم الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي، فهو بذل قصارى جهوده لنشر السنة والسلفية بطريق التدريس والتأليف والإرشاد.[54]

الحركة الفرائضية

الحركة الفرائضية أسسها المولوي شريعة الله (1781 - 1840م) عام 1804م، الذي نزل في مدينة فريدفور في ولاية غرب بنغال حالياً بعد أن قضى سنتين في الحجاز، فقد استهلت هذه الحركة السلفية المهتمة بتنقية التوحيد من الشوائب الكثيرة

---

[53]. السلفي ، محمد مستقيم: "جماعة اهل حديث كى تصنيفى خدمات"، ط. الجامعة السلفية بنارس 2002.

[54]. سيالكوتي، محمد إبراهيم مير: "تاريخ أهل حديث"، ص. 121.

التي علقت به،[55] ثم سرعان ما اكتسبت طابعا سياسيا في عهد ابنه محمد محسن الملقب بـ دادو ميان (1819 - 1861م)، الذي جمع الفلاحين والحرفيين المسلمين في مجموعات متفرقة ودعاهم لمقاومة ملاك الأراضي الكبار، إلى جانب البريطانيين، عن طريق الإضرابات والمظاهرات والهجرة وعدم إقامة الصلوات العامة كالجمعة والعيدين، ما دامت السلطة في البلاد ليست بيد المسلمين![56] محمد محسن أعطى لهذه الحركة بعداً جديداً وقوة ضاغطة.

وبدأت الحركة بقيام أعمالها الإصلاحية والاستقلالية بقيادة مؤسسها شريعة الله عام 1821م، وخلفه ابنه الذي قام بريادتها في تتميم دعوة أبيه، وتأثرت مراكز الإصلاح الدينية الأخرى أثرا بالغاً وعلماءها ومصلحيها من هذه الحركة[57]. وكان المجتمع الإسلامي في أسوأ حال آنذاك، وقد تم الاحتلال عليه من الاستعمار البريطاني، وكانت هذه الحركة كحركة سيد أحمد البريلوي في الهند وكحركة محمد بن الوهاب (1703 – 1792م) في الحجاز ويسمى لها أيضاً "حركة كتابية" أي مأخوذة ومنقولة من الكتاب والسنة[58]، وهذه الحركة كانت تعتقد بالعقائد الصحيحة وتكره الاعتقادات الباطلة المشهورة في الناس. وتوجهت هذه الحركة عنايتها إلى المجتمع الإسلامي وإصلاحه، وتعرف بـ "الحركة الفرائضية" لأنها كانت تلتزم على القضايا

---

[55]. انجينير ، أصغر علي: "They too fought for India's freedom: The role of minorities"، ص. 20

[56]. نفس المصدر: ص. 20.

[57]. شيخ محمد اكرام: "آب كوثر"، ط. ادبي دنيا ماتيا محل دلهي، 1998، ص. 135

[58]. مكي ، الدكتور مختار أحمد: "تحريك آزادي اور هندوستاني مسلمان" ط. قاضي Publishers and distributors، دلهي، الطبعة الثانية 2003، ص. 67 – 68.

الدينية الأساسية للإسلام.[59] ولكنها أصلاً كان هدف هذه الحركة هو تشجيع المسلمين على أداء واجباتهم نحو الدين ومنعهم من العادات الدخيلة مثل تعظيم القبور وتقديم القرابين إليها، ويقال أن حاجي شريعة الله تأثر بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيام مكوثه في الحرمين الشريفين.

حـــركـــة دار العلوم ديـــوبنـــد

أدرك بعض أصحاب شاه ولي الله الدهلوي حاجة الإصلاح والإرشاد في هذا القرن بأن يبدو على أن الطبقات الراشدة الأخرى لم تكن نشيطة في الشؤون الدينية الإصلاحية، فإنها انقسمت إلى جهتين جديدتين بوجه خاص، أحدها توجهت عنايتها تجاه دراسة الفقه وكتابة الفتاوى حول قضايا عامة المسلمين، فبهذه المناسبة إنها انفصلت عن خطوط الطريقة النقشبندية والمجددية وبذلت جهودها في تصفية النفس وتزكيتها فقط. وكانت الجهة الثانية أكثرها تمثيلية اهتمت بالتمرد العسكري في إمبراطورية القديمة، يعتبره عملاً إسلامياً عن طريق الجهاد[60]، ولكنها باءت بالفشل في هذا المجال. أما السابقة فهي كانت شائعة معروفة ليست لأسرة شاه ولي الله فحسب، بل لجميع فرق من العلماء لهذا القرن. وكانت فكرة ولي الله مبنية على الكتاب والسنة وتطورت بعد وفاته كمصدر أساسي وتناولت هذه

---

[59]. Ahmad , Moinuddin: "A History of the Fraidi Movement in Bengal", 1987. P. 11

[60]. Gopal , Ram: "Indian Muslims", (A Political History), Bombay. pp. 22-23

الفكرة بعدد كبير من المسلمين لإنشاء المعاهد الدينية، وانبثقت هذه الفكرة انبثاقاً واسعاً وخرجت منها حركات إصلاحية كثيرة.[61]

نقابة العلماء في ميدان التعليم والتدريب

فبان الذين كانوا يتدرسون في مدينة دلهي عام 1840م منهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي (1833 – 1877م) الذي ساهم مساهمة كبيرة في حركة الإصلاح، و رشيد أحمد الكنكوهي (1829 – 1905م)، كانا يريدان إقامة المجمع العلمي في مدينة ديوبند بعد أن قامت الثورة 1857م[62]. وكان الرجل الثالث وهو الحاج إمداد الله (1815 – 1899م) الذي لعب دوراً بارزاً في مجال التصوف في الهند وأصبح صوفياً حيث بايع على يديه عدد كبير من العلماء البارزين في ذلك العصر، وهاجر الحاج إمداد الله إلى مكة وعاش بها وتأثر به معظم العلماء البارعين وتلخص هؤلاء الرجال الثلاثة همتهم المبكرة خلفة كثير من العلماء في هذا العهد، وكان كل واحد منهم ينتمون إلى بلاد المجاورة ومكثوا في مدينة دلهي لمدة قليلة. ثم رجعوا إلى قراهم حسب مسؤولياتهم الدينية. وفي هذه الأعوام المبكرة لعب الشيخ محمد قاسم النانوتوي دوراً نشيطاً في مجال الإصلاح والتقويم

---

[61]. فاروقي ، زبير أحمد: "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي"، دار الفاروقي نيودلهي1990. ص18.

[62]. Desai , Z. A.: "Centres for Islamic Learning in India", Publications Information Division, Ministry of and Broadcasting, Government of India, New Delhi, 1978, pp. 174-175.

ولاسيما في الأعمال المهمة للنشر والطباعة في مجموعات أعمال شاه ولي الله وأبناءه في خدمة الحديث ودراسته.[63]

عقد برامج إصلاحية وثورة 1857م

وبعد جهد جهيد تيسّر لهم أن يعدّوا برامج إصلاحية لأداء موهباتهم الشهيرة في ضوء توجيهات السيد أحمد الشهيد البريلوي. وأصبحوا نظيراً في الطريقة الصوفية في جميع أرجاء البلاد حينذاك، وخاصة بعد ما حدثت كارثة 1857م ولا يمكن للمصلحين أن يختاروا نفس السبيل الذي اختاره سيد أحمد البريلوي، وكانت تساعد حميته في نشر تأويلاته الأصلية الذائعة للقانون وصاروا له الوارثين الدائمين.[64]

بعد ما فشلت ثورة 1857م الشهيرة ضد الإستعمار الإنغليزي في شبه القارة الهندية التي قام بها الشعب الهندي، وتناهت الحالة سوءًا؛ حيث لفظت الدولة المغولية الإسلامية المزعومة في دلهي أنفاسها الأخيرة؛ إذ فشلت الثورة بمؤامرات تم تدبيرها من داخل الصف، وبقوة الجنود والبنود وكثرة العَدَد والعُدَد من قبل الاستعمار، وعلى ذلك فتم استيلاء الإنغليز على الهند كلها شرقا وغربا، فوضعوا السيف في المسلمين في دلهي وفي أرجاء البلاد ، وكثر القتلى والجرحى، وامتلأت الشوارع والطرقات بجثث الشهداء، وتعرض العلماء ورجال الفكر والدعوة خصيصًا لغضب الإنغليز، فقتلوا تقتيلا وشرّدوا تشريدًا، وأعدموا شنقاً بعدد لا يُحصى. ومن تخلص منهم من ذلك كله نُفوا إلى

---

[63] Barbara Daly Metcalf: "Islamic Revival in British India- Deoband-1800-1900" Princeton University Press, New Jersey, 1982. P. 48

[64] گيلاني ، مناظر أحسن: "سوانح قاسمي" ط. مكتبة دار العلوم ديوبند 1993. ص. 24 .

جزيرة "إندومان" التي كانت منفى سياسيًا على عهد الإنغليز، لكونها غير ملائمة طبيعيًا وجغرافيًا للحياة الإنسانية والصحة البدنية.[65]

وبعد ما رسبت محاولات صدام مكشوف مرات كثيرة مع الاستعمار الإنغليزي الذي كان قد قضى نهائيًا على الدولة المغولية الإسلامية، وأحكم قبضته على الهند من أدناها إلى أقصاها، كانت آخر هذه المحاولة الجريئة معركة الجهاد التي خاضها الشيخ محمد قاسم النانوتوي وزملاؤه وشيوخه العظام في الطريقة بقرية "شاملي" بمديرية مظفر نغار، بولاية أوترابراديش، تلك التي سقط فيها أحد العلماء الكبار الحافظ ضامن علي الشهيد وغيرهم من الذين استشهدوا على أرض المعركة.[66]

ثم خيّم الظلام على الهند كلها؛ حيث اغتصب الإنغليز جميعَ الأوقاف والعقارات والإقطاعات التي كانت تُمِدّ المدارسَ الإسلامية بإحياءها،[67] وعملوا على تجفيف منابع الإشعاع والإصلاح والفكر والدعوة والتعليم والتربية، حتى يتحول المسلمون مع الأيام جُهّالاً يسهل صوغهم في بوتقة المسيحية المحرفة.

---

[65]. رضوي، سيد محبوب: "تاريخ دار العلوم ديوبند"، مكتبة دار العلوم ديوبند، 1992، ط. 16.

[66]. الأسعدي، عبيد الله: "دار العلوم ديوبند: مدرسة فكرية توجيهية، حركة إصلاحية دعوية، مؤسسة تعليمية تربوية"، ط. أكاديمية شيخ الهند، ديوبند 2000، ص. 28.

[67]. Barbara: Islamic Revival, p. 241

مكافحة العلماء ضد الأديان الأخرى

وبعد ما اشتدت وطأة التبشير المسيحي على الدين الإسلامي الذي كانت تُمِدُّه دولة الاستعمار الإنغليزي الموطدة الأركان، الشامخة البنيان، الممتدة الأطراف التي كانت لا تغرب عنها الشمس. وبعد ما كثرت هجمات الدعوة الهندوسية على الإسلام التي كانت تضم صوتها مع صوت التبشير في أغلب الأحايين.

بعد ما حصل كل ذلك، وأصبح المسلمون بالنسبة إلى الاحتفاظ بدينهم وعقيدتهم كالغيث في الليلة المطيرة الشاتية، فكَّر علماء الإسلام والمسلمين وقادتهم في الهند في جميع الطرق التي كانت من شأنها أن تساعدهم على عملية الإبقاء على الكيان الإسلامي في هذه البلاد والحفاظ على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وعقيدة الدين الإسلامي الأصيلة؛ فبدأوا بسلسلة إنشاء المدارس الإسلامية الأهلية السائرة بتبرعات عامة الشعب من المسلمين، واعتقدوا أن ذلك هو وحده الطريق الأنجع الأسلم إلى بقاء الإسلام والمسلمين في هذه الديار في مثل هذه الظروف؛ حيث ستنتشر بذلك علوم الكتاب والسنة والتعاليم الإسلامية.[68]

وكان على رأس هؤلاء العلماء والمشايخ الشيخ محمد قاسم النانوتوي الذي أسس مدرسة صغيرة بتعاون من زملائه ومشوراتهم، أمثال: المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي (المتوفي 1904م) والحاج عابد حسين

---

[68]. رضوي، سيد محبوب ، مقال له قام بترجمته وتعليقه إلى العربية الأستاذ عارف جميل القاسمي نشرته مجلة الداعي الشهرية في عددها الصادر 8 في شهر حزيران/يونيو 2013، ص. 55.

الديوبندي (1834 - 1912م) والشيخ محمد يعقوب النانوتوي (1833- 1884م) والشيخ رفيع الدين (المتوفى 1890م) والشيخ فضل الرحمن العثماني الديوبندي (المتوفى 1907م) وذلك بيوم الخميس المؤرخ في يوم 15 من شهر محرم الحرام 1283هـ ما كان يوافق 30 مايو/أيار 1866م، في مسجد أثري صغير (يقع جانب الجنوبي الشرقي من حرم المدرسة واليوم يُعْرَف بـ "مسجد شته")[69]، كانت نواتها مدرسًا واحدًا باسم "الملا محمود" وتلميذا واحدًا كان اسمه "محمود حسن" الذي اشتهر لاحقاً بـ "شيخ الهند" والذي قاد حركة تحرير الهند بشكل أثمر الاستقلال (1851 - 1920م). وذلك بقرية "ديوبند" التي كانت لا تتمتع بأية ميزة آنذاك، ثم صارت قرية شاملة بذريعة هذه المدرسة التي سُمِّيَتْ لدى تأسيسها تسمية بسيطة باسم "المدرسة الإسلامية العربية" ثم اشتهرت القرية وذاع صيتها بـ "ديوبند" خلال أيام قليلة أرجاءَ الهند حتى تجاوز إلى البلاد النائية، حتى صارت الآن مدينة نالت من الشهرة ما لم تنله كثير من المدن الرئيسية في الهند. وهي تقع على مسافة نحو 150 كيلو متراً الجانب الشمالي من دهلي عاصمة الهند.[70]

تأسيس مدرسة ديوبند

وجاء تأسيس مدرسة دار العلوم – بديوبند على رسوخ العقيدة والإيمان، والنشر المتوازن العادل للعلم والروحانية وعلى أساس الجمع بين مقتضيات القلب والعقل، من هنا سرت روح

---

[69]. الحسني ، عبد الحي: نزهة الخواطر، ج8، ص. 550.
[70]. أسعدي، محمد عبيد الله: "دار العلوم ديوبند: مدرسة فكرية توجيهية"، ص. 61.

المحافظة على الشعائر الإسلامية وعاطفة الكفاح المستميت لحفظ كيان الإسلام وشوكته في جميع المنتمين إلى هذا المعهد والمنتسبين إلى هذه المدرسة الفكرية الشاملة.[71] ولم يزل نطاق المدرسة يتسع، وصيتها يذيع، وشهرة أساتذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم، حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند، ومن الأقطار الإسلامية الأخرى[72]. وكان للمتخرجين في دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محو البدع وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان جائر[73].

وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين، والتصلب في المذهب الحنفي والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة.

حركة علي غراه (حركة سيد أحمد خان)

اندلعت نار الثورة في عام 1857م، وقام الهنود بحركة عنيفة يخربون المستعمرات والمباني ويقتلون الإنغليز حيثما وجدوهم، ويدمّرون ما وصلت إليه أيديهم، وهاج الرأي العام على الإنغليز هياجاً شديداً. ولكن كان رأي السيد أحمد خان هادئاً متزناً مخالفاً للرأي العام فرأى أن هذه الثورة لا تأتي بنتيجة،

---

[71]. رضوي، سيد محبوب: مقال له ترجمه إلى العربية بعنوان "افتتاح الجامعة الإسلامية دار العلوم/ديوبند" الأستاذ عارف جميل القاسمي نشرته مجلة الداعي الشهرية في عددها الصادر 1-2 في شهري نوفمبر/ديسمبر 2013، ص. 45.

[72]. Sarkar, Sumit: "Modern India (1855 - 1947), Mcmilan India Limited, New Delhi, 1995, 9th Ed., p. 78.

[73]. الحسني، ابو الحسن علي: "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها" ط. المجمع الاسلامي العلمي لكناؤ 1986، ص.21 - 22

وتأتي النتيجة بعودة الإنغليز إلى السيطرة مرة ثانية من غير فائدة. وأن قتل الإنغليز عمل غير إنساني. ولذلك وضع خطة الجهد مع بعض أصدقائه لمنع الإنغليز من القتل والدمار، فنجا على يده ويد أصدقائه كثير. فلما هدأت الثورة، عرف الإنغليز فضله، وحفظوا له. ومن ذلك الحين تأكدت الصلة بينه وبين الإنغليز. فبدأ أعمال الإصلاح في الشعب الهندي. ولم يعجب السيد أحمد خان هذا كله، وتساءل في حزم، فاعلة هذا الجهل وضيق العقل والفقر وسوء الحال؟ وأجاب في حماسة! إنه التربية؛ ومن ذلك الحين بدأ يضع منهج التربية التي يريدها. وصادف ذلك أن ثورة عام 1857م كشفت لعقلاء المسلمين في الهند حالهم ووجوب تغيير موقفهم وشعورهم بتخلفهم من الطوائف الأخرى فتناغم تفكير "السيد أحمد خان" واستعداد الرأي العام المتنور، فانتج هذا التناغم حركة إصلاح تعد نقطة تحول في تاريخ المسلمين في الهند[74]. وقال مخاطباً شعبه:

> "انظروا إلى إنكلترا، لقد كانت ثروتها تتمشى يوماً فيوماً مع تربيتها، كلما زادت تربيتها زادت ثروتها، وقد كانت قبل قرن عوائق التي تعوق التربية أكثر مما عندنا، ولم يكن لها إذ ذاك سكك حديدية ولا آلات ميكانيكية للطباعة وإنما كان لها سعة نظر وقوة إرادة".[75]

---

[74] Eliade, Mircen (ed): "The Encyclopedia of Religion", Mcmilan Publishing Company, New York & London, vol. 7, P.57.

[75] مظهر حسين : "علي كرهـ تحريك"، انجمن ترقي أردو، دلهي 1982، ص. 44-45 .

وأول ما بدأ به خطته في التربية أنشأ جمعية أدبية علمية في علي غراه، وكان الغرض منها إشاعة الآراء الحديثة في التاريخ والاقتصاد والعلوم، وترجمة أهم الكتب الإنغليزية إلى اللغة الأردية. وكان يرى أن تعلم هذه العلوم باللغة الإنغليزية لا يكفي إلاّ بعدد قليل من المثقفين، إنما الذي يفيد فائدة كبرى نقل هذه العلوم إلى لغة البلاد حتى يشترك في تفهمها والاستفادة منها عدد كبير، ولذلك نقل هذه الكتب الهامة من اللغة الإنغليزية إلى اللغة الأردية، ولم يمنعه إعجابه بالإنغليز ولغتهم وثقافتهم من أن يكون صلباً حازماً شديداً في طلبة نقل الكتب الإنغليزية للشعب. ولكن سرعان ما هاج عليه الرجعيون من رجال الدين، يتهمونه بإفساد العقول وإفساد الدين والوطنية، واشتبك في حرب عوان معهم انتهت بانتصاره بوضعه الحجر الأساسي لكلية فيكتوريا بمدينة غازي فور، اوترا براديش-الهند.[76]

مغادرة السيد أحمد إلى إنكلترا وعودته منها

وسافر إلى إنكلترا وقابل كثيراً من عظمائها، ولفت نظره تربية الإنغليز الشعب أكثر مما لفت نظره إلى تربيتهم وخاصة المتعلمين. يجب تغيير كل ذلك، ووضع منهج لمسلمي الهند غير المنهج الذي يسيرون عليه.[77] عاد السيد أحمد من إنكلترا وهو عاقد العزم إصلاح حال المسلمين في الهند عقلاً وديناً ولغة وخلقاً واجتماعاً، سواء في ذلك خاصتهم وعامتهم،

---

[76]. Barbara Daly Metcalf: "Islamic Revival in British India- 1982. P. 324

[77]. أحمد أمين: "زعماء الإصلاح في العصر الحديث"، ط. كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية، 1992، ص. 132.

مصمم على أن يغزو الجهل والجمود بكل ما يستطيع من قوة، وأن يحمل المسلمين بكل الوسائل على أن يتقبلوا المدنية الحديثة في علومها وفنونها قبولاً حسناً، ويستخدموها في ترقية حياتهم؛ وأن يبذل الجهد في التوفيق بين الإسلام والمدنية الحديثة... فالإسلام في جوهره وأصله معقول واسع الصدر لأحكام العقل غير مناهض لما يثبته العلم، فإذا نقيَ مما لحقه، وأن يقبل المسلمون على العلم الحديث من غير حرج.[78]

وجعل من أول خططه بعد عودته أن ينشئ في الهند جامعة تكون للمسلمين تربي الخاصة، ثم هم يربون العامة؛ ومازال يكدّ ويسعى ويجمع المال ويبذل قصارى جهوده في سبيله و أخيراً فاز بإنشاء كلية في علي غراه المشهورة وعين لها ثلاثة أهداف:

1- أن تعلم المسلمين الثقافة الغربية والشرقية من غير تعصب ولا جمود.

2- أن يعني فيها بحياة الطلبة الاجتماعية، فيجدوا فيها سكناً يقيهم من شرور المدن ومفاسدها، فيطمئن الآباء حين يرسلون أبناءهم إليها إلى أنهم في بيئة صالحة لخلقهم، مراقبة لآدابهم.

3- أن يعني في نظام الكلية بترقية العقل وتربية المدن وتهذيب الخلق معاً، وبعبارة

---

78. Mohammad, Shan: "Successor of Sayed Ahmad Khan", Idara Adabiat, Delhi. 1981. P. 16-17

أخرى يكون الغرض منها "التربية" لا التعليم فقط".[79]

دوره في مجال النشر والتهذيب

فلما فرغ من تأسيس هذه الكلية أخذ يعمل في اتجاه آخر، فأنشأ مجلة دورية سماها "تهذيب الأخلاق" الأردية، عالج فيها المشاكل الاجتماعية والدينية في جرأة وصراحة، وأخذ يفسر القرآن، ويدعوا إلى فهم القرآن صحيحاً وإذ اتفق مع العقل وأن النظر الصحيح يوجب الاعتماد على روحه أكثر من الاعتماد على حرفيته أو كلماته وأنه يجب أن يفسر على ضوء العقل والضمير[80]. ثم كانت له فكرة عظيمة نافعة، وهي أن يجمع مؤتمراً كل عام يجتمع فيه قادة المسلمين من الأقاليم الهندية المختلفة كل عام في مدينة، يلقون فيه الخطب والمحاضرات نافعة عن الشؤون الإسلامية وأمراض المسلمين وعلاجها ويصدرون القرارات التي يرونها نافعة في ذلك. وكان الغرض الذي يرمي إليه رأي السيد أحمد منه بث روح الائتلاف بين المسلمين في البلاد الهندية، وتبادل الآراء في خبر الوسائل لترقيتهم، والتعاون على الأعمال المفيدة من إنشاء المدارس أو النهوض بها أو نحو ذلك[81]. وقد نفذت الفكرة ثم استمر يجتمع حياته برناسة بعض أصحابه وأتباعه، وهو يقول:

"إن النور اليوم يأتي من الغرب بعد أن كان يشرف من الشرق فيجب أن نأخذ من أوربا

---

[79]. الحسني ، عبد الحي: "نزهة الخواطر"، ج 8، ص. 39.

[80]. نظامي ، خليق احمد: "سرسيد اور عليكره تحريك"، 1982، ص. 45.

[81]. Gopal , Ram: "Indian Muslims", p. 47.

علومها ومدنيتها، ونسير مع الزمان في مضمار الحياة العصرية، وذلك لا يُفقد المسلمون شخصيتهم ودينهم، إنما يفقدهم ذلك الجهل لا العلم، وإن التعليم كان في الزمن الماضي دينياً محضاً لا يعبأ بالدنيا وما فيها وقد تطرف في الأولى وأخلّ بالثانية، وفحبّذا الجمع بين الدين والدنيا". [82]

الإرتكاز على ترويج اللغة الأردية

فقد رأى مسلمو الهند ناشئة جديدة عاقلة مفكرة مهذبة تصلح للحياة و إن كلية عليغراه تنتج في البلاد حركة فكرية بديعة، وتؤلف الكتب القيمة في أسلوب جديد، وأخذت الحياة تزدهر بين المسلمين بعد خمودها، واتضح أن السيد أحمد خان مصدر نعمة وبركة، وان اختلفوا معه في بعض آرائه. ثم كانت له خطوة أخرى للاصلاح في اللغة الأردية، لقد كانت هذه اللغة قبله كاللغة العربية في عهد الظلام فكانت مجموعة عشق وغرام ومديح، فنقلها إلى آفاق واسعة، واستخدمها في موضوعاتها المختلفة من السياسة والاجتماع والأخلاق والتاريخ والأدب وكل ذلك في أسلوب متين مع القوة والسلاسة والسعة وغزير المعنى وخالٍ من التصنع. ثم اعتنى بهذه اللغة وأدبها، ونقل كثيراً من أطيب الآداب الأجنبية إليها. وكان له رأي بديع في الترجمة إلى

---

[82] . Metcalf: "Islamic Revival in British India", P. 326

اللغة الأردية وهو عدم التقليد بالحرفية في الترجمة، ويرى أن هذا أسلوب واه ضعيف. وإنما الواجب أخذ الأفكار وعرضها عرضاً جديداً بطريقة تتفق ذوق الهنود وتلا أفكارهم ولم تكن اللغة الأردية تشتمل على مصطلحات علمية، فحاول وضع مصطلحات اللغة الأردية التي تتناسب مع العلم وسار على هذا المنهج طلبته.[83]

حركة ندوة العلماء

أنشئت الحركة سنة 1894م كجمعية إسلامية أهلية عامة باسم "ندوة العلماء" بمدينة لكناؤ وهي عاصمة ولاية أوترا براديش الهندية، وكان مؤسسوها الشيخ شبلي النعماني (1857 – 1914م) والشيخ محمد علي المونغيري (المتوفي 1927م) ورجال الدين الإسلامي الآخرون وذلك في حفلة قام بعقدها كبار علماء شبه القارة الهندية للقيام بمشورات في أوضاع المسلمين المتغلبة وظروفهم الراهنة. حين اشتدت وطأة الاستعمار الإنغليزي وأصبح المجتمع الغربي الزاحف إلى الشرق وتبهر عيون السذج والطبقة المتحضرة بالعلم والمعرفة منهم، وفي الوقت عينه كان رجال العلوم الدينية الإسلامية في تشاجر وعراك على خلافاتهم الفقهية وصراعاتهم المذهبية دون أن يبالوا بالمخاطر المحدقة بالإسلام والمسلمين. وقد برزت فكرة ندوة العلماء في 1893م على نطاق أوسع بعد نشوب الخلافات بين المسلمين في اجتماع لهم بمدينة كان فور الهندية، وكان الهدف

---

[83] القاسمي، عطاء الرحمن: "ألواح الصناديد"، مولانا أبو الكلام أزاد أكادمي دلهي. 1990، ص. 54

من هذه الندوة إزالة الخلافات بين رجال الدين المسلمين في الهند، ووضع برنامج تعليمي لإصلاح المناهج الدراسية ومقرراتها طبقاً لحاجة الأمة الإسلامية في ظروفها المتجددة وذلك لتمكين المتخرجين في العلوم العربية من الدراسة في العلوم الحديثة أيضاً فأنشئت مدرسة باسم "دار العلوم ندوة العلماء" بمدينة لكناؤ-الهند.[84]

تأليف أعضاء الندوة

كان الشيخ محمد علي المونغيري الأمين العام الأول لندوة العلماء ثم خلفه الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (1852 – 1927م)، ثم خلفه الشيخ مسيح الزمان الشاهجهانفوري، ثم خلفه الشيخ عبد الحي الحسني (1869 - 1923م)، ثم خلفه الشيخ الأمير سيد علي حسن خان، ثم خلفه الدكتور الشيخ عبد العلي الحسني (1893 – 1961م)، ثم خلفه الشيخ أبو الحسن علي الحسني (1914 – 1999م)،[85] وبعد أن لبّى الشيخ أبو الحسن الحسني دعوة ربه متوجهاً إلى رحمته الأزلية عام 1999م يتحمل مسؤولية نظام وإدارة ندوة العلماء الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي على عاتقه حتى الآن.

---

[84] . عبد الحق شجاعت علي: "الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية بعد استقلال 1947"، المعهد الديني دلهي1989، ص. 14

[85] . الأميني، نور عالم خليل، مقال له نشرته مجلة الداعي الشهرية تصدر عن مدرسة دار العلوم بديوبند في عددها الصادر 5، سنة 37، لشهري مارس وأبريل 2013

الأبعاد الثلاثة الهادفه

اهتمت جميعة ندوة العلماء بمهامها العملية ثلاثة أبعاد في المجتمع الإسلامي الهندي، أولها إصلاح المنهج التربوي والتعليمي وتطويره حيث دعت حاجة المسلمين الزاهية وصونه وصياغته لتتجسد بحاجة حياة المجتمع الإسلامي المعاصر، وبذلوا جهدهم في هذا المجال لخمس سنوات متتالية إلى أن وصلوا إلى قرار إقامة مدرسة شاملة تكون نموذجاً لتطبيق فكرتهم لنظام التعليمي، وقاموا بإنشاء مدرسة المدعوة "دار العلوم" الآنفة الذكر. والبعدين الآخرين من الأبعاد الثلاثة التي ندوة العلماء قامت بعنايتها هي "جمع كلمة المسلمين"، وخلق التسامح الديني والاجتماعي في المجتمع الإسلامي الهندي وزعماء مسالكه الفقهية. و"تصحيح المفاهيم الدينية"، وإخضاعها لما تبث من الكتاب والسنة وتأييد الفكر الإسلامي عن طريق الكتابة والتأليف والترجمة والنشر.[86]

وقد تمكنت الحركة أن تقوم بأداء واجباتها بشكل فريد من نوعها وقد أوجدت تقارباً أخوياً بين عديد من الفئات الإسلامية المتباعدة، وجمعت على ساحتها في دوراتها السنوية التي عقدت في كل عام طيلة ثلاثين سنة منذ نشأتها أصحاب الفكر الديني الإسلامي الذين يخالفون خلافا باتا من فكرة ندوه العلماء، وزعماء المذاهب الفكرية المتعارضين لها، رغم أنهم كانو شديدي التباعد قبل ذلك فيما بينهم، ولكن دعوة ندوة العلماء بجهود رجالها على كرامة الدين الإسلامي المخلصين للأمة

---

[86]. الحسني ، محمد الرابع: "ندوة العلماء: فكرتها ومنهاجها"، ط. مؤسسة الصحافة والنشر، لكناو-الهند 2001، ص. 5.

الإسلامية لم تذهب دون جدوى بل إنها نجحت في تثبيت قلوب متباعدة، والتاليف بين آمال متعارضة، وقربت بين الأحناف والشوافع وبينهم وبين جماعة أهل الحديث، وكان يرى ذلك مستحيلا في ظروف ذلك العهد، واستمرت مجالس ندوة العلماء ومراكزها التربوية ومعاهدها للتعليم متصفة بهذه الصفة.[87]

أثرها وانتشارها

أما في مجال الفكر الإسلامي وبثه في أوساط المسلمين فقد استطاعت ندوة العلماء أن تنجز غايتها في ذلك عن طريق إنشاء المجاميع والأكاديميات للأبحاث العلمية والمكتبات العامة ودور النشر، مثل أكاديمية شبلي، المجمع الإسلامي العلمي وغيرهما.

وقد أثرت جمعية ندوة العلماء ودعوتها وفكرتها وخدماتها على رجال العلم الآخرين خارج محيط ندوة العلماء أيضاً فقد اتبع عدد منهم أسلوبها وانتهج منهجه في ذلك، وكان في إنتاجهم ثروة علمية وفكرية إسلامية كبيرة، ومن أهم هؤلاء المسايرين مع فكرة ندوة العلماء الشيخ عبد الماجد الدريا آبادي (1892 – 1977م)، الشيخ السيد سليمان الندوي (1884 – 1953م) وغيرهما من العلماء والمفكرين البارزين في الهند.

وتتوسط ندوة العلماء بين المدارس القديمة التي تتمسك بالقديم وترى العدول عنه ضرباً من التحريف ونوعاً من البدع، وبين الجامعات المدنية التي تستبرك الجديد وتستهين بكل قديم، تتوسط بين تلك وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء. وخاف

---

[87]. القرضاوي، يوسف: "ندوة العلماء بالهند ودورها المعاصر"، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، 2012، ص. 12.

مؤسسوها على المسلمين من المحافظين ومن المتطرفين، ومن اعتزال العلماء عن الحياة وتخلفهم عن ركب الثقافة والعلم، ومن العصبيات المذهبية والمشاجرات الفقهية التي قويت ونشطت في العهد الأخير[88].

الجمع بين القديم والجديد

وتأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وان منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم.[89]

عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم "الرسالة الخالدة" وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل، وعنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينة خزائنه، ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب، لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار أو الأسعار كما كان الشأن في الهند، وقللت قسط بعض العلوم القديمة التي لا تفيد كثيراً وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التي لا غنى عنها للعالم العصري

---

[88]. الحسني ، ابو الحسن علي: "أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، المجمع الإسلامي العلمي، 1995، ص. 42

[89]. Metcalf: "Islamic Revival in British India", P. 452.

الذي يريد أن يخدم دينه وأمته[90]. واجتهدت أن تخرج رجالاً مبشرين بالدين الإسلامي الخالد لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر، وبأسلوب يستهوي القلوب، أمة وسطاً بين طرفي الجمود والجحود، وقد نجحت في مهمتها نجاحاً لا يستهان بقيمته، فأنجبت رجالاً هم خير مثيل للعالم المسلم العصري، لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية والتاريخ.[91]

---

[90]. الندوي ، عبد الحليم: "مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ط. مطبعة موري المحدودة، مدراس 1986، ص. 35.

[91]. الحسني ، أبو الحسن علي: المسلمون في الهند ص. 113.

دور مدرسة رحيميه في الهند

قد قام المحدثون والعلماء المتأخرون بإعتراف الحقائق الثبوتية أيّما أثر ونقذ شاه ولي الله بأفكاره البالغة وابتكاراته البديعة على الأمة المسلمة الهندية المتخلفة، كيفما يمكن لبطلنا أنور شاه أن لا يتأثر بهذا المحدث الجليل البارع الذي لعب دوراً هاماً في إصلاح المجتمع الهندي الإسلامي، حيث أنه بدأ مهمته بطريقة بديعة أن يحمس عامة الناس ديناً واعتقاداً، وجعل طبقة العلماء المزعومين المعاصرين أن يرغبوا في الحديث والقرآن فهماً وإدراكاً. نتشرف في السطور التالية نبذة ببيان آثاره العلمية والفكرية.

قلما نجد بين الأئمة والأعلام الذين قاموا بدور إصلاحي واضطلعوا بأعباء التجديد الإسلامي عبر القرون مثل ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي من حظي بالقبول بين الناس فلا يزال يعتز بالانتماء إليه العلماء والجماهير على حد سواء. ويفتخر بالانتساب إليه كل واحد، سواء كان يعرف منهجه الفكري أولا، فنرى أن علماء الأحناف وشيوخ طائفة أهل الحديث ورجال السلوك والتصوف كلهم يدّعون أنهم على منهج ولي الله الدهلوي، وليت هذه الظاهرة استخدمت في توحيد كلمة المسلمين وسد الفجوة بين الجماعات المختلفة التي لا توجد بينها خلافات جذرية أو ترك الناس الجناية على هذا الرجل النابغ الذي اختار منهجاً وسطاً وفكراً معتدلاً في المسائل الخلافية.[92]

---

[92] أبو الحسن علي الحسني: "رجال الفكرة والدعوة"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ 1993، ص 295.

ولتوضيح المنهج الفكري للشاه ولي الله يلزم أن نلقى ضوءاً على الدور الذي قام به ولي الله وأنجاله في إصلاح المجتمع وتخليص الناس من الجمود الفكري والإساءة إلى أئمة الدين المهديين الذي استنبطوا الأحكام الشرعية من منابع الشرع الإسلامي الأصيلة.

نشأ ولي الله في فترة هذا القرن (القرن التاسع عشر الميلادي) بلغت فيها الفوضى العلمية والسياسية نهايتها فكانت الإمبراطورية المغولية قد تفككت أوصالها واضمحلت بناءها وكادت تلفظ أنفاسها الأخيرة، وأصبح الملوك الذي تتابعوا على عرش الحكم خلال تلك الفترة كأيتام بين أوصياء لنام لسلطة الشركة الإنكليزية وقوتها وضغطها البالغ على نظام الحكم القائم، وقد عاصر ولي الله تسعة ملوك ليس لهم من السلطة إلا اسمها ولا هم لهم سوى الانغماس في الملذات والتمتع بالشهوات.[93]

أما الناحية العلمية فقد كانت عناية العلماء بالفلسفة اليونانية بلغت إلى حد التقديس، فكان شغلهم الشاغل هو التعليق والتحشية على الكتب العقلية وكانت تفعل تلك العلوم فعلها في إبعاد الناس عن العقيدة الصافية وقطع صلتهم عن مصادر التشريع الإسلامي الأصيلة.

أما عامة الناس وجماهيرهم فكانت التقاليد الخرافية تسربت فيهم ولم يبق من التصوف إلا الرسوم والشعائر. في هذا الجو القائم، ولد الشاه ولي الله في بيت عريق في المجد وأسرة مؤمنة كريمة، وكان أبوه من العلماء البارزين الذين شاركوا في

---

[93]. عبد الرحمن الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة"، ط. إدارة البحوث الإسلامية، بنارس، 1986، ص. 69 - 70

إعداد موسوعة فقهية معروفة "بالفتاوى الهندية" (الفتاوى العالمگيرية)، وأسرته كانت صوفية تنم عنها كلمة "الشاه" التي لا زالت جزءاً من اسمه وأسماء آبائه وأنجاله وأحفاده. نشأ ولي الله على حب الاطلاع والعكوف على العلم والعمل، ونبغ كالعباقرة وأفذاذ الرجال وقام بدور خالد في إصلاح الناس وإبقاء المسلمين على دينهم وعقيدتهم و لا تزال ترتج أرجاء الهند وأجواءها بكلماته الإصلاحية الحكيمة والمكتبات الإسلامية مزدانة بمؤلفاته وآثاره القيمة وقد حظي بالنجاح في عمله، وأنشأ جيلاً من أبناءه و تلاميذه وتلاميذ أنجاله وأحفاده، حملوا أعباء الإصلاح والتجديد الجسيمة بعده، وقاموا بالسقي والتشذيب للدوحة الزكية التي غرسها، وكل ما يشاهد اليوم من ذبوع تعاليم القرآن والسنة وانتشار التعاليم الدينية يرجع فضله إلى الشاه ولي الله الدهلوي وأسرته وأنجاله وأحفاده وتلامذة أبنائه وأحفاده ونوروا جميع أنحاء الهند المظلمة بأنوار الكتاب والسنة، هكذا يحدث عنه التاريخ، وكل من له نصيب في العلم ينتمي إلى بيته العلمي والفكري.[94] أما موقفه الفكري ومنهجه في فهم الكتاب والسنة فلا ينكر من له إلمام بكتبه انه لم يتخلص من النزعة الصوفية لا هو ولا أحد من أنجاله وأحفاده. ولا حاجة إلى العناء في البحث عن منهجه ونزعته الصوفية أو اشتغاله بالأعمال والعلوم التي أوجدها التصوف الشكلي لأن مؤلفاته تزخر بالدلائل الواضحة الصريحة، بل لا يخرج شيء من أفكاره وعلومه من الإطار الفلسفي الصوفي النادر أو لو قام أحد بمراجعة مؤلفاته لوجد في

---

[94]. الداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد خاص (4) صادرة عن مدرسة دار العلوم ديوبند، 2001

"أنفاس العارفين" أذواق آبائه ومعارفهم، وكتابه "ألطاف القدس" يبين لطائف النفس و "القول الجميل" يشير فيه ولي الله إلى سواء السبيل في سلوك الطرق الثلاثة المشهورة بين أهل التصوف القادرية والچشتية والنقشبندية، و"التفهيمات الإلهية" تشمل على خواطره وإلهاماته، وفيها أشياء كثيرة لا نجد إلا عند ابن عربي وأحمد السرهندي ومن حذا حذوهما، و"الخير الكثير" في علم الحقائق. و "اللمعات" و "السطعات" و "الهوامع في شرح حزب البحر" كلها من كتب التصوف، أما كتابه "تأويل الأحاديث" فقد انتهج فيها منهج ابن عربي في نصوص الحكم وان خالفه في بعض آرائه، و"فيوض الحرمين" عبارة عن مبشراته التي رآها أوان زيارته للحرمين.[95] حتى ان كتابه الهام "حجة الله البالغة" وملخصه "البدور البازغة" لا تخلوا عن مصطلحات أهل التصوف أو يسمونه علم الحقائق.[96]

ولاحظ الشاه ولي الله الدهلوي من طراز الامام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية خمس نقط في حياة الشعب الهندي:

1 - إن كثيراً من السلمين قصروا عنايتهم في فهم (التوحيد الإسلامي) وأحاطت بعقيدتهم غيوم من الجهالات والظنون الفاسدة والعادات الجاهلية. فلا بد من إبراز هذا (التوحيد) في نقائه وشرح ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في الله حتى يظهر الفرق بين عقيدتهم وبين ما جاء به الإسلام.

---

[95]. شاه ولي الله : "القول الجميل" ط. مكتبة اشاعت الإسلام، دلهي، طبعة رابعة 1956، ص. 32 - 34.

[96]. شاه ولي الله: "الطاف القدس" شاه اكادمي، دلهي، 1934م، ص. 46. وبدر علم: ميرتهي: "مقدمة فيض الباري (1)" الاشرفية، ديوبند.

2 - الشعب الهندي ليس له اتصال مباشر بالكتاب والسنة، وقد حال العلماء بينه وبين دراسة القرآن وفهمه بعلة تعذر فهمه عامة الناس، وخوف انحلال سلطتهم الروحية وسيادتهم العلمية، فلم يترجموا ألفاظ القرآن إلى اللغة المحلية ولم ينشروا كتب الحديث، فلا بد إذن من نقل معاني القرآن وأحكامه إلى لغة البلاد، والإقبال على كتب السنة وحديث رسول الله عليه وسلم.

3 - ثقافة علماء الهند ضعيفة ضئيلة في العلوم الدينية، وبضاعتهم مزجاة في الحديث خصوصاً، فلا بد من نشر علم الحديث، فدرس الصحاح والموطأ، وأقبل الناس على دراسة هذه الكتب حتى أصبحت للهند مكانة مرموقة في العالم الإسلامي في خدمة الحديث.

4 - لاحظ أن العالم الإسلامي سوف يستقبل عصراً عقلياً وثورة فكرية، فلا بد من إيضاح الفكرة الإسلامية وجلائها، وبيان أسرار الدين وحكمه وأصول التشريع الإسلامي، ولا بد من شرح نظام الخلافة في الإسلام، وأساليب الإسلام وأسسه في تعليم الحياة والمجتمع، فألف كتباً لا تزال فريدة من نوعها منها (حجة الله البالغة) و (إزالة الخفاء في خلافة الخلفاء).

5 - لاحظ أنه لا أمل في نهضة الأسرة الملكية الهندية وتجديد شباب الدولة التيمورية، فلا فائدة في بذل القوة لاصلاحها وتقويتها، و لا بد من إعداد جماعة تحدث انقلاباً إسلامياً وتؤسس دولة إسلامية جديدة على أساس دين علمي جديد[97].

---

[97]. أبو الحسن علي الحسني: "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها"، ص. 23 – 24.

وقد قام حفيده محمد إسماعيل الشهيد بتأليف كتاب "العبقات" كمقدمة مؤلفات جده يشرح فيه العلوم الكشفية ويبين معاني وحدة الوجود والشهود، والواحد العقلي والفعلي كما يفصل أنواع التجليات وغيرها من الأبحاث الدقيقة ويقوم فيها بترجيح منهج جده وآرائه بين آراء أحمد السرهندي وابن عربي والسمناني وغيرهم.

وكانت الموافقة بين المذاهب الأربعة الفقهية إبعاد العلماء من التقليد الجامد ليس فحسب فقهاً وعملاً بل وكذلك دراسة الحديث وتدريسه وفهمه، ومن أهم أهداف شاه ولي الله الذي برز في القرن الثامن عشر كأكبر عالم ومصلح ديني في شبه القارة الهندية، وله تأثير ديني كبير في تطورات وازدهار هذه البلاد الدينية وبنيتها، فوجه انتقاده إلى قواعد الفقه وأصوله التي يترتب إليها رفض الحديث وإنكاره، ومع وجود هذه التصريحات في موقفه من الفقه. ووصية شاه ولي الله الاعتصام بالكتاب والسنة في العقيدة والعمل فيهما دائماً، واختار مذهب قدماء أهل السنة والإعراض عن تفضيل ما لم يفعلوه، وعدم الاعتناء بتشكيك أهل العقول واتباع العلماء المحدثين في الفروع، فهم قد جمعوا بين الحديث والفقه، وعرض الفروع الفقهية دائماً على الكتاب والسنة، وقبل ما يوافقهما وردّ ما يوافق. والأمة لا يمكن أن تستغني في أي وقت عن عرض مسائل الاجتهاد على الكتاب والسنة، وعدم الاستماع إلى أقوال الفقهاء الذي تمسكوا بتقليد عالم وتركوا اتباع السنة وعدم الالتفات إليهم، وطلب تقرب الحق بدونهم. ولهذه الجهود الدينية كانت له آثاراً ملموسة في تدريس كتب الأحاديث النبوية وتفهمها السمحاء وإبعاد قراء

الحديث وطالبيه عن كثير من الغموض والالتباسات في تعلمه ودركه وامتنع من المباحث المنكرة غير الضرورية، وخلق جوا للاعتصام بالكتاب والسنة. ونجد آثاراً واضحة للتأثر من شاه ولي الله في أفكاره وملاحظاته في تدريس الحديث ودراسته وفهمه وتفهمه والاهتمام به[98].

فمنهج الشاه ولي الله الدهلوي لا يتبنى على رفض التقليد أو دحض المذاهب الحنفية كما أنه يؤكد دائماً عرض المجتهدات على السنة لمن يجتمع فيه الشروط اللازمة وإلا فيؤكد بالتزام المذاهب الأربعة وعدم إساءة القول إلى الفقهاء ويصرح عن نفسه بأنه حنفي عملا، شافعي تدريساً، كما سبق نقلاً عن النسخة الخطية لصحيح الإمام البخاري وقد اختار في بعض الفروع الفقهية طريقة الإمام الشافعي. بل يسع لنا أن نصرح قائلاً إن الشاه ولي الله قد بنى طريقته على عرض المجتهدات على السنة والكتاب وتطبيق الفقهيات في كل باب وطريقته هذه كلها مذهب حنفي ومن لطائف هذا الإسناد إنه اجتمع في أوله وآخرهم ابو عبد العزيز اشتركوا في أربع خصال وذلك إنهم دهلويون سكنياً، وعمريون صلبية، وإنهم صوفية أصحاب الزهد والورع، وإنهم حنفيون على مذهب النعمان أبي حنيفة وصاحبيه. وقصارى القول، إن هذه كلها تدل على إن الشاه ولي الله قد اتخذ منهجاً وسطاً بين الجمود الفقهي ورفض التقليد، فكل من يدعي الانتماء إليه وعليه يلزم إن لا يطعن في الأئمة المجتهدين، كما يجب على الذين يجمعون الشروط اللازمة

---

98. أبو الحسن علي الحسني: "أضواء على الحركات الدينية والإصلاحية"، ط. المجلس الإسلامي العلمي 1995، ص. 16 - 17.

للاجتهاد أن يعرضوا المجتهدات الفقهية على النصوص من الكتاب والسنة، فالحقيقة أن التحول إنما حدث في شرذمة قليلة من الذين جعلوا نصب أعينهم الوقوع في الأئمة المجتهدين والإساءة إليهم مع الانتماء إلى مدرسة ولي الله الفكرية والدراسية، أما مذهب أنجاله وأحفاده فمعروفة من كتبهم ومؤلفاتهم ولا تزال روح الشاه تردد بلسان حالها مخاطباً للذين لهم سوى النيل من الأئمة المجتهدين.[99]

ونحن نعرف الشاه ولي الله هو المحدث المجتهد الداعي إلى حرية الفكر، واختار لنشر أفكاره طرق التدريس، والتأليف والدعوة، والإرشاد، عكف في المدرسة الرحيمية لإنشاء جيل جديد الذي يحمل أفكاره وينشرها، وكتب وألف كثيراً في علوم التفسير، والحديث، والفقه وأسرار الشريعة، وفي مباحث الإجتهاد والتقليد، وقدم توجيهاته إلى الأمراء والسلاطين، وإلى العلماء والفقهاء، وإلى عامة الناس يذكر كل واحد منهم واجبهم الديني ويبعث فيهم روح الأمل والنشاط ليستيقظوا من سباتهم العميق، وينشطوا لمواجهة التحديات ويرجعوا إلى دين الإسلام الحقيقي[100].

هدف الشاه ولي الله :

إنه يهدف إلى أن تتمسك الأمة المسلمة بالحق والحقيقة، وتبني على الكتاب والسنة بدل آراء الأئمة الكبار، وتميل إلى التفقه، فيقول في التفهيمات: ومنها إن أقول لهؤلاء

---

[99]. الداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد خاص (6) صادرة عن مدرسة دار العلوم ديوبند، 2001 ص. 12.

[100]. أبو الحسن علي الحسني: "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها"، ص. 22.

المسلمين أنفسهم بالفقهاء الجامدين على التقليد يبلغهم الحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح، وقد ذهب إليه جمع عظيم من الفقهاء المتقدمين، ولا يمنعهم إلاّ لمن يذهب إليه، وهؤلاء الظاهرية المنكرون للفقهاء الذين هم طراز حملة العلم وأئمة أهل الدين، إنهم جميعا على سفاهة وسخافة رأى وضلالة، وإن الحق بين بين.[101]

وقد أحس الشاه ولي الله بضرورة التوحيد بين مذهبي أبي حنيفة والشافعي لأنه رأى كثرة الأحناف في الهند وكثرة الشوافع في الحجاز، ولو أمكنه الاطلاع على كثرة الحنابلة في نجد وكثرة الموالك في السودان لأوجب التوحيد بينهما أيضاً وكذلك بين الجميع نفس السبب، والتوحيد بين المذاهب الأربعة يمكن أن ينفع ويقضي حاجة دينية. والشاه ولي الله يرى المصالح في الأحكام من روح الإسلام، ويبدو أن جمود الأفكار الفقهية كحمل ثقيل على ذهنه، وهو دائم التفكير فيه، إنه ينصح الطلاب ويفرق بين علوم الدين وعلوم الدنيا.

مسلك الشاه ولي الله:

ومن إيضاح النظرية السابقة ظهر أن الشاه ولي الله يرى من الواجب أن يتبع عامة الناس العلماء ويطيعوهم، ولكن لا حاجة إلى تعيين شخص للتقليد مثل الرسول، ولا يستحسن الجمود في ذلك. وقد يذكر الشاه ولي الله في "حجة الله" وفي "المصفى" طائفتي غير المقلدين وأهل الرأي، ونعلم من كلامه

---

[101]. محمد إسماعيل السباغي : "حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد"، ط. إدارة البحوث الإسلامية ، بنارس، 1989، ص. 130

في الكتابين أنه يعتبر الأئمة كلهم سوى أئمة الكوفة من غير المقلدين، فهم يبنون اجتهادهم واستدلالهم على الكتاب والسنة لا على قواعد أساتذتهم وأساطينهم.[102]

الشاه ولي الله والتقليد :

إن العمل في عصر الصحابة والتابعين كان على التقليد العام وعلى التقليد الشخصي كليهما (أي كما زعم، وإلا فالأمر على العكس) ثم لما أحسوا بالخطر المذكور (وهو اتباع الهوى) حصروا التقليد في التقليد الشخصي. ثم أورد نقولاً من كلام الشاه ولي الله أجاز فيها التقليد أحياناً وأوجبه أحياناً أخرى.

والحقيقة أن لحياة الشاه ولي الله مراحل عديدة، وكان قلمه السيال يعمل فيها على السواء، ويعبر عن اتجاهه في كل وقت، فكلامه الخاص بالتصوف يتضمن ما تؤيده الطائفة البريلوية، ولكنهم لا يثقون بالشاه وأسرته، وإلا فيشجع "شفاء العليل" وغيره من كتبه الاتجاهات البدعية تشجيعاً قوياً.[103]

اختلف آراء علماء الهند في مذهب الشاه ولي الله فيجره الحنفية إلى الحنفية ويجره السلفيون إلى أهل الحديث ولكن الأولى والأحسن أن تنظر إلى ما صرح هو بنفسه في مذهبه فهو يقول:

"بعد دراسة فاحصة لكتب المذاهب الأربعة وكتب أصول الفقه والأحاديث التي يتمسكون بها، استقر في القلب بتوفيق من

---

[102] . نفس المصدر: ص. 147.

[103] . عبد الرحمن الفريواني : "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم" ، ص 17

الله وهدايته وطريقة الفقهاء المحدثين"[104].

ومع هذه الصراحة والإستيضاح وتلك الوصية والأقوال لا يرى من البأس انتسابه إلى الحنفية والقيام ببعض الأعمال التي هي طريقة عامة الأحناف.

مكونات مدرسة شاه ولي الله واتجاهاتها :

العناصر المهمة لهذه المدرسة كما يأتي: هو أنجاله الأربع، والسيد أحمد شهيد، والشاه إسماعيل الشهيد، والشيخ عنايت علي، والشيخ ولايت علي، والشيخ عبد الحق البدهانوي وإلى ما ذلك من علماء القادمين فالقادمين، ومن هؤلاء من ينتمي إلى الحنفية عملاً وإلى أهل الحديث عقيدة، ومنهم من ينتمي إلى الحنفية في العقيدة والعمل ومنهم من ينتمي إلى أهل الحديث عقيدة وعملاً، ولكن الذي يشترك فيه الجميع هو أنهم لم يبرزوا هذا الاختلاف قط. وتجدر الإشارة إلى أن العلماء ممن ينتمون إلى الحنفية وخاصة "علماء ديوبند" قاموا بكل إهتماماتهم وعناياتهم على تعليمات شاه ولي الله حتى إنهم جعلوا مقررات دروسهم على أساس أفكار وابتكارات شاه ولي الله، بالإضافة إلى بطل هذا البحث الشيخ العلامة أنور شاه الذي كرّس نفسه في تدريس الحديث النبوي على مناهج العلماء الآخرين من أساتذته البارعين الذين هم طبعاً يتعلقون بسلسلة شاه ولي الله اعتقاداً ونسباً من حيث العلم والفكر والعقيدة. كما وأنه تركز

---

[104]. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهة"، ط. مجمع شيخ الهند ديوبند، 2000، ص. 33.

حياته في إثبات ختم النبوة مجادلاً مع القاديانيين المعاصرين الذين كانوا يعتقدون إن ميرزا غلام أحمد القادياني يختم النبوة فلم يأل أنور شاه جهده مع زملائه بصراع هذه الفتنة المردودة وبقمعها أساسياً من خدماته المشكورة بدراسة الحديث وتدريسه، وتأثر أثراً كبيراً بهذا الرجل العصامي الولي اللهي فكراً وعلماً واعتقاداً، وسافر من جهة إلى جهة أخرى للحصول على العلم الحقيقي، نحن سوف نلقي الضوء في الفصول الآتية على حياته العلمية والدينية[105].

---

[105]. عبد الرحمن الفريواني: "جهود علماء الهند في خدمة القرآن الكريم"، ص. 12 – 13.

ظهور محمد أنـور شـاه ورحيله من قرية لـولاب إلى مدينـة ديوبـند

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين ظهر على سماء الهند بسنا علمه وعبقريته، وملأ أرجاء الأرض بأضوائه. طلع هذا العالم البارز على أفق زهرة الربيع الدائم وجنة الدنيا "كشمير"، وامتلك ناصية العلم بمواهبه الفطرية فأصبحت شخصية فذة أنيقة ولامعة بارزة، وعرف بين الناس بذكائه النادرة وقوة ذاكرته الخارقة وعلمه الغزير واستحضاره المدهش ومقدرته العلمية العجيبة وهو محمد أنور شاه الكشميري الذي يعد في الرعيل الأول من الأئمة والأعلام، ويسجل اسمه في رأس قائمة المحدثين. كان من أفراد هذه القرون الأخيرة وأفذاذها، ونابغة هذه الدهور الذي تستحق هذه الأمة الحاضرة أن تتباهى به[106].

أحد كبار الحنفية المفلقين في علوم المعقول والمنقول كان عارفاً بعلوم الحديث والفقه، مولعاً بتأييد الفقه الحنفي طول حياته، متضلعا من العلوم والمعارف المتنوعة، وسابر أغوارها وأنجادها ووصل من حقائق العلوم إلى غايتها القصوى وحمادها، وأطال صحبة أنفاسه على محبة ووداد وسداد[107].

ولد أنور شاه في أسرة علمية ودينية عريقة بقرية "وُدوان" على وزن "لُبنان" في وادي (لولاب) بولاية كشمير

---

[106]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر في هدية الشيخ أنور"، ط. بيت الحكمت ديوبند، 1993. ص. 3

[107]. الداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد خاص (1،2،3،4) صادرة عن مدرسة دار العلوم ديوبند، 1980 ص. 59

في عام (1292- 1352هـ/1875 – 1933م)، ونشأ على حب الاطلاع والعكوف على العلم والدراسة، فكان منذ نعومة أظفاره ومن مستهل طفولته على دأب نادر في إكتساب العلوم والمعارف فكانت تلوح على جبينه علائم الرشد وتتجلى فيه بوارق الذكاء حتى تفرس بعض ذوى البصيرة أنه سيكون غزالي عصره ورازي دهره[108]. ويجدر بنا أن نذكر عن حياته ومآثره ومجملا الذي يحتوي هذا البحث عن حياة الشيخ أنور شاه وفضله ومكارمه وخدماته في تدريس الحديث النبوي ومساهمته في الأدب العربي.

إنه قرأ القرآن الكريم متلمذاً على أبيه وخاله وتلقى العلوم العربية الإبتدائية من والده الشيخ معظم علي شاه، وشيئا من الفقه والأصول والمنطق وغيره. ثم بدأ في تحصيل العلوم العربية، ففرغ من الصرف والنحو، وقدرٌ صالحٌ من أكثر العلوم المتداولة من الفقه وغيرها في حولين فصاعداً. فلما ارتوى و تضلع من علوم الكشمير أزعجته لواعج الارتقاء على الرحيل والاشتياق على تكميل العلوم وإكتساب المعارف لإطفاء الغليل فشحذ غرار العزيمة الصادقة للرحلة عن وطنه المألوف، فودع بلدته التي تحي القلوب والأرواح بنسانمها، وتهتز الأعطاف بأسجاع حمائمها إلى أن وصل إلى بقاع "هزاره" (من حدود الفنجاب بالغرب الشمالي) وكان محطأ لرجال مهرة العلوم الدرسية والأساتذة المتقنين وحذاق الفنون المتداولة، فمكث فيها من أقطار شتى نحو ثلاثة أعوام، وما كان أن يطمنن ما لم يصل

---

[108]. محمد يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبع الثالث) 1998، ص. 2

إلى درك البحر الزاخر، وهكذا حقيقة المعارف والعلوم إذا سرت في العروق وخالطت بشاشتها القلوب وامتزجت بالقرائح والأفكار لا يطفئ الضرام، وتنادى القريحة إلى مزيد من سبيل[109].

وكان الشيخ أنور قد سمع سمعة بعض الأفاضل بالديار الهندية، فامتطى إليها صهوة الإرتحال وأخذ بيد الترحال، فترحل إلى مدرسة دار العلوم بديوبند في عام 1892م وارتوى هذا الطفل الموهوب من علوم شتى من جهابذة العلماء الربانيين كما وأخذ ينهل من علومهم ويرتوي من معارفهم حتى كسته صحبتهم علماً غزيراً وجاء في الأخلاق والآداب واكتملت هناك ثقافته. ومكث عامين وقرأ هنالك العلوم المتعارفة على الشيخ إسحاق الأمرتسري، والشيخ خليل أحمد الانبيتهوي (1269 – 1346هـ - 1852 – 1927م) والشيخ محمود حسن الديوبندي (1268 – 1339هـ - 1851 – 1939م). وبعد ما أكمل دراسته في مدرسة ديوبند اشتغل بالتدريس والإفادة بالمدرسة الأمينية بدلهي، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وحصل الإجازة في الحديث من الشيخ حسين بن محمد الطرابلسي[110].

قيامه بأداء واجباته بعد الفراغ من التحصيل، وتركيزه على نشر العلوم الدينية وتأسيس المدارس الإسلامية:

وتوكل على السعادة الأزلية إلى عناية رجال الأكابر ومحطة أعيان الأماثل مهد العلماء والأحبار، شموس المعارف

---

[109]. عبد الرحمن كوندو: "الأنور" ط. ندوة المصنفين أردو بازار دلهي، 1991م، ص. 12.

[110]. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية"، ط. أكاديمية شيخ الهند ديوبند 2000م، ص. 17.

الإلهية وبدورها، إلى بقعة أضاءت منها بقاع الهند بعد ما أظلمت، وانمحت منها ظلمات البدع بعد ما تراكمت، إلى قطر جرت منه ينابيع القرآن والسنة، وفلق بها صديع العلم والهداية بعد ما أحاطت بأكنافها دياجر المحدثات والجهل، وأرخيت بها سدول الغواية، يعني: دار العلوم الإسلامية الدينية بـ "ديوبند"[111]. وكان ساحتها مستنيرة بجهابذة العلوم النقلية والعقلية، وكان أكبرهم وأبجلهم شيخ الهند مسند الوقت "مولانا الشيخ محمود الحسن الديوبندي" وكان هو مرتوياً من علوم القرآن والسنة والحقائق والمعارف من الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ومن بحر المعارف والحقائق من أوتي الحكمة وفصل الخطاب حبر الأمة حجة الإسلام الشيخ محمد قاسم النانوتوي، وقد خص الله المحدث العارف الكنكوهي بإصابة الفكرة وإعلاء كلمة الحق ونشر السنة في الأمة علماً وعملاً صار مداراً للعلوم والعرفان، وأرجعت إليه مشكلات القضايا ومشتبهات المسائل والأحكام، فهداه الله إلى الحق الأبلج ودار مع الحق حيثما دار[112]. وكان عندهم قطب الإرشاد، فجرت منه أنهار السنة النبوية، ونبعت من قلبه ينابيع السلوك والعرفان فجعله الله إماماً في الشريعة والطريقة، جرد الشريعة عن البدعات الممتزجة بها، وجرد طريقة السادة الجشتية عن الرسوم المحدثة في أهلها من محافل السماع واستعمال آلات الطرب واللهو من المعارف والمزامير وغيرها من المحتفلات المبتدعة فيهم بالهند، ومزجها بالسنة حتى بدت في قالب السنة زهراء ساطعة تطابق بها ظهرها

---

111. Metcalf: "Islamic Revival in British India", P. 44.

112. محمد أنظر شاه كشميري: "لاله وكل" ط. شاه اكادمي، ديوبند، 2000، ص. 31-35

وبطنها. أما الشيخ النانوتوي فكان له ولوعاً بالأسرار الشريعة والتكوين ومعارف السنة النبوية، ذب عن عقائد الشريعة المحمدية صولات الملحدين وسورات الزائغين والمبتدعين، لم يكن علومه ومعارفه من الزبر والأسفار والصحف والأوراق، بل الله أودع في قلبه نوراً أضاء منه علوم الشريعة والحقيقة، إذا توجه إلى إلقاء معرفة أو إيضاح سرّ خفيّ نرى أن قلبه انفتحت كوته إلى عالم القدس فيتلقى منه، ثم يجري منها تلك المعارف والعلوم على لسانه الصارم بما يبهر العقول ويحير الألباب[113]. وقد آثره الله بمعارف سامية خلت عنها كتب أكابر المحققين وأعاظم الصوفية كأمثال الغزالي والفخر الرازي، ثم لاحق بإيضاح المشكلات وتفهيم الغوامض حتى يجعلها مشاهدة رأي العين ويخال أخفى النظريات عند بيانه من أجلى البديهيات حتى وقائع الحشر وأمور المعاد حتى الجنة والنار وكمالاته الباطنة، وكان شيخ طريقته قطب العصر العارف إمداد الله الهندي مهاجر مكة يتعجب عن ارتقاء مداركه ومدارجه، ويقول: إن مثله كان قد يظهر في القرون الماضية، وكان الكنكوهي والنانوتوي رضيعي لبان في تحصيل العلوم، وخليلي صفاء، وفرسي رهان في طي منازل السلوك، بايعا على يد الشيخ إمداد الله المهاجر المكي الذي سلف ذكره[114].

وطياً فطياً الشيخ أنورشاه غادر "هزاره" متوجهاً إلى مدينة "دلهي" وفوض إليه الدرس بـ " مدرسة عبد الرب"، فدرس عدة شهور ولم يلبث حتى أن بعضاً من صلحاء معارفه

---

[113]. سيد محبوب رضوي: "تاريخ دار العلوم ديوبند" ط. مكتبة دار العلوم ديوبند 2000م (الطبعة 21)، ص. 198

[114]. محمد أنظر شاه كشميري: "الاله وكل" ط. شاه اكادمي، ديوبند، 2000، ص.. 34

وأصدقائه ممن تفرس في الشيخ مخائل النجابة الباهرة، وظن أنه عسى أن يكون نظير نفسه في المآثر العلمية أصر عليه وأبرم بأن يقوم وينتهض لتأسيس مدرسة عربية بدلهي فاستجاب دعوته بعد ما انشرح صدره، فقام لها بإخلاص نية مثمراً لها عن ساعد الهمة، وافتتح مدرسة عربية في مدينة "دلهي" وساعده على ذلك بعض أهل الهمم العالية من أولي الخير وأرباب الفضل، فاصطفى ذلك الصديق لها مديراً وناظماً، وسماها: "مدرسة عربية أمينية" وهذه المدرسة من أشهر المدارس اليوم ببلدة "دلهي". وقد عم فيضها وبعد صيتها تطوي مدارج الارتقاء، وقد مضى عليها بضع وثلاثون عاماً[115]. وازيد عليه، والآن قد انقلبت الأوضاع وانقسمت الهند إلى "هندوستان وباكستان"، والمدارس بدلهي أكثرها قد اندرست آثارها وانطفأت أنوارها وبقيت عدة مدارس، منها هذه المدرسة وقد مضى عليها سبعون عاماً منه. ولما خصه الله بقريحة وقادة ومادة غزيرة، وتغلغل في مشكلات العلوم وعكف نفسه على المطالعة ليلاً ونهاراً ما لبث إلا وقد شاع قدره وفضله في الأرجاء كلها، فشدت إليه الرحال وتهافت عليه أصحاب الكمال، وبقي على ذلك برهة يروي الهائمين بزلال علومه ومعارفه حتى طالت فروع المدرسة وأينعت ثمارها وانتشرت أضواءها وأنوارها، فتخرج عليه المتخرجون، وتروى من فيضه المشتاقون[116].

---

[115]. شيخ محمد اكرام: "موج كوثر" ص. 228.

[116]. محمد انظر شاه كشميري: "نقش دوام" ط. بيت الحكمت ديوبند، 1996، ص.32. ابو الحسن علي الحسني: "تاريخ دعوت و عزيمت"، ص. 221.

رجوع الشاه إلى وطنه وتأسيس مدرسة "الفيض العام" ثم عودته إلى ديوبند:

عاد الشيخ أنور شاه إلى وطنه "كشمير" بعد ان مضى بضع سنين متخرجاً من "دار العلوم بديوبند" وساهم في تأسيس المدارس ودرّس وتدرس فيها بعاصمة دلهي وجوارها، ونزع إلى القيام بأداء واجبه، فقصد الرحيل إلى مألفه وامتطى هوجاء الوجد والغرام، ثم لما أقام برهة "بكشمير" واستقر عودها واختبر أهلها خبراً وإعلاماً شعر أنه في تجاهل. أخيراً هو ترحل متوجهاً إلى مستوطنه. فقام مستعيناً بالله لبناء مدرسة لتعليم الدين الحنيفي وتأييد المذهب الحنفي وخدمة السنة النبوية وتجديد معالمها وتشييد مراسمها، وبنى مدرسة سماها: "الفيض العام" أقام بها ثلاث سنين، يحمي زمار الشريعة ويجدد معالم السنة ويعمر أطلالها ورسومها. فدرس وأفتى، ونصح الأمة قلماً ولساناً، وأرشدهم إلى الصراط السوي والهدي المستقيم، فانشعب صدعهم واستقاهم، وانقشعت سحُب الجهل المتراكمة، وتلألأت آثار السنة النبوية بعد ما اختفت، واستوصلت عروق البدعة بعد ما تأصلت[117]. وهكذا أولو العزائم العالية، والهمم الجلية، وأصحاب المآثر والجهود المباركة إذا استشعروا ملمة بالدين وحادثة في الإسلام قاموا لحسم عروقها ودفع مكيدتها، لا يمنعهم قلة ذات يدهم فنجحوا وفازوا بجدودهم المثمرة التي تبقى على صفحات التاريخ على انقراض الأعصار وتعاقب الأدوار، فنالوا

---

[117]. محمد يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبع الثالث) 1998، ص. 8

وجاهة عند ربهم، وحازوا شرفاً في الخلق[118]. ثم رجع إلى ديوبند وأقام بها، وفي عام 1333 الهجري الموافق 1914م ولى رئاسة التدريس هناك، واستقر بالإقامة رأيه، وقام في تلك الأيام بتدريس "صحيح البخاري" و "سنن أبي داؤود" و "الجامع الترمذي" من الصحاح الستة وفوض إليه درس الكتب الثلاثة الباقية من الستة من "صحيح مسلم" و "سنن النسائي" و سنن ابن ماجة" فكانت هذه فاتحة درسه بدار العلوم الديوبندية، وهذا كان وفقاً لأمر شيخه مولانا محمود الحسن الديوبندي وكان أمره ما كان، فاستخلفه على مقامه، وجعله شيخ الحديث وصدر المدرسين بها، فودع الأمانة أهلها، وأعطى القوس باريها، فبقي أعواماً مكباً على مطالعة الكتب، سابحاً في بحارها، متنزهاً في رياضها بورع وتقوىً وقناعة وزهدٍ، مؤثراً للخمول في الناس، ومستنكفاً عن نباهة الدنيا ووجاهتها، فاستأنس بمرابع التوحيد والتفريد في عزلة وتجريد. ولا شك في أن مشيخة تدريس الحديث في الهند انتهت إليه، وظل في هذا المنصب مدة ثلاث عشرة سنة حتى حدثت فتنة المدرسة في سنة 1346هـ/1927م ولما نشأت هذه الخلافات بينه وبين أعضاء المدرسة ألجأته إلى الاعتزال من رئاسة التدريس فغادر ديوبند.[119]

وحاذر منه أهل دار العلوم أن يهاجر هذه المشغلة ولم تقدر على ثقة إقامته عسى أن يقبل إلى ما أدبر إليه اليوم من الهجرة إلى الحجاز، فخطب له ناظم المدرسة الديوبندية ومديرها خطبة في بينة شرف وفضل من بيت السيادة القاطمية ليكون سداً

---

[118]. سيد أزهر شاه قيصر: "حيات انور"، ط. برقي بريس دهلي، 1995، ص. 45.

[119]. محمد راشد الندوي: "منتخب من شعر العرب"، ط. قسم اللغة العربية جامعة عليكراه الإسلامية، 1990، ص. 249.

دون عزائمه وشعباً لصدع الخطرة التي كانوا يحسونها، فزوجوه بعد ما انقضت برهة وجعلوه صاحب أهل وآل، فهكذا غلب القدر وحان القضاء بما هو كائن فقضى فيها ثلث عمره، فجرت من قلبه وفيه ينابيع الحكمة ومناهل العلم والمعرفة، حتى استفاد منها رجال من الأفاضل وأماثل العصر، وتضلع من لا يحصى عدداً من الأصاغر والأكابر، وتخرج عليه في تلك الفترة نحو ألفي خريج ونيف ممن قرأ عليه أسفار الحديث[120]. وبالجملة خدم الحديث والسنة، ودافع عن حريم الديانة، وصل في عهد إقامته بديوبند صارمه الغضب لقمع عروق الثلة الباغية الطائفة الميرزا القاديانية بلاغاً وإرشاداً ودرساً وتأليفاً، واستحث الهمم المتوانية، وحرض الجهود المتقاعدة من العلماء والطلبة وعامة الأمة المسلمة إلى مقاومة هذه الفئة الضالة المضلة، ومقامعة هذه الكارثة الدهياء حتى أيقظ الرقود ونبه عن الغفلة من أصحاب الجرائد والمجلات بمكائد هذه الحادثة الفظيعة ودسائسها،[121] وسنناقش هذا الموضوع الهام في باب مستقل، ونفصل رأيه على آراء الآخرين من معاصريه الذين ساهموا في المعركة ضد هذه الفتنة القاديانية، ونعود إلى إيضاح هذه الأثرة الجليلة التي بها له منة عظيمة على رقاب الأمة المحمدية ما لا ينسى تقادم الأزمان وتمادي الدهور، وحمى حماه عن رزء مجحف وطامة كبرى.

---

[120]. سيد محبوب رضوي: "تاريخ دار العلوم ديوبند" ط. مكتبة دار العلوم 2000، ص. 106.

[121]. انظر شاه كشميري: "لاله وكل" ط. شاه اكادمي ديوبند، 2000، ص. 60

رحيله من دار العلوم الديوبندية ووصوله إلى مدرسة دابهيل (غوجرات):

ثم نشأ نوع تشاجر في أجواء دار العلوم الديوبندية فيما بين إدارة المدرسة وموظفيها وخادميها حتى أصبح سبباً لمغادرة أنور شاه ديوبند، فيتخذها الناس مهجورة وتأذى الشيخ أنور شاه بتلك النوائب الكارثة، وتألم بها قلبه حتى لم يلتئم جروحه الناعبة إلى آخر عمره، وكان لا ينبس بها إلاّ قليلاً ومع هذا إذا ذكر منها شيئاً تراه كأن قلبه يقطر دماً، مع كونه صبوراً، يقاسي الملمات، ويعاني المرمات. وإلى هذا أشار الشيخ في بعض أشعاره فيما أرى، حيث قال :

و هل من كسير البال آذاه دهره .		لقاءك إلا بالدموع السوائل
فقدت به قلبي و صبري وحيلتي		ولم ألق إلاّ ريب دهر تصرما .
و من عبرات العين ما لا أسيغه		و من غلبات الوجد ما كان همهما
و من نفثات الصدر ما لا أبثه		و من فجعات الدهر ما قد تهجما
تكففت دمعي أو كففت عنانه		وصار يجاري الدهر حتّى تقدما[122]

فاستقال الشيخ أنور شاه لأجله منصب رئاسة مدرسة ديوبند، واستعفى عنه وانزوى عازماً للعزلة والتجريد، والناس أصدى إلى علومه، والقلوب مجدبة مشتاقة إلى صوب مزنته، فأكب عليه الناس من كل جهة، وتهافتوا عليه من كل صوب. ووصل إلى قرية "دابهيل" من مديرية "سورات" بولاية غوجرات، تدعى بـ "تعليم الدين"، فأصر بعض أصحاب الهمم العالية والعزائم السامية على أنور شاه بأن يشتغل بها في درس

---

[122]. أنور شاه كشميري: "ضرب الخاتم على حدوث العالم"، ط. المجلس العلمي دابهيل، 1412م، ص. 14

الحديث حتى لم يأل الشاه مأموله وأسعفه بمرامه. ولم تلبث تلك المدرسة حتى سميت واشتهرت بـ "الجامعة الإسلامية" وأصبحت اليوم من أكبر الجوامع العلمية وأشهر المستوى الديني بساهرة الهند، وامتازت من بين سائر المجامع الدينية بحسن نظامها وإجادة أبنيتها وتشييد قصورها في بهاء منظر و زهاء ساحة ناضرة، ينثال إليه الطلبة بل العلماء والفضلاء، يشدون إليها الرحال ويضربون لها أكباد الإبل، ورؤوس من المشتاقين تقنع لمشاهدة علمها.

هذا وبقي الشاه أنور الكشميري فيها خمس سنوات، يجود بحره الزاخر بحقائقه ومعارفه الإلهية، وتجري ينابيع السنة النبوية مِن فيه وصدره، ويعظ الناس بعظات بليغة مؤثرة في النفوس، حتى كنا نشاهد أن العيون تذرف دموعها، وأن القلوب تكاد تطير صدوعها إلى أن أصبح كثير من الرسوم والبدعات المحدثة ببركته، ونبتت في كثير من القلوب محبة أهل العلم وخدمة الدين والذب عن حريمه بما تيسر وأمكن، وكيف لا ؟ وقد تحضض الناس على الخير، ودعاهم إلى الحق، وأضحى نفسه لهم أسوة، ورعاً وتقوى، وعلماً وعملاً، وزهداً في الدنيا وإيثاراً للآخرة[123].

قوة ذاكرته وموهباته الفطرية:

---

[123]. احمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري"، ط. بيت الحكمت ديوبند، 1988م، ص. 18 - 19.

وأنجز أنور شاه موهبات عجيبة من خصوبة العقل وقوة الذاكرة والقريحة الوقادة المندلعة والذكاء المتوقد، فما كان يسمع كلمة إلا ويحفظها ويعيها ويقيدها في ذهنه فلم تخنه ذاكرته مدة حياته، يقول متحدثا عن نفسه: "سمعت ببلدي "كشمير" إذ ذاك أربع سنين، رجلان يتكلمان في أن العذاب هل يكون للجسد أو للروح فاستقر رأيهما على أن العذاب لهما، ثم ضربا له مثالا فقالا: إن مثل الجسد مع الروح كمثل الأعمى والأعرج ذهبا إلى حديقة ليجنيا ثمارها، فعجز الأعمى عن أن يراها وعجز الأعرج على الأعمى وأخذ الأعمى يذهب به إلى الأشجار والأعرج يرى الثمار ويجنيها، فهذا هو حال البدن مع الروح، فالبدن بدون الروح جماد، والروح بدون البدن معطلة عن الأفعال، فاحتاج أحدهما إلى الآخر، بل كلاهما مستلزمان لكل منهما. فلما اشتركا في الكسب اشتركا في الأجر والوزر أيضاً... وبعد مرور خمس وثلاثين سنة رأيت في القرطبي عن ابن عباس عين ما قالاه من رأيهما[124]. ويقول والده وهو أول شيخه الذي تلمذ عليه، كان يسألني في دروس مختصر القدوري أسئلة، احتاج في الإجابة عنها إلى مطالعة الهداية، ثم فوضت دراسته إلى عالم آخر، فجعل يشكو من كثرة الأسئلة رغم أنه كان خارج درسه ساكتا وصامتاً لا يرغب في الملاعب وكان يكتب على كتبه الدراسية وهو في فاتحة قراءته يتحير لها العلماء الأفاضل، وهكذا إنه حين كان يقرأ رسائل النحو والمنطق من إمام عالم مضطبعاً كتبه التي يقرؤها فدعاه وأخذ كتبه فرأى على هوامش رسائله أنه كتب

---

[124]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري(1)"،الطبع الأول. المكتبة الاشرفية ديوبند،2000 ص. 46.

عليها حواشي ما يورث العجب من شانه فتحير كذلك من ذكائه وحدسه، وجوده وفهمه وبراعته، فجرى مرتجلاً على لسانه: بأنه سيكون غزالي عصره ورازي وقته.[125]

فكانت هذه البوارق تظهر بأنه يكون أعلم أهل عصره. كما وأنه كان من نوادر العصر في قوى الحافظة، واسعة الاطلاع على كتب المتقدمين وراسخاً في العلوم العربية الدينية والعلوم العقلية. فطار صيته في الآفاق وهو لم يتجاوز العقد الثاني من عمره وظهرت براعته في الحديث والفقه والأصول والعلوم الأخرى الإسلامية واقبل عليه العلماء والباحثون والمتخصصون في العلوم الدينية للاستفادة منه، والارتواء من منهله العلمي العذب الفياض وهو في ريعان شبابه و مستهل عمره. فذلك المحدث ظهير أحسن شوق النيموي مؤلف آثار السنن مع تقدمه في السنن وبراعته في علم الحديث حتى قيل إنه يفوق أستاذه أبا الحسنات عبد الحي اللكنوي في صناعة الحديث، يرسل كتابه قطعة بقطعة إلى الشيخ أنور شاه ليلقي عليها نظرة انتقادية فكان يسجل الشيخ آراءه وتعليقاته من فقه الحديث والمعارف والكلام على رجال الحديث وعلله حتى أصبحت تعليقاته زاداً قيماً وتحفة نادرة للأحناف[126].

الاجتناب عن الملاهي وصلاح الفطري من بدء نشأته:

---

[125]. محمد يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبع الثالث) 1998، ص. 24

[126]. محمد انظر شاه كشميري: "نقش دوام" ط. بيت الحكمت ديوبند، 1996، ص.34 . وعبد الرحمن كوندو: "الأنور" ص. 152

الشيخ أنور شاه فانه لم يرتع ولم يلعب في أيام صباه كعادة الصبيان، ويكون صامتاً مطرقاً رأسه لم ينازع أحداً ولم يشتمه، وإذ بدأ القراءة يكون مجتهداً فيها مشتغلاً ليلاً ونهاراً، من غير أن يعروه سآمة، فكان الناس يتحيرون من شغفه بالعلم ورغبته عما يرغب إليه الصبيان، حتى اشتهر فيهم أنه سيكون مهدياً موعوداً، فان لم يكن مهدياً موعوداً لكان مجدداً لعلوم القرآن والسنة وسائر فنون الرواية، فهكذا شهرته بالصلاح وشغفه بالعلم كانت من بدأ نشأته وصغره[127].

الخطوط البارزة في شخصيته:

كان أنور شاه عالماً موسوعاً بكل ما للكلمة من معنى، يحمل في صدره مكتبة واسعة في العلوم العقلية والنقلية والقديمة والحديثة، وكانت ذاكرته تزخر بأنواع من الدرر واللآلي من جميع الفنون التي اجتمعت لديه من مطالعات واسعة عميقة في كتب المتقدمين والمتخصصين في العلوم الطبيعية والفنون الإلهية وكتب الحقائق والتصوف والهندسة والتاريخ والعلوم الغريبة من النجوم والرياضي بفنونه إلى جانب العلوم الإسلامية من التفسير والفقه والأصول.

> حيث قال قائل : "إن العلم ليس وقفاً على قوم، بل يمكن أن يفوق شخص نشأ في زمن متأخر من سبقه من العلماء" ولا دخل للتقدم والتأخر الزماني في النبوغ العلمي، كما الشيخ عبد العزيز الدهلوي مثلاً نشأ في زمن متأخر لكنه

[127]. يوسف البنوري : "نفحة العنبر" ص. 22.

فاق كثيراً من المتقدمين في سعة الاطلاع ودقة النظر ومكانته العلمية، وهذا الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "مثل أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره"[128].

ولله در أبي العلاء المعري حيث يقول :

إني وإن كنت الأخير زمانة

لآت بما لم تسطعه الأوائل

ولا شك أن الشيخ أنور شاه كان خير مثال للبراعة والتفوق على كثير ممن سبقه في بعد نظره وسعة أفقه في العلوم، وإنه قد فاق كثيراً من أساتذته.

فله مزايا نبيلة ومآثر جليلة فطرية وكسبية من الصلاح، الزهد والورع، والصبر على المكاره، وحسن السمت والمواساة مع أهل الدين، والنفور من أهل الدنيا، والقناعة على الكفاف، وفرط الذكاء والاستحضار المدهش في العلوم المتداولة القديمة والحديثة والاطلاع التام على العلوم الغريبة واستبحار جميع مشكلات العلوم وغوامضها، والعلم الحافل الواسع بدقائق الكتب النادرة الغريبة المطبوعة والمخطوطة، وعلو كعبه في الحقائق العالية والمعارف الإلهية التشريعية، والملكة الراسخة في صياغة الشعر المعجب الرائع في العربية والفارسية، وإدمان النظر في الكتب ليلاً ونهاراً، وحسن إلقاء الكلام في الدرس، والعدل البديع في اختلاف مذاهب الأئمة المتبوعين والمجتهدين من علماء الأمصار، وظرافة الطبع مع مهابة وجلالة، وغيرها

---

[128]. عبد الرحمان البرني: " علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ط. أكاديمية شيخ الهند ديوبند 1998م، ص. 406

من مآثر بديعة فائقة بحيث لا يفري فريه ولا يباري عبقري، وحقاً أنه لا يناضل ولا يباري ولايجاري ولو سردنا نماذج من جميعها لطال بنا الخطب[129].

وكان من عادته مطالعة كل كتاب في أي علم كان، يتحدث عن نفسه يقول :

"ربما طالعت مجلدات ضخمة من كتاب ولم أفز منه بشيء جديد، وربما ظفرت بشيء يسير أو فائدة يسيرة"[130].

وكان يقيد في برنامجه ما تنحل به عقدة من مشكلات القرآن أو الحديث أو الفقه. كذلك إذا سنح له دليل المذهب الحنفي أو كان له تحقيق في مسألة خلاف ما ذهب إليه عامة العلماء فكان يقيده في مذكرته.

أما العلم الذي عاش فيه وعاش عليه وعاش له فهو علم الحديث النبوي فكان راسخ القدم في متونه حاذقاً للفقه والخلافيات مطلعات على مناقشات العلماء وآراء الأئمة[131]. وهو لا يزاحم في أي قضية، بل كان هو قدوة لأماثل العصر في الحاضر في حل الدقائق والمشكلات العلوم وغوامض الأبحاث العلمية والعرفانية بحيث لا يناضل ولا ينازع، وظن الأغلب بأنه حجة في علوم القرآن وعلوم الحديث النبوي، متقناً في كشف مغزاها ومرماها، وكان مداراً للأمة الإسلامية في إيضاح معناها ومبناها، كان حافظاً موعياً لمذاهب علماء الأمة المحمدية مع

---

129. أزهر شاه قيصر : "حيات أنور" ط. برقي بريس دهلي، 1995، ص. 48.
130. أنور شاه كشميري: "فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب"، ط. المجلس العلمي، دابهيل، 1413هـ ص. 137.
131. الداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد 8، صادرة عن مدرسة دار العلوم ديوبند، 2002 ص. 33.

التغلغل في تخريجها وتنقيحها، واعياً لأقوالهم المختلفة الشتيتة، قادراً على اختيار بعضها من بعض بترجيحها، أحاط بالعلوم العقلية والفنون الحكمية الحديثة والقديمة بالرأي الثاقب والحكم النافذ، كان نقيب العلوم العربية والفنون الأدبية غائصاً في بحارها وغمارها، فكم من عوارف هو أبو عذرتها، وكم من معارف هو ابن بجدتها، وكم من لطائف وغوامض قد أبدعها، وكم من أسرار وحكم قد اخترعها، وكيف لا؟ وقد نشأ في بيت التقوى والعلم، وامتاز بسلامة الطبع وفرط الذكاء وبراعة الفهم، بل رزق أعدل الطبائع في بقعة تعد من أقاليم البسيطة، ثم غذى بلبان الحكمة والعلم، وساعدته سائر الأسباب المحتاج إليها للعلم، فارتدى من مطارف أنواع العلوم والكمالات، واعتم عمائم الفضل والمزية، وتضلع من بحار الفضائل في سائر أقطار الهند، حتى ترعرع شاباً بارعاً في العلوم، بل مزنة هاطلة، فنال من علوم التفسير وعلوم الحديث جميعاً، وبلغ في علوم اللغة أمداً بعيداً، وسامى في العلوم الحكمة وفنون الدراية مكانة الجوزاء، ووصل في علوم البلاغة على طرف شاسع، ورزق من علوم الحقائق حظاً عظيماً[132].

وبالجملة كان نابغاً في التفسير والحديث، بارزاً في الأصول والفروع، مجتهداً في علوم الدراية، حافظاً مستوعباً للطبقات والتاريخ والسير، حتى صار رحلة في الأقطار لشرح مشكل الآثار، ومسنداً ثبتاً لمعاني منتقى الأخبار فأصبح لنا علم وفن، وكان له من شمل الفضائل والفواضل ما نكل الألسنة عن تفصيلها، وتلعثم عن بيانها، ويتكفف سنا المزبر أن تسيطر

---

[132]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية" ص. 176.

جميعها، فآثره الله بالقريحة الوقادة، خلت القرون عن أمثالها، وأردفه بقوة الحافظ ما بلغ غاية ليس دونها غاية، حتى علمنا علم يقين ما أثر لنا من قوة الحافظة للمحدثين وسائر السلف الصالح في العهد الغابر في كتب الطبقات والرجال والتاريخ بل كأن رأيناهم رأى العين، فلم تبق لنا ريبة ولا خطرة من الوهم، فقد أبدى الصريح لنا عن الرخوة[133]. ثم مع هذه الحافظة وفقاً لغزارة المطالعة وسرعتها ما يتحير منها العقول، حتى تطوي من بين يديه ذخائر من المنكوبات العلمية كل يوم، حتى قيل عن بعض خواص معارفه، أنه أول ما كان يطالع "مسند أحمد" المطبوع بمصر، كان يطالع يوم نحو مأتي صفحة منه، مع غور وإمعان في أسانيده وحل مشكلاته. ويقول الشيخ أنور: إنني طالعت أولاً "مسند أحمد" فلخصت منه أدلة الحنفية والأحاديث المفيدة في عدة أيام، ولكن مع هذه السرعة كان ينقل أحاديثه أينما احتاج له في المشكلات والمعضلات مع ضبط تام لأحوال رواتها وطبقاتها، ثم طالع "مسند أحمد" مرة ثانية في أواخر عمره لالتقاط أحاديث نزول عيسى عليه السلام منه، ثم إنه تمكن من حسن الإلقاء على الطلبة والإملاء على الإشهاد بجزالة التعبير ونفاسة التحبير. وطالع في سنة (1321هـ/ 1903م) كتاب "فتح القدير" لابن الهمام مع تكملته فقط في بضع وعشرين يوماً، وكتب تلخيصه حتى كتاب الحج وأجاب عن إيراداته التي أوردها على صاحب "الهداية" وناقش فيها في جزء لطيف، كل ذلك في تلك البرهة القصيرة، ثم استغنى عن

---

[133]. رضوان الحق: "سيرت أنور" ط. ايجوكيشنل بكدبو علي كره، 1986، ص. 212-214

المراجعة لنقل مباحثه في جميع المسائل مدة عمره، وحكى الشاه الكشميري هذه الواقعة تحديثاً بالنعمة في عام (1347هـ/1928م) وحثاً لأشواق الطلبة وأعجبهم إلى مطالعة الكتب ومقاساة الشدائد فيها[134]. ولا نرى بأساً الإشارة إلى حقيقة واقعة التي وقعت فيما بين "علماء كشمير"، انقسموا إلى فرقتين، فرقة إلى جهة – في مسألة – وفرقة – إلى جهة – أخرى، والمسألة – كانت مسألة – وقوع الطلاق وعدمه، وكان فصل الأمر يحتاج إلى تحقق الواقعة، وكان أراده الشيخ وجاءت المجموعتان إلى حضرته يرجو كل فريق الموافقة، وكان مضطراً إلى السفر من كشمير، وما كان ينتهز فرصة – للبقاء وتحقيق الواقعة – فرأيناه متفكراً إلى الغاية فاستجوب الشيخ إن وقتكم لا يتسع للقضاء حيث يحتاج إلى تحقيق الواقعة، في نفس الأمر، فاكتفوا بالإفتاء فتهلل وجه الشاه وزال تفكره، وبين تحقيق الحكم في الجانبين بأدلة من ظهر قلبه على رأس لسانه، فكُتِبَ ما أراده الشاه تفصيل، فأعجبه ولم يغير فيه حرفاً وإنما غير ما كُتبَ من وصف الشاه بالقول: "وطالع الشيخ مولانا محمد أنور شاه "الفتاوى العمادية" وقال فيه : هات القلم؟ وأخذه فمحا منه كلمة "الحبر البحر" وقال بلهجة الغضب "لا أسمح لك في كتابه –وصف لي غير – "مولانا محمد أنور شاه"[135].

فناهيك بأمثال هؤلاء أعلام العصر شهوداً عدولاً قولاً وعملاً، وكثيراً ما رأينا في جملة من أسفاره في بلاد الفنجاب أنه

---

[134]. أنور شاه كشميري: "تحية الإسلام"، ط. المجلس العلمي دابهيل، ص. 4. محدث عصر: "مجلة شهرية أردية"، صادرة عن [معهد الأنور ديوبند، عدد 5-8، ديسمبر 2002 - أذار 2003 ص. 39-45

[135]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر" ص. 28، أنظر شاه كشميري: "الاله وكل"، ص. 58.

كان يجتمع لزواره طوائف من المشائخ والعلماء والمدرسون على مطالعة الفنون ليلاً ونهاراً، ويسألونه حل ما أشكل عليهم في أي كتاب من أي علم كان، فرجل يسأل في الفقه، ورجل في الحديث، وعالم في معضلات النحو، وآخر في دقائق العلوم الإلهية والطبيعية وغيره في العلوم الآلية، وواحد في التاريخ بل في مبهماته ومشكلاته، وآخر في سير المصنفين وعاداتهم، هكذا واحد بعد واحد، فتارة يخاطب هذا وتارة يجاوب هذا، وتارة ذلك ومرة ذاك، فيشتفى ويشفي، حتى ترى أنه بحر يموج، أو مزنة تهمي، أو واد يسيل، إذا شرع في الحديث خلت أنسه لا يحسن غيره، وإذا شرع في استطراد غوامض الفقه كأنها لا يعلم غيره، هكذا كان حاله في دقائق العلوم ومعارفها[136]. ولو نزل به أهل الأرض لأوسعهم علماً، وكان إذا أخذ في الحلال والحرام والفرائض يقول القائل : لا يحسن سواء، فإذا أخذ في تفسير القرآن ومعانيه يقول السامع : لا يحسن سواه، فإذا أخذ السنة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول القائل لا يحسن سواه فإذا أخذ في القصص وأخبار الأمم وسير الماضيين فكذلك، فإذا أخذ في أنساب العرب وقبائلها وأصولها وفروعها فكذلك، فإذا أخذ في الشعر فكذلك. ولو لم تكن هذه النظائر بين أعيننا لما تيقنا ما أسلف لنا علمائنا الغابرون في حق السلف، والآن بحمد الله كشف الغطاء عن أبصارنا فبصرنا اليوم، نرى صدق جميع ذلك، وثلجت بها صدورنا ويلم بها شعبنا، فيا لها من أمة هذه الأعلام والأحبار في آخرها، فماذا يكون الظن بأولها، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل أمتي كالمطر لا يدري أوله خير

---

[136]. أزهر شاه قيصر: "حيات أنور" ص. 78-80

أم آخره"، أو كما قال، فنظر صلى الله عليه وسلم إلى مآثر هذه وفضائلها في آخرها فاستكثرها فأعجبته فتنامى فضائل أولها، وكيف لا يكون فضل باهر وشرف زاهر لعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال رسول الله: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، فالسابقون السابقون أولئك المقربون" فسبحان من أقام في الأمة لخدمة كتابه ودينه والذب عن حريمه وحماه رجالاً في بدء هذه الأمة المختارة ونهايتها ظاهرين على الحق ينشرون العلم ويخدمون الإسلام ويصلحون ما أفسده الناس حتى يأتي أمر الله، هذا وكانت قد انعقدت حفلة تأبين عظيمة بالجامعة الإسلامية بعد وفاة الشيخ رحمه الله تعزية ورثاء[137].

أساتذة الشيخ أنور شاه الكشميري

الشيخ محمود حسن الديوبندي :

هو نابغة المحدثين من بين المحدثين الآخرين الديوبنديين، رائد النهضة العلمية والسياسية في شبه القارة الهندية، كان هو بطلاً مكافحاً عن مجد الإسلام مجاهداً متحمساً، ومربياً روحيا عظيماً، وفي مقدمة العلماء الغيورين الذين عاشوا في منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجاهدوا لاستيعاد مجد المسلمين.

ولد بمدينة "بريلي" حيث كان أبوه الشيخ والأديب ذوالفقار علي أستاذا في الكلية الإنكليزية وهو أديب بارع في اللغة العربية في الهند، يعد من الشعراء المفلقين والأدباء

---

137. عبد الرحمن كوندو: الأنور" ، ص. 291، ويوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ص.

البارزين وقد ترك مكتبة زاخرة من مؤلفاته الأدبية. تلقى الطفل الموهوب الدروس الابتدائية من علمه ثم التحق بدار العلوم في وطنه ديوبند التي كانت في طور البداية، تلمذ عن العلماء المعروفين بورعهم ورسوخهم في العلم وقرأ الحديث على الإمام الكبير محمد قاسم النانوتوي مؤسس مدررسة دار العلوم بديوبند، وبعد ذلك عيّن مدرّسا في المدرسة نفسها، وأصبح شيخ الحديث فيها، وتولى منصب رئاسة التدريس، ولم يزل يدرّس أربع وأربعين سنة ولقب بـ "شيخ الهند"[138].

وقد نبغ من تلامذته العارف الكبير والمربي العظيم الشيخ أشرف علي التهانوي، والمحدث والبطل في هذا البحث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ شبير أحمد العثماني، والشيخ عبيد الله السندهي، والشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني وآخرون الذي قاموا بدور عظيم في خدمة العلم والدين وكانت لهم مواقف رائعة في مقاومة الاستعمار البريطاني[139]. أما الجانب الذي امتاز به الشيخ محمود حسن بين العلماء فهو دوره المثالي وجهوده وتضحياته لاستعادة مجد الإسلام والمسلمين وكفاحه العظيم في مكافحة الاستعمار البغيض، وقد فاقت عبقريته في هذا المجال كافة أقرانه وأمثاله[140].

يبقى الإنسان مشدوهاً حينما يرى عالماً دينياً المشتغل في تدريس الحديث في مدرسة إسلامية، عابداً لله سبحانه مخلصاً

---

[138]. محمد ميان: "علماء هند كا شاندار ماضي"، ط. الجمعية بكدفو دلهي، 2002، ص. 178

[139]. الداعي: "مجلة شهرية" (عدد 8) ت1 و ت2، 2002، ص. 52.

[140]. محمد ميان: "علماى حق اور ان كـ مجاهدانه كارنامى"، ص. 107

ومنيباً إليه، دائم التضرع إلى الله يأتي بالعجائب في الحنكة السياسية، ويقضي مضجع الحكومة البريطانية رغم قوتها وسطوتها وتضع خطة سياسية يعجز عنها كبار السياسيين والقائدين. وهو يضطرم غيظاً على الإنغليز وكل ما يمت إلى الاستعمار بصلة، دائم التألم لاوضاع المسلمين كثير الاهتمام بمطاردة الإنجليز، لا يعرف اللين والهوادة في أمرهم وقد نفخ روح الجهاد في كافة المنتسبين إليه، فكان يقود العلماء والمثقفين ويناضل ضد الاستعمار البريطاني البغيض مع أتباع ابتغاء لمرضاة الله سبحانه[141].

هذا لا يكون ظلماً لو يقال إنه كان إمام الحرية والاستقلال الذي عرف بشيخ الهند محمود حسن، وهو أدى رسالته وانشأ جيلاً يؤمن بفكرته ويحمل عاطفته وغيرته في طرد الإنغليز واستخلاص البلاد الإسلامية من أيدي الاستعمار وعلى أيديهم يتم الأمر، وتستعمل الهند في عام 1947م.

الشيخ خليل أحمد السهارنفوري:

وهو محدث بارز، حصل العلوم والمعارف من مدرسة 'دار العلوم ديوبند' و'مدرسة مظاهر العلوم' على أساتذتها المشهورين، وهو من أخص أصحاب الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي و من خلفانه، قضى حياته في الدرس والإفادة والتأليف والتصنيف في مدرسة مظاهر العلوم، وقد تخرج عليه خلق كثير، اشتهر منهم الشيخ أنور شاه الكشميري، الشيخ محمد إلياس

---

[141]. أصغر علي الديوبندي :"مجلة الداعي" تعريب: "عبد الرشيد القاسمي" عدد 5، [اب 2000] ص. 25-26

الكاندهلوي، الشيخ المحدث زكريا السهارنفوري وغيرهم. وله شرح كبير على سنن أبي داؤد سمّاه "بذل المجهود في سنن أبي داؤد" في خمس مجلدات ضخمة، بذل فيه جهده لنصر الحنفية وسبب تأليفه هذا الشرح هو عدم وجود شرح واف لهذا الكتاب الجليل بقلم عالم حنفي يجمع بين البحر في الحديث والتضلع في الفقه. فقام المحدث السهارنفوري لسد هذا الفراغ الهائل وتدعيم الفقه الحنفي بدلائل السنة، وقد بدأ تأليف هذا الشرح بعد ظهور الجزء الأول من غاية المقصود، وعون المعبود للمحدث شمس الحق العظيم آبادي فظهور هذين الشرحين بقلم عالم سلفي كان سبباً مباشراً لهذا الشرح كما ذكر المؤلف في المقدمة، لأن منهج العظيم آبادي السلفي لم يرض الشيخ السهارنفوري[142].

أنور شاه والفقه، ونبذة من خصائصه

إن أنور شاه ليس هو محدثاً فحسب، بل انه فقيه بارع فيه، كما ولعب دوراً بارزاً في هذا المجال، فانه طالع من الفقه وما يتعلق به تصانيف الإمام محمد بن الحسن الشيباني من كتب ظواهر الرواية و "الموطا" وكتاب "الآثار" وكتاب "الحجة" له، بضبط وإتقان وغاية فكر وإمعان، ثم شرح الإمام السرخسي "المبسوط"، وهو شرح لكتب ظاهر الرواية التي جمعها الحاكم الصدر الشهيد في كتابه "الكافي" و "شرح السير الكبير" له، ثم ما تيسر له من تصانيف الإمام الطحاوي من "شرح معاني الآثار" و "مشكل الآثار" و "المختصر" له في الفقه، وقد قال فيما أحفظ: إني طالعت "مختصر الطحاوي" نحو عشرين مرة،

---

[142]. عبد الرحمن الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة" ص. 240

ومع ذلك لم يشتف صدري في مواضع كثيرة، فهكذا طالع من كتب الفقه وهذه الكتب جميعها مطبوعة بمصر والهند المتداولة بين أيدينا اليوم، ثم من الكتب الخطية ما تيسر له، حتى سمعت عنه نفسه: أفنيت بكشمير للمفتيين والعلماء في الفتاوى المشكلة وفي التي تكون آراءهم فيها مختلفة لمدة ثلاث سنين كاملة ولم أفتقر لمراجعة كتاب في تلك البرهة. ثم لم يكتف في الفقه بمطالعة الفقه الحنفي بل طالع من كبار كتب الفقه المالكي والشافعي والحنبلي ما يقضي العجب ويورث الحيرة، وكانت أكثرها غير مطبوعة عند ذلك، فهذا كتاب "بدائع الصنائع" لأبي بكر الكاساني و "البحر الرائق" لإبن نجيم و "النهر الفائق" لأخيه و "رد المختار" للشامي و "كتاب الأم" للإمام الشافعي وغيرها من مبسوطات الفقه كلها كانت بمرأى عينيه، طالعها وأمثالها سطراً سطراً حرفاً حرفاً، وكان يثني كبيراً على كتاب "الأم" وعلى ذكاوة الإمام الشافعي حتى قد يقول : إني كلما أطالع كتاب "الأم" يقع في قلبي أن الإمام الشافعي من أذكياء الأئمة[143].

ومن مآثر الشيخ أنور، ناسب سردها بالإجمال في هذا الباب. كان أنور شاه يؤثر الخمول، ويجتهد أن لا يشتهر صيته، وله في ذلك وقائع بديعة، فكانت جواهره لم تتلألأ بعد في بدء عمره وشرخ شبابه. فلنبين هنا واقعة من بعض نواحي "دهلي" وكان هناك رجل يدعي العلم، بل كان أذاع: "إني حافظ عصر في الحديث"ن وكان لا يقلد أحداً من الأئمة، وكان يشنع كثيراً على متبعي الأئمة المجتهدين، وكان وقاحاً جريئاً، طويل اللسان، ينال

---

[143]. يوسف البنوري : "نفحة العنبر"، ص. 86.

من الأئمة، ولا سيما كان يقع في شأن الإمام أبي حنيفة، فكان أعلن في تلك الأيام للمناظرة مع الحنفية، فصادف قدومه تلك الأيام، فذهب إليه للمناظرة، فقام الشيخ أنور شاه في حفلة غاصة بالعلماء، وأعلن على رؤوس الأشهاد قال: أيها المدعي سل مني ما بدا لك من الفقه والحديث وغيرهما؟ وكل ما سأجيبك به يكون من اجتهادي، فأنا مجتهد هذا العصر، فسل ما شئت ترى بديعاً إن شاء الله؟ فأطرق رأسه مفحماً واجماً، فبهت ودهش ولم يستطع أن يلوك كلمة. فقال أنور شاه بلغني أنك تقعقع بالشنان: "إني حافظ الحديث" ويحك، وهل رأيت حافظاً؟ وهل تستطيع أن تسبر قدر الحافظ؟ فهذا أصح الكتب بعد كتاب الله "الصحيح" للبخاري، فكم لك فيه من أحاديث وعيتها؟ وكم لك علوماً فيه دريتها وتليتها؟ فاقرأ أنت علينا من "الصحيح عن ظهر قلبك، أو أقرأ أنا؟ فقال المدعي : اقرأ أنت؟ فقال الشيخ استمع أيها المدعي، فأخذ الشيخ يقرأ من بدء "الصحيح" كما هو بين عينيه حتى قرأ منه أوراقاً منسقة منتظمة، فقال: هل يكفيك أو أزيدك؟ فحير العقول وأدهش الفحول. وكم هكذا وقعت له وقائع محيرة هي له منن على رقاب الأمة الإسلامية[144].

---

[144]. أحمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري"، ط. بيت الحكمت ديوبند، 1990، ص. 273. انظر شاه مسعودي: "الاله وكل" 66 – 67. و "نقش دوام" ص. 170. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية" ص. 77

الباب الثاني

مدرسة ديوبند و أسلوب أنور شاه في تدريس الحديث

- مدرسة ديوبند و دراسة الحديث النبوي
- طريقة أنور شاه المبتكرة في تدريس الحديث وإصلاحاته الدراسية.
- ميزات أنور شاه في محاضرات الحديث.
- التعصب الحنفي في شرح أنور شاه للحديث ومحاولاته لتطبيق المذاهب

مدرسة ديوبند و دراسة الحديث النبوي

مضت قرون متطاولة وكان علم الحديث عديماً في أرض الهند وغلب فيها على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية، وعرف علماء الهند بصناعة علم اليونان وعدم الاعتناء بالسنة والقرآن كما يحدثنا مؤلف الثقافة الإسلامية في الهند وذلك بعد ما انقرضت دولة العرب من هذه القارة وتغلبت عليها الملوك الغزنوية والغورية وتتابع الناس من خراسان والدول المتجاورة، واشتغل الناس بالعلوم العقلية أو الفقه والأصول وإن لم تخلو تلك الفترة من بعض الأعلام والنوابغ في الحديث غير أن حظ بلاد الهند كان ضينلاً من علوم السنة في عصور كانت بلاد العراق والشام ومصر حافلة بالمحدثين. فظل كتاب "مشارق الأنوار" للصغاني مداراً في دراسة علم الحديث في الهند قروناً ثم أضيفَ إليه كتاب "مشكاة المصابيح".

ومنذ القرن السابع عشر الميلادي تناوبت الهند بين الاقطار والبلاد وحملت لواء السنة والحديث أنجبت شخصيات نابغة كالشيخ علي المتقي (م 975 هـ) مؤلف "كنز العمال" والشيخ المحدث محمد بن طاهر الفتني (م986 هـ) مؤلف "مجمع البحار" و "المغني" في علم أسماء الرجال و "قانون الموضوعات" وغيره، والشيخ احمد بن عبد الأحد المعروف بـ بمجدد الألف الثاني (ولد 971 هـ) والشيخ عبد الحق الدهلوي (م 1052 هـ) وهو يعتبر حقا رائد العلماء المحدثين في الهند، واليه يرجع الفضل في إحياء علوم السنة ونشر معارف الحديث في

الهند، لم يزل عاكفاً على الدرس والتأليف أكثر من نصف قرن اغترف من علومه رجال بارزون وتخربت لديه جماعة كبيرة[145].

وبدأت نهضة جديدة وازدهرت علوم السنة، ثم بلغت نهايتها في القرن الثامن عشر الميلادي على أيدي شاه ولي الله الدهلوي (م 1763 الميلادي) وانجاله وتلاميذه، وازدادت عناية العلماء بشرح الحديث وكثرت الكتب والمؤلفات في سائر فنون الحديث، ونبغ أمثال المحدث محمد اسحاق (م 1262 هـ) سبط الشاه عبد العزيز الدهلوي (م 1239 هـ)، والشيخ عبد الغني المجددي (م 1227 هـ) والمحدث نذير حسين الدهلوي (م 1320 هـ) والمحدث أحمد علي السهارنفوري (1225-1297هـ/1810-1879م)، والنواب صديق جسن خان (م 1307 هـ) والشيخ محمد قاسم النانوتوي (م 1880. الميلادي) والشيخ عبد الحي اللكنوي (م 1923 الميلادي) والشيخ أنور شاه الكشميري (م 1352 هـ) وإنهم قاموا بخدمات مشكورة في نشر السنة والحديث[146].

يقول الأستاذ رشيد رضا المصري : "لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر"[147]. كذلك ويقول الأستاذ عبد العزيز الخولي:

---

[145]. ابو الحسن علي الندوي: "المسلمون في الهند"، ط. المجمع الاسلامي العلمي، 1998، ص. 30 – 31. الداعي : "مجلة عربية شهرية" تصدر عن مدرسة دار العلوم بديوبند، عدد خاص- مارس، ابريل 1980م. ص. 21

[146]. عبد الرحمن الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة"، ص. 81 - 82. شيخ محد اكرام: "موج كوثر"، ص. 228

[147]. عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر" ج8، ص. 125

"الايوجد في الشعوب الإسلامية على كثرتها واختلاف أجناسها من وفي الحديث قسطه من العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند"[148].

أما دور علماء مدرسة ديوبند ومشايخها خاصة في نشر علوم السنة و خدمة الحديث النبوي فهو معروف لا يُحتاج إلى البحث والتفصيل في مقالنا هذا، ونعتبر مدرسة ديوبند الفكرية جزءاً لحلقة من حلقات الجهود الرائعة للمحدث شاه ولى الله الدهلوي وأسرته وصورة منقحة لأفكاره وعلومه، وتمثيل صادق لدعوته ومهمته وجبهة جديدة قوية لمعارضة الأفكار الخاطئة و التقاليد الخرافية.

وقد كان الشيخ المحدث عبد الغني المجددي و الشيخ محمد إسحاق سبط الشاه عبد العزيز الدهلوي مداراً للحديث في منتصف القرن الرابع عشر الهجري في بلاد الهند، قد نفع الله بهما كثيرا، وازدادت علوم السنة ازدهارا بفضل جهودهما، ولما هاجر أحدهما إلى مكة و ثانيهما إلى المدينة المنورة، فشغل مكانهما العلماء النوابغ من تلامذتهما، وفي طليعة، من تلمذ على الشيخ عبد الغني المجددي والمحدث أحمد على السهارنفوري، والشيخ محمد قاسم النانوتوي والمحدث رشيد أحمد الكنكوهي (م 1905 الميلادي)، و لكل واحد منهم دور رائع في نشر علوم الكتاب و السنة وعرض المجتهدات الفقهية على مصادر التشريع الأصيلة.

---

[148]. سيد محبوب رضوي: "تاريخ دار العلوم ديوبند" ط. مكتبة دار العلوم ديوبند، 1984، ص. 118.

فقام الشيخ أحمد علي بنشر صحيح الإمام البخاري لأول مرة في بلاد الهند بعد التصحيح و التعليق عليه و التحشية والطبعة لكل من سنن الإمام الترمذي و مشكوة المصابيح، ولا تزال تلك النسخ متداولة بين العلماء إلى هذا اليوم.

الشيخ محمد قاسم النانوتوي فقد ساعد أستاذه الشيخ احمد علي في التعليق على صحيح البخاري حيث وكّل إليه الشيخ التعليق على الأجزاء الخمسة الأخيرة كما قام بإنشاء أكبر مصدر إشعاع ديني و مركز لنشر علوم الكتاب والسنة و هي جامعة ديوبند الإسلامية الشهيرة[149].

أما المحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي فقد عكف على التدريس و الإفادة، و قد نشرت من أماليه في درس الحديث "لامع الدراري على جامع الإمام البخاري" و "الكوكب الدري على سنن الإمام الترمذي"، قام بضبطها تلميذه النابغ الشيخ محمد الكاندهلوي، و قد قام بالتعليق عليها فضيلة المحدث محمد زكريا الكاندهلوي (م 1402 هـ)[150].

و على هؤلاء الشيخ الثلاثة قد تخرج عدد كبير لا يحصى به من علماء الكتاب والسنة الذين لعبوا دورا بارزا في ترويج علوم القرآن والسنة و انتهجوا منهج شاه ولى الله الدهلوي في الإفادة والتدريس.

ومن أبرز هؤلاء الأئمة المحدثين الشيخ محمود حسن المعروف بـ شيخ الهند (م 1921 الميلادي) صاحب "مواقف

---

[149]. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم، مدرسة فكرية توجيهية"، ط. أكاديمية شيخ الهند ديوبند، 2000م، ص. 114 - 115

[150]. عبد الرحمان البرني: "علماء ديوبند وخدمتهم في علم الحديث"، ط. مجمع شيخ الهند، ديوبند، 2000، ص. 26

محمودة" و "خطة الرسائل الحريرية" لاستقلال البلاد الإسلامية والهند من براثن الاستعمار الإنغليزي.

اسند الحديث من الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ عبد الغني المجددي والمحدث أحمد على السهارنفوري، وتخرج عليه أمثال الشيخ أشرف على التهانوي، الشيخ محمد أنور شاه الكشميري والشيخ حسين أحمد المدني (م 1377 هـ/1957م)، ومن آثاره تعليقات على سنن أبى داود، والأمالي الوجيزة على سنن الترمذي و شرح تراجم أبواب البخاري وترجمة معاني القرآن.

ومن تلامذة الشيخ محمد قاسم النانوتوي النابغين الشيخ فخر الحسن بن عبد الرحمان الكنكوهي، له تعليق على سنن أبى داود سماه "التعليق المحمود" وحاشية مختصرة على سنن ابن ماجة، والشيخ أحمد حسن الأمروهي، والشيخ محمد حسن السنبهلي صاحب المؤلفات القيمة في الفقه والحديث وانتفع بهما خلق كثير، وتخرج عليها كبار العلماء المتضلعين، في علم الحديث[151].

كما يعتبر الشيخ ماجد على المانوي والشيخ محمد يحي الكاندهلوي من تلامذة العلامة رشيد أحمد الكنوهي من كبار علماء الحديث. أما تلامذة الشيخ محمود حسن فقد نبغ فيهم أمثال الشيخ أشرف علي التهانوي (م 1362 هـ/1943م)، أعظم ما اتفقت به الهند في إصلاح المجتمع و بث الوغي الديني، تبلغ مؤلفاته في الحديث "جامع الآثار"، غير أن العمل الذي يكون

---

[151]. ابو الحسن علي الحسني: "أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، ط. المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ 1995، ص. 23 – 25.

لتخليد ذكره في سائر العصور هو إشرافه على إعداد موسوعة حديثة باسم "إعلاء السنن" قام به ابن أخته الشيخ ظفر أحمد العثماني وهي في ثمانية عشر مجلدا، وهو في الحقيقة عمل عظيم و جهد رائع في تقريب الفقه وله خدمة جليلة في نشر السنة لا تكاد توجد لها نظير في القرون المتأخرة[152].

أما صاحب موضوع هذا البحث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري فحدث عن البحر، ما أنجبت البلاد الإسلامية مثله خلال قرون في استحضاره المدهش وذاكرته القريحة و تغلغله في سائر أصناف العلوم، كما وعلم الحديث فكان شعاره و دثاره، عاش له وعاش فيه، و قضى حياته في خدمة السنة و ناهيك أماليه على صحيح الإمام البخاري المطبوع باسم "فيض الباري" لتقدير مدى سعة علمه و استيعاب أدلة المذاهب الأربعة و ترجيح ما هو الراجح، و دراسته العلمية النقدية[153].

إن هذه الجامعة قامت بدور قيادي بارز في تنشئة المسلمين توعية إسلامية، وزيادة روحية أكسبتهم قوة الدفاع من كيان الإسلام والحفاظ على شوكته و شعائره. وقد خرجت هذه الجامعة عددا هائلا من علماء الإسلام وأئمة الدين ورجال الفكر ورواد الحركات. و قام هؤلاء العلماء بدور هام في استعادة المجد الذي كانت فقدته الشعوب الهندية المسلمة، فأصلحوا ما فسد وتغير من أحوال المسلمين وأعمالهم، و خسوا الإسلام و

[152] البرني: "علماء ديوبند وخدمتهم في علم الحديث"، ص. 35

[153] . يوسف البنوري: "نفحة العنبر" ص. 45.

المسلمين خدمات غالية في كافة نواحي الحياة العلمية والروحية والفكرية والعقلية والاجتماعية والسياسية[154].

لا يخفى على أي ذي علم وبصيرة في أن الجامعة يحق لها أن تفتخر بإنجازاتها وخدماتها في مجال علم الحديث. فإنها جعلت هذا العلم الشريف موضع اهتمام خاص بها واعتنت به عناية منقطعة النظر وسعت دائما إلى إحيائه تدريسا وتعليما وكتابة وقام أبناؤها بخدمات جليلة و لأبنائها تعليقات قيمة في علم الحديث كما سنذكرها في موضعها إن شاء الله.

و قد أوصى المشرف العام على مدرسة ديوبند الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي القائم على أمور الجامعة بالاهتمام البالغ تدريس علوم الحديث والفقه قائلا: "يجب على مدير المدرسة أن يسعى في تدريس الحديث والفقه ويأمر الطلبة يتلقوهما بتدبر وإتقان. فان الغرض الأصلي من تأسيس المدارس هو تدريس العلوم الدينية، وما عدا ذلك فإنما هو يُعَدّ آلة لهذه العلوم العربية والأدبية أو معارضا لها و مخلاً أهدافها كالفلسفة، و كذلك يتحتم على المدرسين أيضاً أن عفوا الطلبة في ذلك ويوجهوهم إلى أخذ العلوم الدينية بشوق و إمعان لا سيما علوم الحديث، فإن العناية بها أمر لازم[155].

والعناية بالحديث وبعلومه وبتعبير آخر بالسنة وعلومها، هو الجانب المميز لدار العلوم عن غيرها من الجامعات الإسلامية والمعاهد العلمية، ولجماعتها عمن سواهم، ولخدماتها عن غيرها من الخدمات العلمية، فإن عنايتها بالسنة وعلومها،

---

[154]. Mohammad Mujeeb: "The Indian Muslim" . Lahore, 1967, P. 15 - 17

[155]. ابو الحسن علي الندوي: "المسلمون في الهند" ص. 112

ولا يستطيع أن يغفل عنها من تكلم في دار العلوم وخدماتها، ولا يكاد ينكرها من يؤلف أو يكتب في تاريخ الإسلام والمسلمين وتاريخ الدعوة الإسلامية وعلومها بالهند، بل ويتناولها ببالغ اهتمام ولائق تنويه، وقداعترف بذلك علماء الحديث في البلاد الإسلامية[156].

فلما زار الشيخ رشيد رضا المصري صاحب مجلة "المنار" وكان من علماء سوريا ومصر البارز في القرن التاسع عشر كما زار الشيخ ديوبند وحضر درس الشيخ أنور شاه الكشميري شيخ الحديث بدار العلم ديوبند في الوقت ذاته قال: "ما رأيت قط مثل هذا الأستاذ الجليل"[157].

فأقبل علماء الهند عليها إقبالا كليا، بعد أن كانوا منصرفين إلى الفقه المجرد و العلوم النظرية، ولو استعرضنا لعلماء الهند من الهمة العظيمة في علوم الحديث من ذلك الحين، مدة ركود سائر الأقاليم، لوقع ذلك موقع الإعجاب الكلي والشكر العميق، وكم لعلماءهم من شروح ممتعة و تعليقات نافعة على الأصول الستة وغيرها، وكم لهم من مؤلفات واسعة في أحاديث الأحكام، وكم لهم من أيادي بيضاء في نقد الرجال، و علل الحديث، و شرح الآثار، وتأليف مؤلفات في شتى الموضوعات[158].

---

[156]. أبو الحسن علي الحسني: "الدعوة الاسلامية في الهند وتطوراتها"، ص. 31 - 32.

[157]. الأسعدي: "دارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية، حركة دعوية اصلاحية مؤسسة تعليمية تربوية" ، 2000، ص. 175

[158]. شيخ محمد اكرام: "موج كوثر"، ط. مكتبة ادبي دنيا دلهي، ص. 246.

ثم يأتي دور علماءنا الهنود البارزين، من أهل السنة، فمآثرهم في السنة في القرون الأخيرة فوق كل تقدير، وشروحهم في الأصول الستة تزخر بالتوسع في أحاديث الأحكام، مثل "فتح الملهم في شرح مسلم" و " بذل المجهود" و "العرف الشذي" إلى غير ذلك مما لا يحصى...."[159]

فان الحديث الشريف، أكثر عرضة لتلاعب الجهلة الناقمين من الإسلام، الثائرين عليه، المتربصين به والكائدين له، فلابد أن يكون الاهتمام بالحديث زائدا و العناية به كبيرة، فعنيت دار العلوم بالحديث وعلومه اعتناء يليق بشأنه.[160]

و مما يجب أن يذكر أن دار العلوم كانت سعيدة منذ أول يومها بأن كان على مشايخ الحديث فيها رجال من أبرز الشخصيات الإسلامية و العلمية، فكل من شغل هذا المنصب صار إماما في الحديث، و نابغة من نوابغه، ممتازا بين العلماء المعاصرين، لا في الهند فحسب بل في العالم الإسلامي كله.[161]

و هناك أمر خاص دعاهم و حمّلهم إلى شدة عنايتهم بالسنة وعلومها، وهو إثارة شكوك و شبهات من المجددين والمثقفين المزعومين بالثقافة العصرية حول السنة وعلومها، وثبوتها والاحتياج بها،[162] ومن غلاة جماعة أهل الحديث، المنابذين الأئمة الأربعة، حول كثير من المسائل الفقهية

---

[159]. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ص. 24- 25

[160]. صديق حسن خان: "الحطة في ذكر الصحاح الستة، دراسة وتحقيق علي حسن الحلبي"، ط. دار الجيل، بيروت 1968، ص. 128.

[161]. محمد نعمان الدين ندوي، ابو الحسن علي ندوي: "الروائع والبدائع في البيان النبوي"، ط. دار الصحوة للنشر، بيروت 1996، ص. 67.

[162]. غوري، عبد الماجد: "السنة النبوية: حجيتها وتدوينها؛ دراسة عامة"، ط. دار ابن كثير، القاهرة 2009، ص. 12.

والفرعية سيما من مذهب الإمام أبى حنيفة، و معلوم أن الغالبية الساحقة لمسلمي الهند من أتباع هذا الإمام الأعظم و فقهه ومذهبه، وكثرت الفوضى و الضوضاء بكل ذلك في أوائل أيام قيام هذه الجامعة إلى سنين طويلة، فاقتضى خصوص أحوال هذه البلاد و ظروفها أن يتوجهوا إلى ذلك بكل إمكانياتهم، أقصى وسائلهم العلمية و المادية[163].

المناقشة في خدمة علماء ديوبند للسنة المطهرة وعلومها من نواح عديدة و كلها طبعا مهمة، نذكر بعضها هنا إجمالا:

1- المقررات المدرسية 2 - دارسة الحديث و طريقة التدريس 3 - مزايا دراسة الحديث في مدرسة دار العلوم 4 - التأليف في ألحديث وعلومه

- المقررات الدراسية:

المقرر الدراسي في الحديث وعلومه بمدرسة "دار العلوم ديوبند"، أوسع المقررات الرائجة في الجامعات الإسلامية في شبه القارة التي تتبع منهج دار العلوم بديوبند و مقرراتها الدراسية. فمنها الصحاح الستة، والموطأ بكلتي الروايتين (رواية يحيى بن يحيى المصمودي و رواية محمد بن الحسن الشيباني) "و شرح معاني الآثار" للإمام الطحاوي، و "كتاب الشمائل" للترمذي، و"مشكاة الآثار" للشيخ محمد ميان الدهلوي (1321-1395هـ/1903-1975م)، و "زاد الطالبين" للشيخ عاشق الهي

---

[163]. عبيد الله الأسعدي: "مؤسسة فكرية الخ" ص. 179

البرني (ت 1422هـ/2001م)، الثلاثة الأخيرة من مؤلفات علماء دار العلوم[164].

هذه الكتب من متون الحديث، أما من علومها فهي "المقدمة" لابن الصلاح، و " نزهة النظر شرح نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر، و"المقدمة" للشيخ عبدالحق الدهلوي. و لهم اهتمام بالغ بأن لا يفوت حديث من أمهات الصحاح الستة، و لا يرضون باختيار أبواب معينة منها فقط، فالتلاميذ يقرؤون على الشيوخ و هم يسمعون ـ و قد يقرأ الشيخ والطلاب يسمعون ـ جميع الكتب الستة من أولها إلى آخرها. ولا يعطون شهادة الفراغ للطلاب والمتخرجين إلا بنهاية دراسة الصحاح الستة مع كتب أخرى من الحديث[165].

ـ دراسة الحديث و طريقة التدريس

دراسة الحديث وعلومه في دار العلوم. أصبحت الميزة الأولى الرئيسية من بين مزاياها الكثيرة، وهي العناية بتدريس الحديث بتعمق و اهتمام. لذلك لما زار السيد رشيد رضا صاحب مجلة "المنار" (و هو تلميذ الشيخ محمد عبده المصري) دار العلوم بديوبند و حضر دروس الشيخ أنور شاه الكشميري شيخ الحديث بدار العلوم قال:

---

164. البرني: " علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ص. 30

165. حبيب الرحمان قاسمي: "دارالعلوم ديوبند ايك اجمالى تعارف" ط. مكتبة دارالعلوم ديوبند، 1994، ص. 15

"لولا رأيته لرجعت من الهند حزينا"[166].

و هذا مع عناية زائدة في دار العلوم ديوبند بتدريس الحديث مع أدب واحترام، ودراسة مقارنة، و محاكمة استدلالية، وإثبات المذهب الحنفي و ترجيحه. فان الدروس تتلقى غاية التدقيق والتحقيق مع الاهتمام الزائد ببيان أسماء الرجال، و تحديد درجة الرواة، والبحث عن متون الأحاديث و أسانيدها، و باستيضاح المذاهب الأربعة المتبعة مع أدلتها في غاية التحقيق و التفضيل من غير تعسف وتعصب، ترى في حلقة الحديث طلابا تختلف مذاهبهم وآراؤهم إلا أنه لا يجرح شعورهم في بيان الأدلة وعرض المذاهب والمناقشة فيها[167].

- مزايا دراسة الحديث في دار العلوم

ومن أجلّ الخصائص التي عرفت بها دار العلوم في دراسة الحديث ما يلي:

* إلقاء الضوء أولاً على غرض الشارع من النصوص التي يعتصم بها أهل كل مذهب من المذاهب الأربعة، وإن كان هناك فيه شيء من الغموض فيشرحونه شرحاً يرتاح له القلب.

* إنهم لا ينيطون شرح الأحاديث المشكلة و المتعارضة بلفظ واحد أو طريق واحد بل

---

[166]. أضواء على الحركات والدعوات الدينية والاصلاحية مدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند لأبي الحسن علي الندوي، ص. 22- 25

[167]. الأسعدي: "مؤسسة فكرية توجيهية" ص. 182.

يتفقدون جميع الألفاظ المروية – عن طرق مختلفة للحديث- ويتوخون فيها لفظ الشارع.[168]

* إنهم يعتنون أشد اعتناء في إفصاح منشأ ما وقع بين الأمة من الاختلاف البيّن في الأعمال التي جرى التعامل بها - مأثوراً في الأمة كرفع اليدين، و تعيين مواضعه، والوتر وتعيين ركعاته، وصلاة الجمعة و شروط أدائها، وما شكلها من المسائل الأخرى التي تباينت فيها الأقوال فهم يعتنون – في الدرس- كثيراً بهذه الناحية و يقربون هذا الاختلاف، وأن أصحاب المذاهب معذورون فيه، و هذا أمر مهم جدا، و أن الإهمال لهذا الجانب يفضي إلى سوء الظن بالتعامل والنقل، وإنه أقوى حجة في الباب.[169]

* إنهم لا يتعصبون لأقوال الأحناف بل يحرصون دائما على الأخذ بالكتاب والسنة، والعمل بما يوافق السنة الصحيحة، وإن كان يخالف ذلك آراء الأحناف، عملا بما روي من الإمام الأعظم من أنه ما صح عن الرسول فهو مذهبي.

* إنهم يوجهون الطلاب إلى ما في الحديث من نواحي خلقية، لتكون حياتهم طاهرة نقية متحلية بالأسوة النبوية.

---

[168]. شقير، شفيق بن عبد: "موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار"، ط. المكتب الإسلامي، القاهرة 1998، ص. 208.

[169]. نور الدين عتر: "في ظلال الحديث النبوي: دراسة فكرية اجتماعية وأدبية جمالية معاصرة"، ط. 1999، ص. 270.

* وذلك مع كل التأدب مع الأئمة الأعلام والاحترام لآرائهم فلا يصدر من أحد من قول أو فعل- ما يمس كرامة الأئمة وعلماء الأمة السابقين بل جميع الطلبة و الأساتذة يخضعون لمكانهم العلمية الكبيرة السامية، و يشكرون لجهودهم الجميلة المشكورة، وأعمالهم الرائعة في نشر الدين وحفظه، ويعترفون بجملهم التي أسدوها إلى الأمة الإسلامية وأبقوا به الدين في صورته الأصلية النقلية.

* وإنهم يفضلون الجمع بين ما تعارض من الروايات قدر ما أمكن، وإذا رجّحوا مذهبا و مالوا إلى العمل بحديث لم يهجروا ما عارضه أيضا ولا التجأوا إلى تضعيفه، بل جعلوا له محملا يرتاح له القلب و تطمئن به النفس[170].

نشر الحديث وعلومه

شرحا و تحشية، تحقيقا و تأليفا و تصنيفا:

و هكذا فقد كان لعلماء ديوبند خدمات جليلة مشكورة في نشر الحديث بطبع كتب الحديث وعلومه، وبالتأليف فيه، فقد اعتنوا بذلك -أيضا- عناية كبيرة، فألفوا وكتبوا في مجالات متنوعة من السنة و علومها، كما أنهم اهتموا بنشر التراث

---

[170]. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ص. 52 – 55. و الأسعدي: "مؤسسة فكرية" ص. 182 - 184

القديم القيم و إخراجه من خزائن المكتبات و دفائن البيوت.[171] والجدير بالذكر أن نصفها بل أكثرها بالعربية. و نشير فيما يلي إلى أهم أعمالهم العلمية في هذا المجال:

ألف: قد شرح جماعة منهم الصحاح الستة وغيرها من الكتب المتداولة أو من المقررات الدراسية عندهم، و ألفوا في بعض ما يتعلق بها من النواحي العلمية، أو الأبحاث الجزئية، وكل ذلك بكلتي اللغتين العربية والأردية، بل في غيرهما أيضا من اللغات المحلية لولايات و بلدان مختلفة، و بيانها، بالإيجاز كالآتي:

(1) صحيح البخاري:

شرحه بالعربية الشيخ عبد الرؤوف الهزاروي بعنوان: "فضل الباري في فقه البخاري"، وبالأردية توجد عدد كبير من الشروح، منها: "تحفة القاري بحل مشكلات البخاري" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، و" فرحة القاري عن صحيح البخاري" للشيخ شير زمان الهزاروي، و "الكوثر الجاري في شرح البخاري" للشيخ عبد الرحمن المدني، و"تلخيص البخاري" للشيخ شمس الضحى الرنغوني، و للشيخ أحمد رضا البجنوري "أنوار الباري" كما وشرحه الشيخ عبد الجبار الأعظمي بعنوان: "إمداد الباري" و للشيخ صديق أحمد

---

[171]. يوسف زيدان وعلي بن حزم ابن النفيس: "المختصر في علم أصول الحديث النبوي"، ط. الدار المصرية اللبنانية، بيروت 1991، ص. 124.

الباندوي شرحه بالأردية بعنوان: "ظهور الباري" ولبعضهم "تفهيم البخاري".[172]

وأما المتعلقات فللشيخ عبد العزيز "نبراس الساري في أطراف البخاري"، و"إزالة القساس عن وجه قال بعض الناس" للشيخ مجيب الرحمان، البنغلاديشي الجنسية، و"ما ينفع الناس في شرح قال بعض الناس" للشيخ محمد طاهر الرحيمي، كلاهما شرحان ووضح ما ذكر الإمام البخاري في صحيحه بقوله: "قال بعض الناس"، و هما بالأردية. و"إنعام الباري في شرح أشعار البخاري" للشيخ محمد عاشق الهي الميرتهي، وهو أيضا بالأردية، و "كتاب المعجم لرجال البخاري" للشيخ محمد أسير الأدروي وهو بالعربية. ولهم عدة مؤلفات تخص شرح تراجم صحيح البخاري وتوضيحها، منها: "الأبواب والتراجم" لكل من: الشيخ محمود الحسن الديوبندي، الشهير بشيخ الهند، و الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ ماجد علي المانوي، و الشيخ فخر الدين المعروف بـ "شيخ الحديث" و هذا الأخير هو أوسع الكتب فانه أنجز في ست مجلدات و كلها بالعربية، و للشيخ تقي الدين الندوي أيضا مؤلفاً في ذلك[173].

---

172. صديق حسن خان: "الحطة في ذكر الصحاح الستة، دراسة وتحقيق علي حسن الحلبي"، ط. دار الجيل، بيروت 1968، ص. 128.

173. عبد الرحمن الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" ص. 124

(2) صحيح للإمام مسلم:

شرحه الشيخ شبير أحمد العثماني بعنوان: "فتح الملهم" لكنه وافته المنية قبل إتمامه، و أخيراً قام الشيخ محمد تقي العثماني، أحد العلماء البارزين بباكستان فمنّه، وهو الآن في تسع مجلدات ضخمة، ثلاث مجلدات منها بقلم الشيخ شبير أحمد العثماني، و البقية، أي التكملة بيد الشيخ محمد تقي الدين العثماني.

(3) جامع للإمام الترمذي:

شرحه الشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي بعنوان: "الطيب الشذي" والشيخ إبراهيم البلياوي بعنوان: "هدية الأحوذي"، والشيخ شمس الحق الأفغاني بعنوان: "تنقيح الشذي"، و الشيخ أشرف علي التهانوي شرحاً وجيزاً مختصراً وقد طبع مع أماليه على الترمذي بعنوان: "الثوب الحليّ"، و قد شرحه الشيخ السيد بادشاه غُل و الشيخ محمد موسى الروحاني أيضاً. و شرح الشيخ فضل الله الرحماني "علل الترمذي" و الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي "شمائله" و كل ذلك بالعربية إلا أن الشيخ زكريا له شرح لشمائل الترمذي بالأردية وهو مطبوع، وشرحه العربي طبع بذيله.[174]

---

[174]. أحمد محمد عبد الله: "مشاهد القيامة في الحديث النبوي"، ط. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص. 302.

وللشيخ الدكتور حبيب الله مختار كتاب "كشف النقاب عما يقوله الترمذي و في الباب" تخريج ما أشار إليه الإمام الترمذي من الروايات بقوله: " وفي الباب عن فلان وفلان"، طبع منه عدة مجلدات ضخمة، و هذا عمل عظيم قام به وحده[175].

(4) السنن للإمام أبي داود:

شرحه خليل أحمد السهارنفوري بعنوان: "بذل المجهود" وهو معروف متداول في عشرين مجلدا متوسط الحجم، و شرحه الشيخ شير زمان الهزاروي بعنوان: "انتباه الرقود في حل سنن أبى داود"، إلا أنه لم يكتمل.

و للشيخ محمد طاهر الرحيمي "زبدة المقصود في حل قال أبو داود" وهو بالأردية، و لغيره أيضا مؤلفات في شرح قول الإمام أبي داود في كتابه "قال أبو داود"[176].

(5) موطأ الإمام مالك:

شرحه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بعنوان: "أوجز المسالك" وهو معروف، طبع في عشرين مجلدا كبيرا و للشيخ أشفاق الرحمن

---

175. الأسعدي: "دار العلوم مدرسة فكرية توجيهية"، ص. 275 - 277

176. الفريواني :"جهود اهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، ص. 17-18

الكاندهلوي: كتاب "كشف المغطا في رجال الموطأ" في ذكر رواة الكتاب.[177]

(6) <u>شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي:</u>

شرح الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي بعنوان: "أماني الأخبار" لكنه وافته المنية ولم يفرغ من شرح ربع الكتاب، وما تمكّن من إنجازه قبل الوفاة، مطبوع متداول في أربع مجلدات ضخمة و شرحه الشيخ محمد عاشق إلهي البرني المدني بعنوان "مجاني الأثمار".

و للشيخ محمد أيوب المظاهري "تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار" وهو في أربع مجلدات ضخمة. وفي رجاله كتاب للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي أيضاً بعنوان: "الحاوي في رجال الطحاوي" وللشيخ محمد عاشق إلهي البرني "تبهيج الراوي بتخريج أحاديث الطحاوي" وللشيخ حسين علي البنجابي "تلخيص الطحاوي"، و للشيخ سرفراز خان صفدر كتاب "الكلام الحاوي في عبارة الطحاوي" وللشيخ شبير أحمد الميرتهي "إيضاح الطحاوي" كلاهما في شرح الكتاب وهما بالأردية، وطبع بالأردية - من الشروح المختصرة - غيرهما، أهمها "مصباح الطحاوي" للشيخ أسعد الله رامفوري.[178]

---

177. أحمد زكريا الغوري: "مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي"، ط. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص. 95.

178. حبيب الرحمان الأعظمي: "الحاوي في رجال الطحاوي"، ط. مكتبة دار العلوم ديوبند، 1995، ص. 102.

(7) مشكاة المصابيح:

هذا الكتاب من أعم الكتب المتداولة و الكتب الدراسية بهذه البلاد، ولعدد من علماء ديوبند تعليقات عليه وشروح بالعربية والأردية، فبالعربية: "التعليق الصبيح" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، وهو في خمس مجلدات ضخمة. و كتاب "مظاهر حق" للنواب قطب الدين الدهلوي في شرح مشكاة المصابيح، كان يحتاج إلى تنقيح و تهذيب و شرح إيضاح، فقام الأستاذ عبد الله جاويد بهذا العمل بجد ونشاط، و أخرجه في سبعين جزءًا، و نال الكتاب إقبالا عظيما من طلبة العلم. وبالأردية عدة شروح أهمها "تنظيم الأشتات لحل عويصات المشكاة المصابيح" للشيخ محمد الجاتغامي، البنغلاديشي الجنسية، أحد خريج دار العلوم ديوبند[179].

(8) مؤلفات متنوعة:

ولهم غير ذلك من الشروح لكتب الحديث، منها: شرح كتاب الآثار للإمام محمد بن حسن الشيباني المسمى بـ "قلائد الأزهار" وللشيخ المفتي مهدي حسن، طبع منه ثلاث مجلدات ضخمة لم يبلغ فيها الشارح إلا إلى ثلث الكتاب، وهو بالعربية. و منها: كتاب "فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد" للمحدث فضل الله الجيلاني، وله كتاب في شرح علل الترمذي للمفتي عبد اللطيف. والشرح غير مطبوع. ومنها: "تعطير الأنام شرح بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر للشيخ محمد حيات السنبهلي، و "الفوائد السنية في شرح الأربعين النووية" للشيخ عاشق الهي

---

[179]. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث" ص. 41-42

البرني، و "تحفة القدوس في بهجة النفوس" لابن أبي جمرة و "شرح شعب الإيمان" للشيخ عبد الله قطب شاه المرداني، و هذه كلها بالأردية[180].

ب: الأمالي و الشروح:

و قد طبعت لهم الأمالي والمحاضرات الدراسية المتعلقة بكتب الحديث، فإنهم يهتمون في دروسهم بشرح الحديث بما سبق تفصيله، والتلاميذ يقيّدون ما يسمعون من شيوخهم وأساتذتهم، هكذا الحال منذ بداية دار العلوم وبداية دراسة الحديث فيها، ولا تزال كذلك، فلذا وجدت ثروة كبيرة، قيّمة ومفيدة من أماليهم ودروسهم لدى المتخرجين في دار العلوم، ثم اهتم كثير منهم بطبع ما كان لديهم من هذا التراث العلمي القيم و نشره حتى تكونت منها مكتبة مفيدة ذات قيَمة علمية كبيرة. و هذه الأمالي تقوم مقام الشروح لكتب المتعلقة، وتفيد الطلاب والباحثين، والعلماء والمدرسين معًا، لما تشتمل عليه من علوم ومعارف توصّلوا إليها من خلال خبرتهم الطويلة في تدريس الحديث الشريف و الاشتغال به ما يوجد فيها من بعض الخلل أو الخلط أحيانًا، و ذلك من أجل تقييدها ثم بيد الطلاب والتلاميذ الذين كانوا وقت التقييد في مرحلة الجمع و التعلّم، ولم يبلغوا- في الغالب- مقام الأساتذة و العلماء المتقنين، إلا إذا قام بعمل التحقيق و الطبع، رجل له معرفة تامة بهذا العلم الشريف، وقدماً راسخة في علوم الشريعة السنة، أو قدّم بعض ذلك للطبع بعد المقابلة و العرض على صاحب الأمالي و إعادة نظره فيها.

---

[180]. الأسعدي: "دار العلوم مدرسة فكرية توجيهية" ص. 290.

وبالجملة إن جمع هذه الأمالي و المحاضرات ثم الاهتمام بطبعها عمل جليل، مفيد ممتع، مقبول مشكور- قلما يوجد له نظير في الحاضر وفي الغابر، وهذه الأمالي على الصحاح الستة- وهي بالعربية كما وبعضها بالأردية[181] - و أهمها:

أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و بعض أمالي الشيخ أنور شاه الكشميري لأن الذين قاموا بالجمع والترتيب ثم بالنظر فيها و نشرها كانوا من رجال هذا الفن و أئمته، وجميع أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي لم يطبع إلا بعد التحقيق و التعليق من الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي أوبعض أفاضل أصحابه وتلاميذه، ونورد هنا بعض هذه الأمالي:

(1) صحيح البخاري:

عليه "عدد من الأمالي للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" جمعها الشيخ ماجد علي المانوي والشيخ حسين علي الفنجابي و الشيخ محمد يحي الكاندهلوي، وأشهرها بهذه البلاد وأعظمها إفادة، أماليه التي جمعها الشيخ محمد يحي، ثم اهتم بطبعه- بعد النظر والتحقيق والتعليق - الشيخ محمد زكريا بعنوان: "لامع الدراري"، وهي في ثلاث مجلدات ضخمة بطبع الحجر- وعشر مجلدات بطبع الحروف الحديدية. وهذه الأمالي بالعربية وما سواها فبالأردية[182].

و"أمالي الشيخ أنور شاه الكشميري" جمعها تلميذه البارع المحدث النابغ الشيخ بدر عالم الميرتهي، وهي معروفة متداولة طار صيتها و عم نفعها في الآفاق، وهي في أربع

---

181. الفريواني: "جهود علماء الهند في خدمة القرآن الكريم"، ص. 40 – 41.
182. البرني: "خدمات علماء ديوبند في علم الحديث". ص. 309.

مجلدات ضخمة - بطبع الحروف الحديدية - بعنوان: "فيض الباري" وقد زينه الجامع بتعليقاته النافعة، وقد جمع أماليه على صحيح البخاري عدد من الأفاضل منهم الشيخ مناظر أحسن الكيلاني و الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي لكنها لم تطبع.

وبالأردية طبعت عدد من الأمالي منها:

وأمالي الشيخ شبير أحمد العثماني طبعت بعنوان "درس بخاري" و بعنوان: "فضل الباري" وأمالي الشيخ فخر الدين المرادآبادي طبعت بعنوان: "إيضاح البخاري"، وأمالي الشيخ حسين أحمد المدني وأمالي الشيخ محمد زكريا كل منهما طبعا بعنوان: "تقرير البخاري" وغيره ذلك أيضاً[183].

(2) <u>صحيح مسلم:</u>

عليه أيضاً- عدد من الأمالي، منها: "أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" طبعت بعنوان "الحل المفهم" في مجلدين بتحقيق الشيخ محمد عاقل السهارنفوري، ومنها: "أمالي الشيخ أنور شاه الكشميري" جمعها الشيخ الدكتور عبد العلي الحسني و الشيخ على أحمد الأعظمي لكنها لم تطبع.

(2) <u>الجامع للإمام الترمذي:</u>

عليه عدة أمالي لهم و طبعت بالعربية و الأردية. منها: "أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" طبعت بعنوان: "الكوكب الدري" في أربع مجلدات بتحقيق الشيخ محمد زكريا و تعليقه، و

---

[183]. ابو الحسن علي الحسني: " المسلمون في الهند" ص. 37.

أمالي الشيخ محمود الحسن الديوبندي طبعت بعنوان: "تقرير الترمذي" ولا تزال تطبع مع النسخ المتداولة بهذه البلاد، و أمالي الشيخ محمد أنور شاه الكشميري بعنوان "العرف الشذي" وبعنوان: "معارف السنن" وهي إلى كتاب الحج فقط، طبعت في ست مجلدات ضخمة بالحروف الحذيدية، وهي معروفة متداولة، جمعها ورتبها مع زيادات - من كلام الشيخ أنور شاه ثم من تعليقات من عنده - أحد تلاميذه النبغاء وهو الشيخ محمد يوسف النبوري.

أهم هذه الأمالي و أعظمها فائدة، و أكثرها تداولاً "الكوكب الدري" و "معارف السنن"[184].

وبالأردية طبعت أمالي الشيخ محمود الحسن الديوبندي بعنوان: "الورد الشذي" و أمالي لشيخ رشيد أحمد الكنكوهي بعنوان "النفع الشذي"، وأمالي الشيخ عبد الرحمن الكاملفوري، وقد طبعت أمالي الشيخ حسين أحمد المدني بعدة أسماء، أهمها و أكثرها تداولاً: "معارف منية" رتبها مع زيادات الشيخ طاهر حسن الأمروهوي. وأخيراً طبع أمالي الشيخ محمد تقي العثماني بعنوان: "درس ترمذي" وقد نال القبول العام بين الطلبة و العلماء مالم يفز به غيرها من الأمالي، وعليه أمالي للشيخ أشرف على التهانوي أيضاً طبع بعنوان "المسك الزكي"[185].

---

[184]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. 322.

[185]. حبيب الرحمان اعظمي: "ديوبند مين درس حديث" مكتبة دار العلوم ديوبند 2001، ص. 40 – 41.

(3) **السنن للامام أبو داود:**

لم تطبع من أماليهم عليه إلا ما جمعه ورتبه الشيخ أبو العتيق محمد صديق النجيب آبادي. طبع بعنوان: "أنوار المحمود" وهو بالعربية وفي مجلدين، ولم يكتف الجامع فيه بأمالي أحد منهم بل استفاد فيه بأمالي ثلاثة من أساتذته و مشايخه، الشيخ محمود الحسن الديوبندي و الشيخ أنور شاه الكشميري و الشيخ شبير أحمد العثماني. كما استفاد فيه بـ "بذل المجهود" شرح الشيخ خليل أحمد السهارنفوري. ولذا فلم يأت الكتاب على منوال غيره من الأمالي بل جاء على غرار الشروح المؤلفة لمثل "بذل المجهود" و نحوه.

و أخيرا طبعت أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي مع تحقيق الشيخ محمد عاقل و تعليقه بعنوان "الدر المنضود".

(4) **السنن للإمام النسائي:**

وعليه أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي طبعت بعنوان: "الفيض السمائي" بتحقيق الشيخ محمد عاقل و تعليقه.

(5) و توجد لهم الأمالي على غير هذه الكتب أيضاً، لا سيما أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي على سنن ابن ماجة، لكنها لم تطبع إلى الآن. وقد طبعت بعض الأمالي على سنن ابن ماجة وعلى شرح معاني الآثار وغيرهما بالأردية[186].

ج - التحقيق و التعليق:

وقد قام جماعة منهم بعمل التحقيق والتعليق على كثير من الكتب الحديث النبوية المطبوعة المتداولة منها أو المخطوطة

---

[186]. نفس المصدر: ص. 42.

المحفوظة في خزائن الكتب. وقد تم هذا العمل على نوعين: أحدهما: التحقيق يتبعه التعليق، و الثاني: التعليق يتبعه التحقيق.

ففي الأول الاهتمام بتحقيق النص أصلاً والتعليق يأتي جزئياً وموجزاً في أغلب المواضع، وفي الثاني يكون الأمر على العكس فالتحقيق يكون جزئياً، لبعض المواضع، و التعليق يطول لأنه يُقصد به توضيح الكتاب وشرحه مع الايجاز، وهذه التعليقات تعرف بالحواشي، وربما يبلغ طولها الشروح المتوسطة بل أطول من ذلك فيصير الكتاب مع تعليقاته شرحا كاملا نافعاً، بحيث إنه ربما يُغنى عن مراجعة غيرة من الكتب والشروح الطويلة المعروفة، ومثل هذه التعليقات تتجلى به معظم الكتب الدراسية المطبوعة في شبه القارة إلهنديه في العلوم المختلفة، و انما اعتنوا بذلك أشد اعتناء لأن الاستفادة من الشروح لا تتهيأ لكل أحد لأسباب مختلفة وأيضاً مراجعة الشروح تأخذ نصيبا و افرأ من الوقت، فهذه التعليقات - لاشتمالها على فوائد علمية متنوعة منتثرة في عدد من الشروح- تُغني المرء عن ذلك فيصرف ذلك الوقت إلى أمر أهمَ من ذلك.

أما عمل التحقيق فنصيبه الوافر صرفوه لإخراج كتب التراث التي كانت مخطوطة ولم تتداولها أيد طلبة العلم و الباحثين عامة.

فمن انجازهم من هذا النوع كان طبع كتاب "جمع الفوائد من جامع الأصول و مجمع الزوائد" لمحمد بن محمد بن سليمان المغربي، و ذلك بجهد الشيخ عاشق الهي الميرتهي أحد التلامذة البارعين للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. وطبع كتاب "تاريخ الأسماء والثقات لابن شاهين" بتحقيق القاضي محمد

أطهر المباركفوري، وكتاب "الزهد الكبير" للإمام البيهقي بتحقيق الدكتور تقي الدين الندوي.

وأجلى اسم في ذلك، ومن سبقت له السوابق، رجلان وكلاهما "أعظميان" أي من كورة واحدة من ولاية أوترابراديش بالهند، أولهما وهو أفضلهما و أكثرهما عملاً أيضاً الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي- فإن اسمه وعمله في ذلك مشتهر و منتشر، فيعرف كل باحث و طالب و مشتغل بعلوم الحديث و كتبها، فقد ظهر بتحقيقه وتعليقه: "المسند للأمام الحميدي" والسنن لسعيد بن منصور وكتاب "الزهد والرقاق" لابن المبارك و"المصنف" لعبد الرزاق و"المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" و"مختصر الترغيب و الترهيب" كلاهما للحافظ ابن حجر، و"كشف الأستار عن زوائد البزار" للحافظ الهيثمي، و في آخر أيام حياته كان منشغلاً في العمل على كتاب "مصنف ابن أبي شيبة[187].

97

و ثانيهما الدكتور مصطفى الأعظمي الأستاذ بحامعة الملك سعود بالرياض، طبع بتحقيقه و تعليقه "صحيح ابن خزيمة" و ظهر بالكمبيوتر "كتاب السنن لابن ماجة" وهو الآن مشتغل بمشروعه العلمي الكبير عن إدخال أهم المصادر الحديثة في الحاسوب.

وأما التعليقات بصورة الحواشي و الشروح فكثيرة، ومنها:

(1) <u>الحواشي على صحيح البخاري</u>: للشيخ أحمد علي السهارنفوري، و الشيخ محمد قاسم النانوتوي.

---

187. البرني: " علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث" 202 - 204.

(2) الحواشي على جامع الترمذي: للشيخ أحمد علي السهارنفوري والشيخ ماجد علي المانوي.

(3) الحواشي على سنن أبي داوود: للشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ محمد حيات السنبهلي، والشيخ ماجد علي المانوي والشيخ يوسف البنوري.

(4) الحواشي على سنن النسائي: للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي.

(5) الحواشي على سنن ابن ماجة: للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ محمد أنور شاه الكشميري.

(6) الحاشية على موطأ الإمام مالك: للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي.

(7) الحاشية على شرح معاني الآثار: للشيخ محمد أيوب السهارنفوري.

(8) الحاشية على مشكاة المصابيح: للشيخ أحمد على السهارنفوري[188].

النسخ المتداولة لكل من صحيح البخاري وجامع الترمذي ومشكاة المصابيح كلها محلاة بحواشي الشيخ أحمد علي السهارنفوري، أما غيره هذه الكتب فحواشيها مختلفة.

(9) ولهم تعليقات نافعة وحواش مفيدة على غير هذه الكتب مثل: تعليقات الشيخ أنور شاه الكشميري على كتاب "آثار السنن" للشيخ ظهير حسن شوق النيموي. وتعليقات

---

[188]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية" ص. 248.

الشيخ محمد زكريا، على كل من "اللامع الدراري"، و "الكوكب الدرّي"، و "بذل المجهود" المتقدم ذكرها. وتعليقات الشيخ تقي الدين الندوي على "أوجز المسالك" و "بذل المجهود" المتقدم ذكرها، وعلى "التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد" للشيخ عبد الحي اللكنوي[189].

(د) المؤلفات المستقلة:

إن العلم والعلماء دائما في حركة، وانتقال من حال إلى حال، وتقدم إلى أعلى فأعلى، وإلى جديد ومزيد، ولذا فإن علماء ديوبند- كذلك- اعتنوا بالكتابة والتأليف في السنة وعلومها حسب مقتضى الظروف والأحوال التي شاهدوها ووفق حاجات ودواع بانت لهم وشعروا بها، فألفوا في متون الحديث الجديد، وفي علومه المزيد، ونشير إلى بعضها في السطور الآتية:

(1) المؤلفات في متون الحديث:

لهم عدة مؤلفات في متون الحديث وهي على نوعين: بالعربية فحسب، وبالأردية مع المتون العربية شرحا وتوضيحاً.
من المؤلفات في متون الحديث باللغة العربية، "جامع الآثار" للشيخ أشرف علي التهانوي، و "إحياء السنن" لبعض أصحابه، و "إعلاء السنن" أيضاً بعض أصحاب الشيخ التهانوي،أبرزهم والذين ظهر بيدهم هذا العمل الجليل هو الشيخ ظفر أحمد التهانوي وقد تم تأليفه تحت إشراف الشيخ التهانوي وفي ضوء إفاداته كما وقع التصريح بذلك على وجه الكتاب، وفي داخل

---

[189]. نفس المصدر: ص. 250.

الكتاب أيضاً في عدة مواضع, والجدير بالذكر أن هذه الكتب الثلاثة موضوعها: تتبع الأحاديث والروايات التي استدل بها الحنفية في الأحكام وجمعُها، وغالبها لاتوجد في الصحاح الستة، أو أنها لا يعرفها صغار طلبة العلم.

وطبع كتاب "إعلاء السنن" في أحد وعشرين مجلداً ضخماً، أصل الكتاب في ثمانية عشر مجلداً، والثلاثة البقية وهي الأول والثاني والثالث، جاءت مقدمة للكتاب[190].

الأول: في بيان قواعد الحديث وأصوله، وفي الإهتمام لبيان وايضاح ما انفرد به الحنفية من الأصول والقواعد. (قد قام الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بنشره وتحقيقه وتعليقه).

والثاني: في جمع قواعد الفقه وأصوله سيما من باب القياس.

والثالث: في ذكر الإمام أبى حنيفة وأصحاب المحدثين.

وهكذا كل جزء فيه كتاب مستقل، ومؤلف خاص طبع أولاً بالحجر ثم بالحروف الحديدية قبل سنين.

وللشيخ التهانوي كتاب "التشرف بمعرفة أحاديث التصوف"، وللشيخ أنور شاه الكشميري "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، وللشيخ فخر الدين المراد آبادي "الأربعين"، وللشيخ محمد ميان الدهلوي "مشكاة الآثار" وللشيخ محمد زكريا الكاندهلوي "جزء حجة الوداع وعمرات النبي" وللشيخ محمد منظور النعماني "ألفية الحديث"، وللشيخ محمد عاشق إلهي البرني "زاد الطالبين"، وللشيخ المفتي مهدي حسن الشاهجهانبوري كتاب "السيف المجلىَ على المحلى" في الرد والتعقب على ما جاء من آراء ابن حزم.

---

[190]. ابو االحسن علي الحسني: "أضواء على الحركات والدعوات الدينية" ص. 34 - 35

تفرداته وشذوذه – في كتابه المحلى طبع في أربع مجلدات. وللشيخ محمد أيوب السهارنفوري "تعقيب الواقع في تهذيب التهذيب" في بيان الأخطاء الواقعة في كتاب تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر، وللشيخ الداعية محمد إلياس كتاب "انتخاب مشكاة المصابيح" ولنجله وخلفه الشيخ محمد يوسف كتاب "حياة الصحابة" في عدة مجلدات ضخمة، وهو معروف متداول في الأسواق العربية[191].

ب – المؤلفات بالأردية :

ومن أعمالهم الجليلة في هذا الشأن أنهم ألفوا كتباً بالأردية فقد ترجم عدد منهم عدة كتب معروفة إلى الأردية ولغاتهم المحلية. كما قام بعضهم بتأليف مختارات لأهم المصادر الحديثية مع الترجمة والتوضيح بالأردية.

منها : "ترجمان السنة" للشيخ بدر عالم الميرتهي في أربع مجلدات ضخمة، و"جواهر الحكم" له، و"معارف السنة" للشيخ إحتشام الحسن الكاندهلوي، و"تجريد البخاري" للشيخ محمد حيات السنبهلي، و"انتخاب الصحاح الستة" للقاضي زين العابدين الميرتهي، و"انتخاب الترغيب" للشيخ عبد الله طارق، و"معارف الحديث" للشيخ محمد منظور النعماني في نحو عشر مجلدات.

ومنها : "كتب الفضائل" للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي[192].

---

[191]. الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة"، ص. 327.
[192]. البرني: "خدمات علماء ديوبند في علم الحديث" ص. 266.

ج - المؤلفات في علوم الحديث:

ولعلماء ديوبند كتب قيمة ومؤلفات نافعة في علوم الحديث، وأصوله وقواعده وغيرها من العلوم أيضاً، وهي الأخرى على أنواع:

1- شروح وتحشية:

بعض ذلك على بعض الكتب الدراسية، مثل "نزهة النظر في شرح نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر، فقد شرحه غير واحد بالأردية، منها: "عقد الدرر" للمفتي عبد الله التونكي، و"تحفة الدرر" للشيخ سعيد أحمد البالنبوري، و "أنوار النظر عن شرح نخبة الفكر" للشيخ أنوار الحق كاكاخيل.

2 – أصول الحديث وقواعده:

ومعظم الكتب من هذا القبيل تأليف من جهودهم، جمعهم وترتيبهم. فمن تأليفهم في أصول الحديث وقواعده "قواعد في علوم الحديث" للشيخ ظفر أحمد التهانوي، و"علم الحديث" للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، و"جواهر الأصول في أصول الحديث" للشيخ عبد الرحمن المرداني، و"أصول الحديث على مذهب الحنفية "للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و"أحسن الخير في مبادئ علم الأثر" للشيخ محمد حسن البشاوري، بعضها بالأردية وأكثرها بالعربية. ومنها: "علوم الحديث" لمحمد عبد الله الأسعدي، و"مفتاح الحديث" لعبد الجليل القاسمي، و"بصائر السنة" في مجلدين للشيخ أمين الحق المرداني.

3 – حجية الحديث:

ومن تأليفهم في بيان حجية الحديث ومكانتها في التشريع الإسلامي، "الفوائد الملكوتية في أن الأحاديث حجة" للشيخ محمد موسى الروحاني الباري وهو بالعربية، و"حجية الحديث" لكل من الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي والشيخ محمد طيب القاسمي والشيخ محمد تقي العثماني، و"نصرة الحديث" للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، و"الانتصار لسنة سيد الأبرار" للشيخ محمد طاهر المرداني وهو أيضاً بالعربية، و "نتائج إنكار الحديث" للشيخ سرفراز خان صفدر، ومنها الرسالة القيمة للشيخ أبو الحسن الندوي بعنوان "المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف"، وله أيضا "دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي"[193].

4 – كتابة الحديث وتدوينه

ومن تأليفهم في كتابة الحديث وتدوينه "دراسات في الأحاديث النبوية" للدكتور مصطفى الأعظمي وهي رسالة الدكتوراه، و "كتابت حديث" للشيخ منت الله الرحماني، و "كتابت حديث" للمفتي محمد رفيع العثماني، و "تدوين حديث" للشيخ مناظر أحسن الكيلاني، الثلاثة الأخيرة بالأردية.

5 – علم الرجال :

[193]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية" ص. 400 – 403.

ومن تأليفهم في علم الرجال "فن أسماء الرجال" للشيخ أسير الأدروي، وعلم أسماء الرجال" للشيخ تقي الدين المظاهري وهو بالعربية والأردية أيضاً.[194]

6 – مقدمات على كتب الحديث:

ومن تأليفهم في علم الحديث ما كتبوه تقديماً لبعض الأمالي المطبوعة أو الشروح، سواء كانت الأمالي والشروح لأصحاب المقدمات أم لغيرهم، وقد جاءت بعضها مبسوطة ومفصلة بحيث إنّ طبعها استقلالا عن الكتاب يتم في مجلد متوسط أو ضخم مثل مقدمات إعلاء السنن الثلاثة.

ومنها: المقدمات على أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي التي تقدم ذكرها، فمقدمات "اللامع الدراري" و"الكوكب الدري" بقلم الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، ومقدمات ما سواهما بقلم الشيخ محمدعاقل السهارنفوري. وللشيخ محمد زكريا مقدمة مبسوطة لشرحه "أوجز المسالك".

ومنها: تقديم الشيخ أبى الحسن علي الندوي على "الكوكب الدري" للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و"بذل المجهود" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري و"أوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك" و"الأبواب والتراجم للبخاري" و"لامع الدراري"، وحجة النبيّ وعمراته" أربعتها للشيخ محمد زكريا، و "تهذيب

---

[194]. غوري، عبد الماجد: "المدخل إلى دراسة علم الحديث"، ط. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2010، ج2، ص. 406.

الأخلاق" للشيخ عبد الحي الحسني، و "روالع الاعلاق شرح تهذيب الأخلاق" لأبي سحبان الندوي.[195]

ومنها: "مقدمة الشيخ أحمد علي السهارنفوري" لتعليقاته وحواشيه على مشكاة المصابيح. و"مقدمة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي على شرحه للبخاري. ومقدمة الشيخ عبد الجبار الأعظمي على أماليه للبخاري وهو في مجلدين ضخمين. و "مقدمة تجريد البخاري" للشيخ محمد حيات السنبهلي.

ومنها: "مقدمة الشيخ شبير أحمد العثماني" لشرحه فتح الملهم. و"مقدمة الشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي" لحواشيه على كتاب السنن للإمام النسائي، و"مقدمة الشيخ عبد الرشيد النعماني" للحواشي على كتاب السنن لابن ماجة" وطبعت تلك المقدمة بالعربية بعنوان: "ما تمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجة" كما وطبعت بالأردية.

ووجدت مثل هذه المقدمات على الأمالي المطبوعة بالأردية أيضا، مختصرة ومبسوطة مثل "مقدمة أمالي الشيخ محمد تقي العثماني" وهذه المقدمة من تأليفه وإفاداته وبعض هذه المقدمات من تأليف جامع الأمالي[196].

(6) تراجم أئمة الحديث:

وأيضا من تأليفهم في علوم الحديث ماكتبوه في تراجم بعض أئمة الحديث، وفي ذكر بعض كتب الحديث وتعريفها، منها: كتب الشيخ تقي الدين المظاهري في تراجم بعض أصحاب

---

[195]. محمد عبد الله أبو صعيليك: "جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة"، ط. دار القلم، دمشق 1995، ص. 123.

[196]. نفس المصدر: ص. 404 – 405.

الصحاح الستة، وتعريف كتبهم، ومن كتبه في ذلك كتاب "محدثين عظام اور ان كے علمي كارنامے" ولهم عدا ذلك، أبحاث ومقالات ومحاضرات حول مواضيع مختلفة من علوم الحديث، وقد طبعت في مجلات ومجموعات، ومستقلات أيضا[197].

هذه هي الثروة العالية والغالية في الحديث والعلوم التي ظهرت وحصلت لأولي العلم من الطلاب والأساتذة والباحثين والمحققين من ثمرات جهود علماء ديوبند التي بذلوها في خدمة السنة المطهرة، في حفظها وصيانتها، والدفاع عنها، وإحيائها ونشرها وشرحها واستيضاحها للناس.

وقد نال القبول منها والإعجاب، والاستحسان من أولي الألباب، وطار صيتها وعم نفعها في البلاد، منها "فيض الباري" للشيخ أنور شاه الكشميري و"بذل المجهود" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري و"أوجز المسالك" للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و"فتح الملهم" للشيخ شبير أحمد العثماني، إعلاء السنن" للشيخ ظفر أحمد التهانوي، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح" للشيخ أنور شاه الكشميري، وقواعد في علوم الحديث "للشيخ ظفر أحمد التهانوي. وقد طبع هذان الأخيران بتعليقات نافعة من فضيلة الشيخ المحدث عبد الفتاح أبو غدة، فازداد نفعهما وإفادتهما، وصارا من المراجع المعتمدة في الموضوع.[198]

وقد اعتنى كثيرا بذكر ما لم يأت به أحد من شُراح البخاري بعد نقل غرر النقول من كلامهم، والإشارة إلى مواضع

---

[197]. البرني: "خدمات علماء ديوبند في علم الحديث"، ص. 230.

[198]. غوري، عبد الماجد: "علم مصطلح الحديث: نشأته وتطوره وتكامله"، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2007، ص. 215.

الضعف إن دعت إليه الحاجة كما التزم بذكر أبحاث البلاغة العربية وأصول الفقه.

وللشيخ أنور شاه "نيل الفرقدين في رفع اليدين" و "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام" و"فصل الخطاب في مسئلة أم الكتاب" و"كشف الستر من صلاة الوتر" و"العرف الشذي" على جامع الترمذي"، والاتحاف في التعليق على آثار السنن" للنيموي، كما وإن له زيادات قيمة على مصطلحات بعض الفنون[199].

وتلامذة الشيخ أنور شاه الكشميري فهم أعلام هذا العصر وأئمة الحديث وخدماتهم في نشر علوم الحديث معروفة لا تحتاج إلى أي ذكر أو تنويه. فهو الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي يقوم بتأليف "التعليق الصبيح عن مشكاة المصابيح" في ثماني مجلدات ضخمة. والشيخ المحدث يوسف البنوري، فكان يماثل شيوخه الأجلاء في التضلع من علوم الحديث ومقدرته الفائقة على العربية، وكتابه "معارف السنن" في ست مجلدات ضخمة كفاه فخرا وتخليدا لذكره بين الأنام إلى جانب ما قام به من مجهودات ونشاطات متنوعة. وللشيخ مناظر أحسن الكيلاني كتاب "تدوين الحديث" وكان قد ضبط أمالي شيخه على صحيح الإمام مسلم، والشيخ محمد منظور النعماني قام بتأليف "معارف الحديث" في ثماني مجلدات في أسلوب سهل ليستفيد بالكتاب العالم والعامي على حد سواء وله "ألفية الحديث" والشيخ محمد طيب المقرئ كان قد جمع أمالي شيخه الشيخ أنور شاه الكشميري، وله كتاب في حجية الحديث

---

[199]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. 92 - 93.

وكتاب مشكواة الآثار للشيخ محمد ميان وهو من كتب المقررات الدراسية[200].

أما الشيخ المحدث أحمد رضا البجنوري فيقوم بشرح صحيح الإمام البخاري باسم "أنوار الباري" وهو أشمل وأبدع ما ألف في شرح البخاري، يزخر بالأبحاث العلمية والمواضيع المتنوعة تدل على سعة اطلاع المؤلف وطول باعه في علم الحديث والخلافات الفقهية، أما مقدمة الكتاب فشبه موسوعة علمية وقد جمع في جزء منها تراجم المحدثين الأحناف وانتقاداته وملاحظاته فليس من اللازم الاتفاق معه في جميع آرائه.

ويتميز من غيره من الشرح بأن الكتاب الذي يخترق الأزمان فيعيش معنا في ذاك العصر، بما يضطرب فيه من قضايا فتجد من جماعة المستنيرة بورع العالم المؤمن، ما يضع أمام عقلنا و قلبنا وجهة نظر جامعة بين التعليل والتأصيل كالاقتصاد في الإسلام، والأوراق النقدية والضمان وتعدد القضاة ونقص الأحكام. ويضاف لذلك قوته في الرد على ما يلبسه المبطلون من مطاعن، فيكشف عن جرثومة انحرافهم وتهافت آرائهم، ويحرص كلما ظفر بفائدة مهمة في بطون الكتب التي فازت العزائم من مخالطتها، وضعفت الهمم منها يحرص على تخصيصها بالذكر والتنبيه.

وإذا كانت العناية في هذا الشرح النفيس بالمذهب الحنفي تبياناً وتأصيلاً واستنباطا، لأنه مذهب أهل الهند والباكستان والأتراك فانه لا أثر فيه لتعصب مقيت ولا تعسف في التأويل، ولا تكلف في المناصرة والتأييد[201].

---

[200]. حبيب الرحمن اعظمي: "ديوبند مين درس حديث"، مكتبة ياسر نديم ايند كمبني، ديوبند 9119، ص. 50.

[201]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية"، ص. 408 - 409.

طريقة محمد أنور شاه المبتكرة في تدريس الحديث وإصلاحاته الدراسية

كان للشاه محمد أنور مبتكرات بديعة وفريدة في الدرس ما تحير بها العقول وتأخذ بمجامع القلوب والألباب، بيد أنه كان محققا ومتقنا في العلوم والمعارف كافة، فكان الشيخ إذا أخذ في الإلقاء ويغوص في المبحث يواصل الكلام ويستدل استدلالاً تاماً حتى لا يترك سعة من إشكال، فلا يتلعثم فيه من غير أن يلحقه معاق أو حصار، ولم يكن يفتقر إلى استدراك عثرة في اللفظ أو تكرار في النطق، ولا يتخلله سكوت ولا حصر فكان يحدر المسائل الدقيقة ويسرد المباحث الأنيقة بشكل واضح، تراه بحراً يموج بعبابه حتى تعجز مهرة الكتاب عن ضبط كلامه واستيعابه، ينتقل حدسه من مسألة إلى مسألة ومن علم إلى علم، وينشأ بينهما تناسباً، ويفرغه في بديع أسلوبه يحسن سبك وانسجام[202].

نذكر هنا بعض مزايا وخصائصه الدراسية لتدريس الحديث كالآتي:

- فانه كان يذكر جميع المباحث المتعقلة بالحديث من استيضاحات مذاهب علماء الأمة وأدلتهم مع ترجيح بعضها على بعض بغاية إنصاف وعدل، وبيان فوائده ومزاياه، ثم إن كان له أدنى تعلق بمسائل العلوم الأخرى، يناقش عليها مناقشة تامة والشيء بالشيء يذكر.

---

[202]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر" ط. بيت الحكمت، ديوبند، (الطبعة الثالثة) 1994، ص. 100

- إنه كان يأخذ المسائل والمباحث من كلام أكابر علماء تلك الفنون، نحو سيبويه، عندما هو يصرح النحو في فقرة مسألة فهو يتكئ على أصول سيبويه وأقوال معاصريه، ولا ينحط من نحو ابن هشام والمحقق الرضي، ربما هو يذكر أشياء في البلاغة للشيخ تقي الدين السبكي والشيخ بهاء الدين السبكي من كتابه "عروس الأفراح" فتعجبها، وكان يقول "قد فاق التقى السبكي على ابن تيمية في علوم البلاغة والعربية، بل كان لا يقدر رأيه في هذه الفنون مع اعترافٍ بتبحره البارع، وكان يأخذ اللغة من كلام أئمة اللغويين، كالجوهري في "الصحاح" ولم يكن ينزل عن طبقة "القاموس" وهكذا في سائر العلوم مع تعقبات واستدراكات لطيفة برأي صائب يقبلها الذوق الصحيح و يذمن لها المنصف البصير[203].

- إنه كلما أحال على كتاب أو مصنف، وكان ذلك أول مرة، فكان يذكر جملا نفيسة بحال ذلك المصنف أو ذلك الكتاب، ويذكر خصائصه البديعة التي لا يجدها المتفقد في مطاوى كتب الطبقات، ليكون الطالب على خبرة وبصيرة فذة، وينبه الطلبة على ما كان فيه من المزايا ليكون له عونا عند الحاجة. حيث يصدر حكماً من الشارع في صورة تجتمع هناك أمور، فهو يصلح، فيرجع المجتهد أمراً من بين تلك الأمور للعملية ويجعله مناطاً مثل: حديث النهي عن الرباء في الأشياء الستة اجتمع هناك أمور أي القدر، والجنسية، والطعم، والثمنية، والاقتيات والادخار. فذهب أبو حنيفة إلى أن مناط الحكر هو الوصف الأول، والشافعي إلى

---

[203]. احمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري"، ط. مكتبة النعيمية، ديوبند، ص. 102

انه الثاني، ومالك إلى الثالث وعلى ما أدى إليه اجتهادهم. فالفرق بين تحقيق المناط وتخريجه فان في الأول اجتمعت أمور لا دخل لها مع المناط، فنفخ المجتهد المناط، وفي الثاني اجتمعت أمور كل منها صالح لأن يكون مناطاً. وتنقيح المناط وتخريجه وظيفة المجتهد يزاحم فيه بعضهم بعضاً.[204]

- إنه كان يعتني بأن يحل مشكلات العلوم والعقد التي اعتاص انحلالها على القوم، فيجر الكلام إليها بأدنى مناسبة. حيث قال الحنفية: "لايجوز الزيادة على كتاب الله بخبر الواحد"، وكان في التعبير نوع جفاء وإخلال، فقال الشيخ أنور شاه الكشميري وليعبر بأنه يجوز الزيادة بخبر الواحد على كتاب الله، ولكن لا في مرتبة الركنية والشرطية بل في مرتبة الوجوب، أي لا في مرتبة القطعية بل الظنية. فمراده أنه إذا ثبت أصل شيء بدليل قطعي فليثبت شروطه وأركانه أيضاً بقاطع، نعم إذا ثبت أصل شيء بالظني فاثبات أركانه وشروطه بالظني صحيح عندنا، كما قال الشيخ أنور شاه.[205]

- إنه كان يحاول أن ينشأ في الطلبة ملكة راسخة في العلوم وسواد كامل يتمكن به من حل المعضلات والمبهمات، وكان ينبههم على أنه كيف ينبغي الارتقاء إلى مدارج شامخة في المعارف والعلوم.

- إنه كان يهيج رغبتهم إلى خدمة الدين، وأن لا يجعلوا العلم وسيلة إلى معاشهم و لا إلى المباهاة والتماري، ويشجّع أن

---

[204]. أنور شاه كشميري: "فصل الخطاب في مسألة ام الكتاب" ط. المجلس العلمي دابهيل، 1990، ص. 49

[205]. أنور شاه كشميري: "كشف الستر في مسألة صلاة الوتر" ط. المجلس العلمي دابهيل، 1991، ص. 31

يبذلوا مجهودهم في نصرة الحق والذب عن حياضه بكل ما أمكن[206].

لا نستطيع أن نستقصي محاسن درسه الجزئية من حلاوة الكلمات، وعذوبة الجُمل، وجزالة التعبيرات، وتنقيح المشكلات، بأسلوب رائع متفوق مفهّم وملخص، وجذب الأفكار والتوجيهات إلى درسه بشراشرها، وغيرها من المزايا الرائعة ما يحصر اللسان ويقصر القلم عن الاستيضاح، بحيث يطرب الآذان وينشط الأذهان مما يتعلق بمشاهدة الأنظار، وتعني دونها مهارى الأبصار، بل رمزنا إلى ما كان يجري مجرى الأصول والمواضيع المهمة والقواعد الكلية المثبتة.

وهذا ما قمنا بالاعتناء من خصائصه في الدرس أصبح سبباً لحرمان أكثر بكثير من الطلبة والمستحضرين ومنشأ لاخفاقهم، فانه كان يضيق نظام فهمهم عن درك تلك المسائل ولا يتسع وعاؤهم لضبطها، ومع هذا فأعلن بكل واد وناد على رؤوس الأشهاد لكل من حاضر وباد من غير مخافة لوم العاذلين، ثم إن البصيرة النافذة والتجربة العلمية والحذاقة التامة التي تستفاد في عدة دروسه للبصير الحاد الذكي المتفقد لا يفوز بها أحد في درس آخر وإن صرف عمره وبذل مجهوده، فكانت دروسه نزهة للخواطر والنواظر تشتمل على عجائب الكلام وطرف الأبحاث ما تأخذ بالقلوب والفؤاد وتحير الألباب والنفوس.[207]

---

[206]. بدر عالم الميرتهي: "فيض الباري" (هو محاضرات أنور شاه في دروسه الحديث) ط. ص. 33

[207]. عبد الفتاح أبو غده: "تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية"، ط. مكتبة المطبوعات الإسلامية، كراتشي، 1997، ص. 298.

فهذه مآثرها المتفوقة التي انتهت إليها المشاهدة بالأنظار وأسندت للناس بصحاح الأخبار والآثار، ثم لم يكن علينا غمة من أن هذه الطريقة التي ابتكرها من نقل قول متكاثر في الدرس وجمع مواد وافرة الباب لم تكن رائجة في الهند قبلاً وكان قبل الشيخ أنور شاه، المدرسون يذكرون شيئاً ولا يذكرون مآخذه، بل كانوا يضنون به ويحسبونه متاعاً فاخراً، ذلك مبلغهم من العلم إلا من شاء الله قليلا ما، فجاء الشيخ أنور شاه الكشميري، ونبه على تحقيقات أكابر المحققين مما سبقت إليه أقلامهم، وبث فيهم جواهر علومهم التي سمحت بها أذهانهم وأفهامهم، فكشفت الحجب وانشق الظلام وأضاءت لهم سبل التحقيق وطرق البحث والتدقيق، مع تشذيب وتهذيب وتثقيف وتقويم، فهذا هو الذي طبق الخافقين ذكره، وأظهر فضله وقدره فشاعت اليوم بأكثر من المعاهد العلمية طريقته العذراء الفريدة في الدروس والتأليف[208]، فيحذون حذوه ويقتفون أثره. وقال قائل:

وما كل زهر ينبت الروض طيب

ولا كل للنـــــواظر إثمـــــد[209]

ومن الغرائب، إن الشيخ أنور شاه الكشميري لم تكن من عادته المطالعة بالليل لما يقوم بالتدريس في النهار كما هو دأب عامة الأساتذة والمدرسين، فلم يكن يطالع لشيء عما كان يلقيه في الدروس حتى وتبيع منه: "إني ما طالعت الكتاب الذي يقرأ

---

[208]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 103. والداعي: عدد خاص، ص. 62

[209]. نفس المصدر: ص. 103

علي في عمري قط" فذاكرته كانت أغنته عن ذلك، فكفاه ما طالع في بداية حياته، وأغناه الصباح عن المصباح، كلا إنه كان يلحقه الوني أو الملال من المطالعة، نعم وهو قد كان يزور في نفسه هنيئة لئلا ينتشر الكلام ولئلا يتسع مجال البحث كثيرا، وليكون ما يلقيه منضبطاً محدودًا حتى يستطيع المستمعون والمستفيدون أن ينهضوا بأعبائها، ولولا ذلك لأعجز الناس عن التلقي، فانه كيف يسد الذخار وكيف يواجه المعاقات على العيون الثرثارة. وان الشيخ أنور شاه لم يرد قط من ريعان حياته أو يؤلف رسالة أو كتابا بيد أنه لم يبرح عاكفاً في جمع الأوابد وقيد الشوارد في جدوله ومذكرته، وكان ينفذ وسعه في حل المشكلات التي لم يتم حلها من قبل أكابر الكتاب والمحققين، فكلما قابل شئ من مثل هذه المعضلات كان يستمري في لجمه خلاف طبعه وفكره، فكان يكتب ويقيد من سوانح الوقت وبوارحه، وإن كان في كتب كتّاب الآخرين شيئاً ينحل به عقدتها أحال عليه برمز الصفحة إن كان مطبوعًا، وهكذا كان دأبه من شرخ عهده بمطالعة كتب المحدثين والمحققين، فلم يغادر علما إلا وله في حل عقدة كتابات وبدائع تحقيقات، واجتمعت لديه نفائس من ذخائر ثمينة قيمة على تحقيق مشكل واحد ما يحير الأفكار والألباب. وقد أسلفنا ذكر عادته في مطالعة الكتب، فكلما تيسر له كتاب، من أي مصنف أو في أي موضوع، كان يطالعه من البداية إلى النهاية حيث يقول: "ربما طالعت مجلدات ضخيمة من كتاب، غير أنني لم أنجح بإخراج شئ جديد وعلم وحديث، فكنت أتأسف على ذلك، وربما ظفرت بشيء يسير أو فائدة جديدة فاغتنمت وحسبت أن سعيي أثمر"، حتى أحيانا يقول: "طالعت جميع مؤلفات الشيخ عبد

الحق المحدث الدهلوي المطبوعة وما تيسر لي من المخطوطة، ولم أحصل فيها بشيء من علم جديد.[210]

فهكذا كان دأبه في تدريس الحديث النبوي لا كعلماء العصر يطالعون مؤلفات علم أو علمين أو مما يفتقرون إليه في التدريس أو التأليف، نعم، وليس القوادم كالخوافي، فكلما اطلع على شئ نفيس وتحقيق عال ولكن حاول ضبطه في مذكرته كان يقيده بالكتابة وإنه قام بترتيب أصول قيمة:[211]

الأول: إنه كان يقيد ما ينحل به عقدة من مشكلات القرآن والحديث أو الفقه والأصول وعلم الحقائق الكلام والتوحيد وغيرها، أو يقيدها في الحل استشهادا وتنظيرا.

الثاني: إذا كان له تحقيق خاص في مسألة أوحل مشكل خلافاً على ما ذهب إليه الجمهور ثم سنح له في أثناء مطالعته شئ يقيده أو كان دليلا على ما يرومه، كان يقيده، كمسألة العماء، وما ماهية العماء؟ أو هل هو قديم أو حادث؟ وهل هو الوجود المنبسط أو غيره؟ وما ذا أريدَ به قوله الرسول عليه السلام: "وكان الله في عماء" من حديث رزين العقيل فيما رواه الترمذي في [جامعه] وكمسألة الروح والنفس وما يتعلق بهما من تحقيقات لم تسمعها الأذان، وكحقيقة التجلي ومسألة المعية الزمانية، وكيفية إفاضة الوجود من الله سبحانه وتعالى على المقدورات الأزلية، ومسألة صدور الحادث المادي من القديم المجرد، وحقيقة علم المثال، وحقيقة درجات الجنة، وطبقات

---

[210]. رضوان الله: "حيات أنور"، ط. جامعة عليكراه الاسلامية، 1989، ص. 52. كوندو: "الأنور" ص. 122.

[211]. انور شاه كشميري: "عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام". ط. المجلس العلمي دابهيل، 1988. ص. 203.

النار، وكيفية تكونهما، وتحقيق استحالة هذه الأعمال الدنيوية بأشباح جزائها ما بعد هذه الحياة (الآخرة) سواء بسواء وصيرورة هذه الأعراض بعينها جواهر في ما بعد هذه الدنيا، وعدم فناء الأعراض، وحقيقة التشكلات البرزخية وتصوراتها، وتحقيق عدم انقراض الذكر من العباد المؤمنين في القبر وفي الجنة إلى أبد الآباد وغيرها من باب الحقائق الغامضة والمعارف الإلهية، ومشكلات العلوم ومعضلات الفنون مما يشكل استقصاؤه، فهذا ما تنقح لنا ملخصا من ضبط أصوله وعاداته، وأشياء آخر هنا يمكن ذكرها فيها.[212]

ثم له في تقييده وجوه:

1- إن كان شيئاً بسمح به صدره يذكره بلفظ موجز وتعبير منقح من غير مزيد البسط والإطناب.

2- إنه إذا كان تحقيقاً لغيره ففيه وجوه: فإما كان ينقله بلفظ، أو كان يلخصه في عبارته، أو كان يحيل عليه بالمراجعة برمز الصفحة إن كان المنقول عنه مطبوعاً، وإلاّ يكتفي بمجرد الحوالة أو الإشارة. فهكذا قد اجتمعت عنده ذخائر من حل جميع المشكلات العلمية، وعلى ذلك جبلت فطرته السليمة من بدء نشأتها، لم يحاول تأليفاً للاشتياق أو لإفادة الناس أو لإذاعة صيته في العالم، بل كأنه لم يتفرغ له أو لم يرده إيثاراً للخمول. وربما يقول: كفى لهم من التحقيق والعلم أن خاضوا في بحار علوم السلف واستفرغوا جهودهم وأتعبوا نفوسهم، إلا انه قد

---

[212]. نفس المصدر: ص. 204. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 107. احمد رضا بجنوري: "ملفوضات محدث كشميري" ص. 129

ندرت البضاعة العلمية وخمدت اللوائح الطبيعية، فماذا يغنيهم ما نذكر لهم. فلو عزم على تأليف لغرض من تلك الأغراض لسالت بطحاء العالم بعلومه وتحقيقاته، ولاستنارت أنواره اللامعة في أرجاء البسيطة، ولملأت الدنيا معارفه شرقاً وغرباً، ولنالت فضلاء العصر ضالتهم عجماً وعرباً، فمدار الكناية على معلاها، وفخار الحلبة بمحرز مداها. بيد أنه قد بعثته على تأليف عدة رسائل الضرورة الدينية والخدمة الإسلامية لما تألم قلبه وتصدعت كبده. ورتب رسائل في بعض مهمات الحديث من المسائل الاختلافية بين أرباب المذاهب،[213] ملتقطاً لها من ذخائر مذكرته بإصرار من تلامذته وأصحابه ومستفيديه، ذباً عن حريم المذهب الحنفي، ودفعاً لطعن الحسّاد والجاهلين. وبالجملة، هذه الرسائل المذهبية كانت درراً مبعثرة في برنامجه ومذكرته، رتبها نوع ترتيب على شكل تأليف، ولذا نراها مشحونة بالإحالة على الكتب من غير سرد جميع عباراتها، ولو رتبت رسائله تلك على عادة مؤلفي العصر الراهن أو على عادة المولعين بالبسط والتفصيل لصار كل رسالة منها في مجلدات، على أن طبيعته أيضاً كانت مولعة بالإيجاز والاختصار، ولعل الشيخ أنور شاه الكشميري قد ظن أن الإيجاز كمال في التعبير، فبلغ إلى ذروة سنامه وأقصى غايته حتى صار فيه نسيج وحده

---

[213]. أنور شاه كشميري: "اكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين"، ط. المجلس العلمي دابهيل، 1413هـ ص. 9

ونظير نفسه، وربما تشمنز منه الطبائع التي لم تستأنس بالمشكلات والغوص في الغمار، ووقع في صنيعه هذا وعابوا عليه ديدنه هذا[214].

ومع الإيجاز والإكثار من الإحالة قد بث في كل مؤلف علوماً ومعارف وحكماً وحقائق ما يطرب المسامع والآذان، وينشط القلوب والأذهان على رؤوس المناثر ان كلّ موضوع ألف الشيخ أنور شاه فيه لو توخى أحد شيئاً زائداً في الباب من جميع كتب الناس ونقب ونقّح وتفحّص وتصفح لخاب وعجز إلاّ ما شاء الله، فان الشيخ أنور قد اوعب واستوعب وأتى بالعجب العجاب فأغرب وأطرب، وزاد على كل موضوع على من سلف، وأبدع من عنده بدائع وغرائب لمحت بها أفكاره اللطيفة حتى لم يترك لشفرة محزاً، ولا في الأمر مساغاً، والعيان أصدق شاهد، فنرى كل مسألة ألف فيها الشيخ أنور شاه كلأ الحابس فيه كالمرسل إذ أمعنت فيها بصرنا وبصيرتنا ونقينا عن كدر الحسد سريرتنا[215].

ثم إنه لما تخصّص له بالقريحة الوقادة والنظر الدقيق والفكرة اللطيفة ذكر شيئاً بشيء لأدنى تأييد أو استشهاد عميق، ولوّح إلى تزييف وعرض إلى اسقاط قول وأكثر من الإحالات على الكتب و استغزر من الدلائل والشواهد، فلذا قد يشكل الوصول إلى غور مرامه والبلوغ إلى كنهه، لأنه كلما وسع العلم وسال في المناكب والأطراف ودق الفهم وغار الفكر في الدقائق ولطفت الطبيعة وقوى الحدس واستشعر بالخبايا في المقام لا

---

[214]. أنور شاه كشميري: "تحية الاسلام" ، ط. المجلس العلمي دابهيل، 1413هـ ص.3.
[215]. البنوري : "نفحة العنبر" ص. 109.

محالة يتسع مجال الكلام ونطاق البحث بحيث تنوء بالعصبة أعبائه وتنشأ في المقام المناسبات اللطيفة والارتباطات البديعة حتى يتعسر تعيين المناط وعماد الكلام، نعم يحتوي مثل هذه التصانيف على فؤاد شريفة وأسرار عالية وحقائق مضنونة ومعارف سامية ككتب شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية، ومؤلفات أرشد تلامذته الحافظ ابن القيم الجوزية، وكلام الله تبارك وتقدس، وأصح الكتب بعده بمريء منا ومشهد، فالمتكلم يتكلم حسب ما يليق برتبته وجلالة قدره وسعة علمه وجودة ذهنه ودقة فهمه وغناء طبيعته ثم تخصص له كلاً منها بخصائص ومميزات، فالطبائع مختلفة والأذهان متفاوتة، ولكن قضى نحبه ولم يخلف على أثره نادرة من تصانيفه من شرح "صحيح البخاري" أو "جامع الترمذي"، أو أما من الأمهات الست، أو كتاباً كالتذكرة له على نحو "بدائع الفوائد" للحافظ ابن القيم، و "التذكرة" للقرطبي، و "الأمالي" للشيخ مرتضى الزبيدي، ولو كان لكفى وأغنى عن أتعاب النفوس، ولقرت به العيون فمات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تطلق عتاق خزائنه، وقد عزم على شرح مبسوط على "جامع الترمذي" في آخر عمره، غير أنه لم يمهله هجوم الأمراض وقلة الفرص حتى اخترمته المنون وحان أجله المحتوم ودفنت منيته في جدث الثرى معه، فحال الأجل دون الأمل،:[216]

---

[216]. نفس المصدر: ص. 110. انظر شاه مسعودي: "نقش دوام"، ص. 118. كوندو: "الأنور" ص. 303.

ولم يتفق حتى مضى لسبيله
وكم حشرات في بطون المقابر

ومع هذا، أن الرسائل التي ألفها في المواضيع المختلفة وطبعت ووصلت إلى أيدي عامة الناس، وما طبع من بعض "أماليه" وما كان يلقيه في الدرس غير علوم ظهر على وجه البسيطة تطمئن به النفس وتنشرح به انشراحاً بالغاً، ويلم به شعث القلوب تحتوي على لب المباحث ومغزاها راق مبناها ومعناها، فهي واسطة العقد بين تصانيف كاتبين آخرين، وسيعود بأوفر حظ من خاض فيها[217].

---

[217]. ازهر شاه قيصر: "سيرت أنور"، ص. 284. رضوان الله: "حيات أنور"، ص. 181. كوندو: "الأنور"، ص. 393.

ميـزات أنـور شـاه في محاضرات الحديث

أنور شاه ومنهجه

لم يكن دأبه في المطالعة كأكثر علماء هذا العصر من أن يطالعوا الكتب عند الافتقار إليها في الفتوى أو التأليف أو التدريس، فيراجعون فيما يحتاجون إليها من ذلك الموضوع خاصة، أو يتفقدون ما أرادوه من مظانه، بل كان دأبه في المطالعة أنه كلما تيسر له كتاب، مخطوطاً كان أو مطبوعاً، سقيماً كان أو سليماً، في موضوع علمي، أيَ موضوع كان، ومن أيَ مصنف كان، فيأخذه ويطالعه من أوله إلى الآخر بتمامه، من غير أن يبقى شيئاً أو يذر، نعم كان حل جهده ومسعاه في أن يطالع كتب المتقدمين ثم كتب أكابر المحققين من القرون الوسطى.

زياداته القيمة على مصطلحات الفنون

وأضاف الشاه الكشميري إلى مصطلحات بعض الفنون زيادات قيمة تخلو عنها كتب المتقدمين، فاقسام التواتر الأربعة التي بسطها الشيخ في "نيل الفرقدين" و "إكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين"، لا توجد في كتاب التعريفات للسيد شريف الجرجاني ولا في كليات أبي البقاء ولا في "كشاف اصطلاحات الفنون" للشيخ محمد علي التهانوي، ولا في دستور العلماء للقاضي عبد النبي أحمد نكري، بل إنها من زيادات أنور شاه القيمة.

كذلك شرحه لوجه إعجاز القرآن على أسلوب بديع مبتكر بأن القرآن معجز في مفرداته وكلماته ومقاصده وحقائقه الذي بسطه الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في أحد مؤلفاته "مشكلات القرآن" وهو على نكات ودقائق وبدائع تحقيقات وعلوم على النمط الرائع، كما أن الشيخ له آراء خاصة وتحقيقات نادرة أنيقة في كثيرة من المعضلات العلمية ومسائل علم الحقائق كمسألة "العماء" ومسألة "الروح والنفس" وحقيقة "التجلي" ومسألة "المعية الدهرية" وحقيقة "عالم المثال"[218].

وكتبه وأماليه تقدّم أمثال هذه الأبحاث النادرة، أخص منها بالذكر "فيض الباري" و "مشكلات القرآن" و "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام".

مزايا دروسه

قضى ثلث عمره في ديوبند وجرت من قلبه ينابيع الحكمة والمعرفة واستفاد منه كثير من علماء الإسلام وتضلع عنده عدد لا يحصى من العلماء البارعين، وكان وجود العلمي سبباً لإصلاح طرق التدريس، فانتهج العلماء مناهج التحقيق وطرق التفصي من المعضلات في المسائل.

كانت دروسه شبه محاضرات جامعة تستوعب جميع نواحي القضية وتنحل بها عقد سائر العلوم وكان يتدفق بحره

---

[218]. أنور شاه كشميري: "مشكلات القرآن"، ط. المجلس العلمي دابهيل، 1413هـ ص. 102.

المتلاطم من علومه، فيفيض من كل ناحية يسقي الأجادب ويروي عطشى العلوم[219].

كان يجود بثروته العلمية ونفائس الأبحاث على الطلاب بكل سماحة وإخلاص وحرصٍ متزايدٍ على الإفادة وكان يكثر الإحالة إلى كتب المتقدمين فكان يشعر من يتلمذ عليه بأنه في عصر ذهبي من عصور العلم وقد ارتبطت صلته بالأئمة الذين مضوا قبل خمسمائة سنة على الأقل، وفي شرح الحديث النبوي كان يثير أبحاثاً علمية نادرة يتسع نطاقها إلى البلاغة والنحو والصرف فإذا جاء على الاستشهاد بقول شاعر فربما يتمثل قصائد طويلة لكثرة محفوظاته.

وقد كان يحفظ من قصائد شعراء العرب ما يتجاوز خمسين ألف بيت وكان نفسه شاعراً مجيداً، له قصائد ومراثي كثيرة تفيض رقة وعذوبة، وكان يلقي ضوءاً حافلاً على حياة كل من يذكره في درسه من الأئمة ويذكر مكانته العلمية، وكان من دأبه في الدرس أنه كان يضع كتب المراجع والمصادر أمامه أثناء درسه، فإذا أحال شيئاً إلى كتاب فيأخذه ويريه الطلاب.

قد حضر درسه أحد من العلماء البارزين وهو الشيخ علي المصري الحنبلي وكان من حفاظ الصحيحين فناقشه أثناء درسه، فلما فرغ أنور شاه، صاح الشيخ المصري قائلاً: "لو حلفت إنه أعلم من أبي حنيفة لما حنثت" غير أن الشيخ لما سمع هذه الكلمة قال: إن مدارك اجتهاد الإمام الأعظم أبي حنيفة عالية لا أكاد وصولها[220].

---

[219]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري" ص. 14

[220]. أنور شاه كشميري: "كشف الستر"، ط. المجلس العلمي دابهيل 1413هـ ص. 52

هكذا كان دأبه في الدرس الذي انجب المحدث البارع الشيخ فخر الدين أحمد (1307-1392هـ/1889-1927م)، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني (1892 – 1956م)، والمحدث بدر عالم ميرتهي، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، (1319-1412هـ/1901-1995م)، والشيخ محمد يوسف البنوري (1326-1397هـ/1908-1977م)، والشيخ المقري محمد طيب رئيس جامعة ديوبند سابقاً (1315-1403هـ/1897-1983م)، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (1317-1394هـ/1898-1982م)، والشيخ المفتي محمد شفيع (1314-1396هـ/1896-1976م)، والشيخ محمد منظور النعماني (1323-1471هـ - 1905-1997م)، والشيخ سعيد أحمد الاكبرآبادي (1325-1405هـ/1907-1985م)، والمفتي عتيق الرحمن العثماني (1319-1404هـ - 1901-1948م) وآخرين[221].

آدابه العامة في تدريس الحديث

كان لأنور شاه خصائص في الدراسة، تستولى على القلوب روعتها، لم نرها في أحد من بعده.

منها: إنه كان يلخص الكلام في رجال الحديث إن كان لذكرها حاجة في الباب، أو فائدة يستحسن ذكرها وكان لا يطيل الكلام في الجرح والتعديل حيث كان يقول: ولو أكثر من نقل كلامهم في الرجال، وما فيه من كثرة القيل والقال، لأنه ليس عندي كبير ميزان في الإعتدال وبعضهم يسكت عند الوفاق، ويجرح عند

---

[221]. بدر الحسن : مقال، "عنوانه امام العصر أنورشاه" نشرت في مجلة الداعي، مجلة شهرية (عدد خاص) صدرت عن مدرسة دارالعلوم بديوبند في عام 1980م، ص. 62

الخلاف. وإذا دعيت نزال. وهذا صنيع لا يشفي ولا يكفي، وإنما هو سبيل الجدال.

نعم، اعتنيت بتعيينهم، ومعرفة عينهم، فيستطيع الناظر من المراجعة والمطالعة، ويتمكن من تخمير رأيه لا بالمسارعة.

ومنها: إنه كان عنى بمنشأ الخلاف بين الأمة، ولا سيما في المسائل التي تتكرر على رؤوس الأشهاد، فكان يذكر في هذا الصدد أموراً تطمئن بها القلوب.

ومنها: إنه كان يعتني بنقل غرر النقول من كلام القدماء، والنقول التي تكون بعيدة عن متناول أيدي أهل العلم.

ومنها: إنه كلما ذكر كتاباً أو مؤلفاً في صدد النقل، فكان يكشف عن منزلته في العلم. وخصائصه قلما يجدها الناظر في كتب الطبقات والتراجم بغاية من الإنصاف. من غير غض عن قدره، أو إطراء في شأنه، ليكون بصيرة للطلبة، ووسيلة إلى العلم الصحيح.

ومنها: إنه كان يهمه إكثار المادة في الباب، دون الإكثار في بينها وإيضاحها، كأنه يضن بعلمه المضنون. ثم إن هذا الإيجاز في اللفظ، والغزارة في المادة أصبح له دأباً في تدريسه وتأليفه، وكان كما قال علي رضي الله عنه: ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة.

ومنها: إنه كان لا يقتنع بذكر ما يختص بالموضوع، بل ربما كان يذكر أموراً لمناسبة دقيقة بينها وبين الموضوع، حرصاً على بيانها إفادة للطلبة.

ومنها: إنه كان ربما يذكر أشياء وينقدها نقداً علمياً، ويدل الطلبة على منهاج النقد العلمي ويضع لهم أساساً لذلك، ثم يستدرك ذلك

(تنبيهاً لهم) بمزية كلام أهل العلم، والاحتياط عن الخوض في شأنهم بما تأبى جلالة قدرهم[222].

وهذه أمهات خصائصه العامة في دراسة الحديث.

وله خصائص أخرى مهمة في أسلوب تدريس الحديث ودأبه في إدلاء كلامه بين الطلاب والحاضرين، نلقي الضوء عليها في السطور التالية بالتفصيل.

كان للشيخ أنور شاه مبتكرات طبعية في الدرس ما يحار له العقول وتأخذ بمجامع القلوب، ولا بدع فإنه كان محققاً ومتقناً في العلوم والمعارف كافة، فكان الشاه الكشميري إذا أخذ في الإلقاء يواصل الكلام، فلا يتعلثم فيه ولا يتلجلج من غير أن يلحقه فتور أو أحجام، ولم يكن يفتقر إلى استدراك عثرة في اللفظ أو تكرار في النطق، ولا يتخلله سكوت ولا حصر ولا بهر، فكان يحدر المسائل الدقيقة حدراً ويسرد المباحث الأنيقة سرداً، تراه بحراً يموج بعبابه حتى تعجز مهرة الكتاب عن ضبط كلامه واستيعابه، ينتقل حدسه من مسألة إلى مسألة ومن علم إلى علم، وينشأ بينهما تناسباً دقيق اللحام، ويفرغه في بديع أسلوبه بحسن سبك واتصال[223].

<u>الأولى</u> : إنه كان يذكر جميع المباحث المتعلقة بالحديث من بيان مذاهب علماء الأمة وأدلتهم مع ترجيح بعضها على بعض بغاية إنصاف وعدل، وبيان فوائده ومزاياه، ثم إن كان له أدنى تعلق بمسائل علوم آخر يذكرها، والشيء بالشيء يذكر.

---

[222]. بدر عالم ميرتهي: "فيض الباري" ص. 47، مأخوذ من كتاب الشيخ أنور شاه "نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين".

[223]. يوسف البنوري : "نفحة العنبر" ص.67،

الثانية : إنه كان يأخذ المسائل والمباحث من كلام أكابر علماء تلك الفنون فيذكر أقوال معاصريه، ولا ينحط من نحو ابن هشام والمحقق الرضى، ولا يذكر في البلاغة إلا قول الشيخ عبد القاهر الجرجاني والعلامة الزمخشري، ولم يكن ينحط إلى أقوال العلامة التفتازاني والخطيب البغدادي، بل كان لا يرضى بتعبيرات السكاكي في "المفتاح"، نعم ربما يذكر أشياء في البلاغة للشيخ تقي الدين السبكي وابنه الشيخ بهاء الدين السبكي من كتابه "عروس الأفراح" فتعجبها، وكان يقول : قد فاق التقى السبكي على ابن تيمية في علوم البلاغة والعربية، بل كان لا يقدر رأيه في هذه الفنون مع اعترافه بتبحره المدهش، وكان يأخذ اللغة من كلام الأئمة، كالجوهري في "الصحاح"، والأزهري في "التهذيب" والراغب في "المفردات"، والزمخشري في "الفائق"، ولم يكن ينزل عن طبقة "القاموس"، وهكذا في سائر العلوم مع تعقبات واستدراكات لطيفة برأي صائب يقبلها الذوق الصحيح ويذعن لها المنصف البصير[224].

الثالثة : إنه كلما أحال على كتاب أو مصنف ـ وكان ذلك أول مرة ـ فكان يذكر جملاً نفيسة بحال ذلك المصنف أو ذلك الكتاب، ويذكر خصائصه البديعة التي لا يجدها المتفقد في مطاوي كتب الطبقات، ليكون الطالب على خبرة وبصيرة نافذة، وينبه الطلبة على ما كان فيه من المزايا ليكون له عوناً عند الحاجة.

الرابعة : إنه كان يعتني بأن يحل مشكلات العلوم والعقد التي اعتاص انحلالها على القوم، فيجر الكلام إليها بأدنى مناسبة.

---

[224]. انور شاه كشميري: "فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب"، ط. المجلس العلمي دابهيل، 1993، ص. 88

الخامسة : إنه كان يحاول أن ينشأ في الطلبة ملكة راسخة في العلوم وسواد كامل يتمكن به من حل المعضلات، وكان ينبههم على أنه كيف ينبغي الارتقاء إلى مدارج شامخة في المعارف والعلوم.

السادسة : إنه كان يهيج رغبتهم إلى خدمة الدين، وأن لا يجعلوا العلم وسيلة إلى معاشهم ولا ذريعة إلى المباهاة والتماري، وأن يبذلوا مجهودهم في نصرة الحق والذب عن حياضه بكل ما أمكن، ويمكن في قلوبهم أن المطلوب من العبد العمل الصالح دون العلم فان العبد لم يخلق له، وكان عند الشيخ أنور شرف الإنسان بالعبودية دون العلم[225].

فهذه أمهات أغراضبه في درس الحديث ما تنقح عندنا، ولا نستطيع أن نستقصي محاسن درسه الجزئية من حلاوة الكلمات، وعذوبة الفقرات، وجزالة التعبيرات، وتنقيح المشكلات، بطريق أفضل، وجذب الأفكار والتوجيهات إلى درسه بشكل واضح، وغيرها من المزايا الرائعة ما يحصر اللسان ويقصر القلم عن البيان، بحيث يطرب الآذان وينشط الأذهان مما يتعلق بمشاهدة الأبصار، وتعي دونها مهاري الأنظار، بل رمزنا إلى ما كان يجري مجرى الأصول والأمهات الموضوعة والقواعد الكلية المتقررة.

وبالجملة فكان بحراً ينحدر أو وادياً يسيل أو برقاً يرعد، بذل قصارى جهده أن يقيّد شوارد المسائل، ويفتح المغلقات التي

---

[225]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري" ص. 48.

أقفلت أبوابها على الأماثل والجهابذة. فكانت درراً تناثرن من فيه وصدره بحر يقذف بمكامنه وخوافيه[226].

خصائصه في تدريس صحيح البخاري

ومع هذا فالكتب التي ألفها الشيخ أنور شاه وطبعت اليوم صارت للمستفيدين جوهراً ومقياساً. وهكذا إن درس "صحيح البخاري" بحيث يكون حاوياً لمزاياه الكامنة ومعارفه الرائقة لم يكمل في كثير من الأزمنة، حيث طارت مآثر الآثار أدراج الرياح، فكان درسه بحيث يكشف خباياه وتعم الميزات ديناً في رقاب علماء الأمة المحمدية، فقضى هذا المنهج الشيخ أنور وحاول أن يكمله طبقاً لمقدرته، ونقح مبناه، وحققه، فكم من المسائل الكلامية كانت فيه مخبوثه، وكم من مزايا الحديث كانت محجوبة، وكم من لطائف وأسرار رائعة وحكم ومعارف عالية كانت فيه مخبوءة، فالشيخ الكشميري حيث رنن آذان الأمة الحاضرة بحليها، وسمح بمضنوناته التي هي جواهر غالية كانت في صدره[227].

كان الشيخ أنور يدرس أولا في عهد إقامته بديوبند "جامع الترمذي" و"صحيح البخاري" فكان أفرز دراسة جامع الترمذي لتحقيق أحاديث الأحكام، وتبيين مذاهب الأئمة واستيعاب أدلتها، وترجيح ما هو الراجح منها، كما كان خلقه، ولما اقتصر تدريسه نهائياً على صحيح البخاري، فكان يعتني فيه بما كان

---

226. البنوري: "نفحة العنبر" ص. 102

227. أحمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري" ص. 345. انظر شاه مسعودي: "نقش دوام" ص. 112

يعتني به في جامع الترمذي، ما عدا المهمات التي كان يتصدى لبيانها في الصحيح، فانتهت خصائص تدريسه لصحيح البخاري إلى أمور:

1 - : إنه كان يستوعب أدلة المذاهب بما لها وما عليها في أحاديث الأحكام على حسب أسلوبه الذي ذكرناه في آداب دراسته العامة.

2 - : إنه كان ينتقي غرر النقول من شروح الصحيح، كأنها ورقة موضوعة بين عينيه، يذكر ما يشاء ويذر ما يشاء.

3 - : إنه كان يلخص كلام الشارحين، ويأمر بالمراجعة إن كان هناك بسط في الموضوع، ويزيد عليه ما كان عنده من الأبحاث الدقيقة، والمواضيع المهمة، مما جمع الله في صدره بالعلوم والمعارف[228].

4 - : إنه كان يتعرض لكثير من مشكلات العلوم. وكان يذكر في حلها نفائس ما يساوي رحلة حيث يكون الصحيح آخر كتاب، في آخر سنة من الفراغ، على نظام الدراسة في الهند غالباً، ولا سيما لمسائل الكلام، لأن الإمام البخاري أيضاً يتعرض لها كثيراً، ولا سيما في كتاب التوحيد الموضوع لذلك. فكان يتكلم فيها كمسلك المحققين من قدماء المتكلمين وكان يقول كلام البخاري في التوحيد على مسلك القدماء. وهؤلاء الشارحون لما استأنسوا بالتوحيد الذي دار بين المتأخرين، ربما تقصر مداركهم عن مدارك الإمام البخاري فيتأولون كلامه بما هو برئ عنه. ومن أجل ذلك كان يعتني بأمثال هذه المواضع اعتناء بليغاً.

---

[228]. بدر عالم ميرتهي: " فيض الباري"، ص. 37.

5 - : إنه كان يضع عن يمينه ويساره كثيراً من كتب الحديث، ولا سيما من متون الحديث فان كان فيها إشكال في موضوع يتعلق بالصحيح فكان يفتحها ويقرأها على الطلبة، ويحل الأشكال أو كانت هناك فائدة تلائم الموضوع فيذكرها بعبارتها. فكان درس الصحيح كان درساً لسائر الأمهات، بل ما عداها أيضا[229].

فهذه مميزات درسه لصحيح البخاري، لا نجد بعضها في درس غيره. ومن أجل ذلك، كل من كان ضليعاً في العلوم، واسع الاطلاع، حديد الذهن، قوي الحافظة ثاقب الفكر، كان من عنده بحظ وافر، وبصيرة نافذة. ومن ثم كان درسه منشأ لإخفاق القاصرين، ومن لم يكن في ذهنه متسعاً لأمثال الأبحاث الجليلة.

ميزاته في شرح أحاديث الأحكام

كنا قد ذكرنا حوالي عشر خصائص من آدابه في شرح أحاديث الأحكام، وإنما نريد لفت النظر إلى بعض منها باختصار مع إيضاح وزيادة:

منها: إن كان همه في الأحاديث التي اختلفت اتباع أهل المذاهب في معانيها، أن يقف على غرض الشارع، فإذا استبان عنه استمسك به، ولم يحفل بعموم اللفظ، ولا باختلاف اتباع المذاهب مثاله ما وجدنا في "فيض الباري".

ومنها: إنه إذا تعددت طرق الحديث فلم يكن يدير الكلام على طريقة واحدة، بل كان يجمعها إن أمكن الجمع، وإلا فيتوخى ما

---

229. أنور شاه كشميري: "تحية الإسلام" ص. 57. بدر عالم ميريوسف البنوري: "نفحة العنبر" ص. 78-80

هو أوفق بغرض الشارع أو أقرب إليه. مثاله ما في "فيض الباري" في المواقيت من الجزء الثاني من شرح قوله صلى الله عليه وسلم: "من أدرك ركعة من الصبح ألخ".

ومنها: إذا تجاذبت الأحاديث، وتضاربت نصوص الشارع، ولم يتعين غرض الشارع بيقين، وكان الكل سائغاً عنده، فيحمل اختلاف الأئمة في أمثال هذا على الأولوية، ولم يكن يزعمه مخالفاً للمذهب ولا خروجاً عنه، مثلاً بحث الترجيع في الآذان، واختلاف الجهر والأسرار بالتأمين، ورفع اليدين في غير التحريمة، وإن تعين غرض الشارع كان هو المحمل الصحيح عنده[230].

ومنها: إذا اختلفت الروايات من صاحب الشريعة، واختلفت الرواية من الامام أبي حنيفة فكان محمل كل رواية على كل حديث، وكان الكل جائزاً، وإن تفاضلت في الرتبة وكان بعضها أولى من بعض، مثلاً في مسألة المسح على الرأس.

ومنها: إنه إذا صح حديث، والرواية المشهورة عن أبي حنيفة كانت مخالفة له، غير أنه يوجد في الباب رواية عن الإمام، فكان المذهب عند ما دل عليه الحديث ووافقناه رواية من الإمام، كالسواك عند القيام إلى الصلاة، فكان يقول: يستحب لمن يثق بعدم خروج الدم من الأسنان فان ذلك ناقض الوضوء عند الحنفية[231].

ومنها: إنه إذا تعين غرض الشارع ولم يجد في الباب رواية عن الإمام توافقه، بل صادف رواية عن الصاحبين أو أحدهما، فكان

---

[230]. يوسف البنوري: "نحفة العنبر" ص. 89

[231]. أنور شاه كشميري: "كشف الستر"، ص. 182. أحمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري" ص 342.

هو المذهب الحنفي عند، مثاله: مسألة الخمر، فكان يقول: غرض الشارع هو النهي عنها، سواء كان من العنب أو غيره، وسواء كان قليلاً أو كثيراً وسواء أسكر قليله أو لم يسكر، وإليه ذهب الجمهور، وأبو يوسف، وهو من أصحابه فتعين المصير إليه. هذا ما تيسر لنا بالإجمال، والغرض منه لفت النظر، ونريد أن نذيل هذا الموضوع بكلمات من إمام هذه النهضة الدينية الشاه ولي الله الدهلوي، ليتضح أن مسلك إمام العصر هو المسلك الأعلى، وإليه ذهب المحققون من الفقهاء المحدثين من أهل المذهب الحنفي[232].

[232]. بدر عالم ميرتهي: "فيض الباري" ص. 49-50. كوندو: "الأنور"، ص. 403.

التعصب الحنفي في شرح أنور شاه للحديث ومحاولاته لتطبيق المذاهب

ظهرت خمسة مذاهب مهمة في القرون المتأخرة، هي: المذاهب الأربعة، ومعظم المسلمين معتنقون بأحد هذه المذاهب الأربعة والمذهب الخامس هو الظاهرية أو مذهب علماء الحديث وأصحابه.

وإن أهل السنة والجماعة هي فرقة واحدة تجاه فرق الإسلام، تشملهم وتجمعهم النسبة إلى السنة والجماعة والتمسك بهما، ثم هم طوائف في الفقه والعقائد على رأي عامة العلماء، فكما أنهم في الفقه ليسوا على مذهب واحد ومنهاج واحد، بل لهم مذاهب عديدة ومناهج مختلفة.

كذلك إنهم في العقائد طوائف: الأشعرية و الماتريدية، والطائفة التالية: السلفية أو الأثرية وأصحاب الحديث أو الحنابلة، وجماعة غير قليلة، إلا أنها قليلة بالنسبة إلى الأوليين، يُسَمُّون "السلفية" وهم الذين يُذكرون بالحنابلة وبأصحاب الحديث أيضاً.

الجدير بالذكر إن "علماء ديوبند" لا يخرجون في مذاهبهم الفقهية والكلامية عن طوائف أهل السنة المذكورة فلما لم يوجب ذلك قدحا فيمن مضى من علماء الأمة سلفًا وخلفًا وشرقًا وغربا، فكيف يعد قدحا في حق علمًا ديوبند؟!!.[233]

---

[233]. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسية فكرية الخ" ص. 365

يقول الشيخ أنور شاه الكشميري وهو يوضح قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أنا عليه وأصحابي". وبالجماعة الآن مصداق الحديث أتباع المذاهب الأربعة والظاهرية، وطريق معرفة ما أنا عليه و أصحابي توارث السلف وتعاملهم، وإذ اختلفوا في شئ فالحق إلى الطرفين.[234]

قد اتفق جمهور علماء أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين، كل ركن منها يجب على كل عاقل وبالغ معرفة حقيقته، ولكل ركن منها شعب، وفي شعبها مسائل، اتفق أهل السنة فيها على قول واحد.

ووافق أهل السنة والجماعة على أصول كل من السنن والآحاد والحسن والصحيح والقواعد بكاملها، وضللوا من خالفهم فيها، وفي كل ركن منها أصول، ومسائل فروع، ولهم إجماع على أصولها، وربما اختلفوا في بعض فروعها اختلافاً لا يوجب تضليلاً وتفسيقا.

يقول الشاه ولى الله الدهلوي في كتابه الحجة الفذة "حجة الله البالغة":

"وليست السنة اسما في الحقيقة لمذهب خاص من الكلام، ولكن المسائل التي اختلف فيها أهل القبلة وصاروا لأجلها فرقاً متفرقة وأحزاباً متحزبة بعد انقيادهم لضروريات الدين.[235] وهي تنقسم على قسمين:

---

234. أنور شاه كشميري: "العرف الشذي على جامع الترمذي"، ط. مكتبة المدينة ديوبند، 1994. ص. 25

235. ولي الله الدهلوي: "حجة الله البالغة" ط. مكتبة رشيدية دلهي، (سنة النشر غير مذكورة) ص. 9

(ألف) قسم نطقت به الآيات وصرّحت به السنة وجرى عليه السلف من الصحابة والتابعين، فلما ظهر إعجاب كل ذي رأي برأيه وتشعّبت بهم السبل، اختار قوم ظاهر الكتاب والسنة وعضّوا بنواجذهم على عقائد السلف ولم يبالوا بموافقتها للأصول العقلية ولا مخالفتها، فان تكلموا بمعقول فلا لزام الخصوم والرد عليهم، أو لزيادة الطمأنينة لا لاستفادة العقائد منها وهم أهل السنة.

وذهب قوم إلى التأويل والصرف من الظاهر حيث خالفت الأصول العقلية بزعمهم فتكلموا بالمعقول لتحقق الأمر وتبيّنه على ما هو عليه.

(ب) وقسم لم ينطق به الكتاب ولم تستفض به السنة ولم يتكلم فيه الصحابة فهو مطوي على غرّه، فجاء ناس من أهل العلم فتكلموا فيه واختلفوا وكان خوضهم فيه[236].

تمييز أهل السنة والجماعة من الفرق المنحرفة

إن أهل السنة والجماعة، بعد اتفاقهم على أصول وكليات تميُّزهم عن غيرهم من الفرق الخارجة عن جادة الحق، وتشهد لهم بأن جماعتهم هي الجماعة الناجية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "ما أنا عليه أصحابي" اختلفوا في التفسير والتفصيل، فصاروا لاختلاف مناهجهم في ثلاث طوائف، متحدة في الأصول والمباني، ومختلفة في بعض الفروع والنواحي، وهم السلفية والأشعرية والماتريدية.

---

[236]. أنور شاه كشميري: "مشكلات القرآن"، ط. المجلس العلمي دابهيل، 1394هـ، ص. 9 - 10

وأكثر بكثير من المسلين انتسبوا، ولا يزالون ينتسبون إلى الأشعرية أو الماتريدية، عوامهم وخواصهم مع وجود الطائفة الثالثة في قلتها، ووجود من يخالف الطائفتين المعروفتين حتى جاء عصر إحياء علوم الشيخين ابن تيميه وابن القيم وآرائهما فاتسع نطاق المنتسبين إلى الطائفة الثالثة، وانتشر هذا المذهب أيضًا، فصار أتباعه في كثرة بالنسبة إلى ما سبق، لكن النسبة إلى الطائفتين المعروفتين لم تزل باقية، وذكرهما لا يزال جاريا وساريا عند المحققين من علماء الأمة من مختلف البلاد ومختلف المذاهب الفقهية[237].

والأشعرية والماتريدية لم تكن أبداً من الفرق الضالة الزائغة، وأقوى الدليل على ذلك أن كلاً من الإمامين أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي صرّحا بأنهما متبّعان للسلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم في الأصول والمناهج، وقد تحقق المحققون والمتخصصون، وتبيَن لهم ذلك بعد المقارنة بين المناهج والأصول.

الأشعري الحنبلي، والماتريدي الحنفي

قد اشتهر نسبة أبي الحسن الأشعري إلى السلف وإلى الإمام أحمد ومذهبه في كتابه "الإبانة"، كما اشتهر وعرف ذلك من أمر الماتريدي بنسبته إلى الإمام أبي حنيفة ومذهبه، فانه احتضن أصوله ومسائله في باب التوحيد والعقائد أيضاً، كما كان على ذلك من مسائل الفقه وأصوله، ومذهب الإمام أبو حنيفة

---

[237]. أنور شاه كشميري: "عقيدة الاسلام". ص. 197 - 198

وأصحابه في التوحيد والعقيدة معروف في كتبه، وسيما اشتهر وانتشر ذلك بكتاب الإمام الطحاوي الذي لم يزل متداولاً بين أهل السنة والجماعة منذ تأليفه هو كتابه "العقيدة الطحاوية" وقد كثر الاعتناء به والاشتغال في الأيام الأخيرة. وانما حصل لهما الامتياز والاختصاص بين المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة، ففارقوا السلفية في بعض الفرعيات والتفاصيل لخصوص ظروف ألجأتهم، وأمور اضطرتهم إلى ذلك، كما وُجد من بعض المنتسبين إلى السلفية والحنابلة بعض ما خالفه فيه بعضُ آخر من السلفية[238].

نشوء الفرق وموقف أهل السنة والجماعة

الفترة التي عاش فيها أبو الحسن الأشعري (260-324هـ/873-935م) وأبو منصور الماتريدي (238-332هـ/853-944م) تمثل نتاج متحرك قديم بين فِرَق زلت قدمها بالنسبة لكيفية تناولها للعقائد، إما لتأثرها ببعض آراء دخلية من تراث شرقي أو غربي قديم، أو لرغبة في اخضاع كل ما ورد في الشريعة للعقل البشري، وقد تصدّت لهم جماعة من أهل السنة الذين أرادوا مقابلة هذا الانحراف بالثبات على موقف السلف، الذين لم يتكلموا في المسائل التي طرحها المبتدعة وحذروا من الخوض فيها.[239]

ومن يدرُسُ أسس موقف كلّ من الإمام أحمد (163-240هـ/ 780-855م) والإمام البخاري (194-256هـ/810-

---

[238]. الأسعدي: " دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية" ص. 371

[239]. مصطفى جواد: "أصول التاريخ والأدب"، ط. المجمع العلمي العراقي ص. 245.

870م) وابن قتيبة (212-275هـ/ 828-889م) والدارمي (181-255هـ/797-869م) وغيرهم من السلف الصالح تبيّن أنهم كانوا يتّبعون أسساً واحدة في تفسير النصوص المنزّلة، وهي أسس التفسير الصحيح،[240] كما أنهم تبيّنوا حقيقة لها أهميتها وهي أن الأمور الغيبية الواردة في النصوص المنزّلة تفوق مقدرة العقل البشري في استيعابها، وبالتالي هناك موضوعات تدني مستوى العقل البشري، وموضوعات تفوق مستوى العقل البشري، وهذه الأخيرة هي الغيبيات. وهذا التمييز الواضح بين موضوعات المعرفة هو الذي دعاهم إلى التوقف عن الأمور الغيبية بالعقل، وإلى التصريح بضرورة قبولها على ما هي عليه دون أعمال الفكر فيها، في الوقت الذي لم يتبيّن أهل البدع ذلك فخاضوا فيما يتعّذر الخوض فيه بالعقل، وانتهوا الى الخروج عن أصول العقيدة[241].

ولا يعني ذلك أن العلماء من أهل السنة في ذلك الحين كانوا آخذين بمبدأ الجمود اللفظي تجاه موضوعات المعرفة، بل كانوا يتعرفون على طبيعة الحال الموضوعات، ويتقبلون المغيبات على ما هي عليه، عاملين الفكر فقط في إثبات وجودها إن احتاجوا أما ما لا يتعلق بالمغيبات فهم كانوا يُعمِلون الفكر فيه على أوسع مدى كالفقهيات.

فالذين لم يتنبَهوا إلى هذه القاعدة وبالتالي لم يعملوا بها من الفرق المناونة لأهل السنة انتهوا إلى أقوال في العقائد خاصة في ذات الله تعالى وصفاته، بعُدت بهم عن الصواب. وهؤلاء قد

---

[240]. د/مصطفى الشعكة: "الأئمة الأربعة"، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت 1991، ج4 ص. 7.

[241]. عبد الرحمن البرني: " علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث" ص. 179

دعَموا موقفهم العقلي أصلاً بكثير من الأساليب المستقاة من الثقافات الدخيلة مثل فكرة القسمة إلى جوهر وعرض مثلاً، وغيرها من التقسيمات المذهبية[242].

وفي مقابل هؤلاء، كان هناك المجسمة والمشبهة الذين وقعوا في شبهة التجسيم، ومن هؤلاء الحشوية والكرامية، وقد انتشروا انتشار الفرق الأخرى، وقامت بينهم وبين المعتزلة مناقشات ومجادلات كثيرة، فبدلاً من أن يسترشدوا بدلالة النص المنزّل لجأوا الى العقل دون النقل، واعتمدوا على الحسّ خاصة. وتنالوا العقائد على أسلوب الأمور العادية الجسمانية مشبّهين الخالق بمخلوقاته. ولقد قاوم السلف هذا الاتجاه أيضاً ودحضوا آراء أصحابه بحيث يمكّننا ان نقول: إن الإمام الأشعري قد وجد نفسه بعد تحوّله من الاعتزال ورجوعه الى الحق بين نوعين من المغالاة في مجال العقائد، مغالاة المعتزلة ومغالاة الحشوية والكرامية، ومن سار على منوالهم ممن لم يقدروا حدود استعمال العقل في الأمور العقائدية.[243]

فالمعلوم، أن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلان أحدهما حنفي والآخر شافعي. أما الحنفي فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي (333هـ/944م). وأما الآخر فهو شيخ السنة.... أبو الحسن الأشعري (260-324هـ/873-935م).

فاتضح أن أبا حنيفة هو من الماتريدية كما يظهر من هذا البيان: "إنّ أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية، وإمامهم

---

[242]. انور شاه كشميري: "اكفار الملحدين" ص. 17

[243]. عبد الحميد عرفان: "دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية"، مطبعة الإرشاد، بيروت 1967، ص. 255.

أحمد ابن حنبل. والأشعرية، وإمامهم أبو الحسن الأشعري. والماترية، وإمامهم أبو منصور الماتريدي[244].

في الحقيقة، إنّ الغرض الأساسي لتأسيس مدرسة دار العلوم الديوبندية وأبناءها ودارسيها هو تأييد الحنفية، وإن هذه المادّة المهمّة (أي تأييد الحنفية) قد بقيت غير منصوصة وغير مؤكدة من دروس الشاه ولي الله الدهلوي بالقدر المطلوب، فان الشاه ولي الله الدهلوي مع اتفاقه بالمدرسة الحنفية لم تنتفع الحنفية من غزارة علمه حسبما كان يتوقع منه لأنه كان يدعي الاجتهاد ولكن سدّدت دار العلوم هذه الثغرة بأحسن طريق، فقام علماءها وطالبيها بدور منقطع النظر لتأييد الحنفية بدروسهم ومؤلفاتهم، ولا ريب أن الشاه محمد أنور الكشميري قد صرف عبقريته الخاصة لهذا الغرض النبيل، وإنه يقول بنفسه : إني أحكمت الحنفية إحكاماً لن يتضعضع بنيانه إلى مائة سنة، والله سبحانه وتعالى خلقني في هذا العصر لإحكام الحنفية وإرساء قواعدها[245].

والواقع إن هذه التصريحات أن تتطرق إليها أي شبهة واحتمال لأنه قد صرف قسطا كبيرا من حياته في البحث عن أسس الحنفية المتينة، وإنه أيضاً لم يكن مقلداً للمذهب الحنفي فحسب كما يظهر من مؤلفاته، بل كان محققاً، وكان مطلعا على جميع المعالم التي تهدف إلى تزييف فقه الإمام أبي حنيفة واضعافه وقد قال في خطاب ألقاه في مدينة دابهيل:

---

244. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية" ص. 372.

245. البنوري: "نفحة العنبر" ص. 91 - 92

"إني قضيت ثلاثين عاما من حياتي لأرى، هل الفقه الحنفي يطابق الحديث أم لا؟ فإني مطمئن بعد هذا التعب على أن أحاديث الإمام أبي حنيفة تساوي درجة أحاديث الفقهاء الآخرين، وإذا اعتمد الإمام أبو حنيفة في مسألة على القياس فان الخصم أيضاً ليس عنده أي دليل في المسألة"[246].

والمقصود، أن أنور شاه الكشميري كان يعتقد اعتقادا جازما برجاجة الفقه الحنفي وكونه حقاً بعد المجهودات العلمية، وقد أيد مسلك دار العلوم ديوبند تأييداً عظيماً، التي من أساسها الأصلي تأييد الحنفية وإحكامها.

وإن المنهج السائد في دار العلوم ديوبند والمدارس الأخرى في تنقيح أقوال الحنفية، وتخريجها وإثباتها وتوضيحها، وقد كانوا قبل ذلك يكتفون بترجمة الأحاديث وذكر كل المذاهب الفقهية على حدة، ولم تكن طريقة إثبات الحنفية وترجيحها رانجة من قبل، وجرى بعده على هذه الطريقة أكثر بكثير من علماء وخرّيج هذه المدرسة.

ونظراً إلى هذا الهدف الأصلي السامي شعر علماء ديوبند عن ساق الجدّ لخدمة الفقه الحنفي واخضاع السنة له بطريقة التدريس والتأليف وفتح المدارس في أقطار شبه القارة الهندية مع ادعائهم أنهم ورثة الشاه ولي الله الدهلوي وناشرو أفكاره وعلومه، وشتان بينهما فان ولي الله كان يدعوا إلى الانطلاق الفكري والحرية في الفهم والاجتناب عن الجمود

---

[246]. أنور شاه كشميري: "مقدمة فصل الخطاب" ص. 7

والتعصب، وكان يسعى لتقريب المذاهب الفقهية من منهج المحدثين ويدعو الناس إلى اختيار طريق الفقهاء المحدثين في العقيدة والعمل، وما أنشئت دار العلوم وأخواتها الا لتأييد مدرسة خاصة وتمثيلها.[247]

والحقيقة، أن حسب تصريحاتهم تدور خدماتهم للأحاديث النبوية حول تأييد المذهب الحنفي ودعمه بدلائل السنة وعرض السنة على الآراء والأقوال والاستنباطات لا العكس، تشهد لهذا الصنيع مؤلفاتهم في شروح كتب الحديث والحواشي عليها كحواشي الشيخ أحمد علي السهارنفوري على صحيح البخاري والجامع للترمذي والمشكاة، وحواشي الشيخ عبد الغني المجددي والشيخ أحمد التهانوي على ابن ماجه والنسائي وأمالي الشيخ أنور شاه الكشميري التي قيدها تلاميذه ونشروا في العربية والأردية كما قد ذكرنا في الفصول السابقة[248].

موقف علماء ديوبند على تقليد الأئمة الأربعة والتقليد بأحد المذاهب الفقهية:

إن علماء ديوبند يرون من الواجب التقيّد المعين والتَّمذْهُبُ بمذهب إمام مجتهد في المسائل الإجتهادية، وذلك للاحتراز عن حرية النفس في باب الدين، وعن اللادينية، وللاحترّاز عن العمل برأي النفس، ولصون الدين وحفظه عن التشتّت والفوضى؛ ولذا فانهم والجماعة قاموا بالتربية على

---

[247]. أحمد جدع: "معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين"، ط. دار الضياء، القاهرة 1999، ص. 348.

[248]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري" ص. 21. عبد الرحمن الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة" ص. 261

الحنفية في الفقهيات، ولكن تقليدهم لا يخلوا عن روح الاعتدال والجامعية، من غير إفراط ولا تفريط. فليس عندهم حرية لا يقولون لأجلها بأصول التفقه التي وضعها السلف ولا بالمسائل التي استنبطت منها وبها، ويقومون مدّعين للاجتهاد والمطلق، اعتمادا على قطع آرائهم. وعلى عكس هذا لا يقولون بجمود في الفقهيات، بحيث يرون من الآثام والذنوب الاستدلال بالكتاب والسنة ومراجعتها لتحقيق المسائل الفقهية، وللوقوف على مآخذها، ولا يظنون من العمل بالرأي ومن حرية النفس ربط الاستنباطات الفقهية بالكتاب والسنة، وتوسيع الحجج لها بسعة علمهم.

وكان يفتي الشيخ الكنكوهي بأن المقلّد وغيره كلهم متحدون في العقائد، فكلهم من أهل السنة والجماعة وإنما خلافهم في الأعمال فقط كما يقول أنور شاه المحدث الكشميري أن الظاهريّ من أهل السنة والجماعة.

ويقوم الشيخ أشرف علي التهانوي بإعراب عن اعتقاده أن لا يكون في عدم التقليد مفرطاً، وفي المنع عنه مفرطاً بأن يقول: إنه شرك وحرام ومطلقاً، وقال الشيخ أنور شاه الكشميري في مثل هؤلاء أنهم من أهل الأهواء، كما صار وضع هؤلاء الرافضين لتقليد الأئمة في أغلبهم منذ قرن وأكثر، ونشاهده سيما في بلادنا وذلك أن تبنّى الذاهبون إلى هذه النزعة، هذا الأمر كأنّ هذا هو الحق الوحيد، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، فقالوا وتحمسوا بكل كثير وقليل عندهم، كدعوة إلى الإسلام وحركة لدمع الباطل، وليراجع لذلك كلام هذه الطائفة في التقليد لا في ذمة والمنع عنه فحسب بل في سبّ الأئمة، حتى بلغ بهم الأمر

إلى أن جعلوا يسبّون الصحابة الذين يستندون إليهم ويرون عنهم الأئمة وأتباعهم الذين تبغضهم هذه الطائفة أشد البغض[249].

وإذا كان كذلك فأمّا أن يعتبر شرعاً قياس كل واحد، ولو بدا له ما بدا، أو العبرة لقياس البعض، لا لبعض آخر ولا لكل، لقوله تعالى [ولو رُدّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه عنهم] فلمّا ثبت أن المعتبر من القياس هو قياس البعض، فذلك البعض هو الذي يسمى "المجتهد والمستنبط" و "المقلد" هو من لا يعتبر قياسه، فهكذا لزم على المقلد أن يقلد ويتبع المجتهد لقوله تعالى [واتّبع سبيل من أناب إليّ].

قد علم مع القطع واليقين بأحوال الأئمة الأربعة التاريخية أنهم داخلون (باذن الله) تحت عموم [من أناب إليّ] فلذا وجب اتباعهم[250].

ثم تحقيق هذه الإنابة إما أنه يتحصل تفصيلاً وإمّا إجمالاً. فالتفصيل أن يُنظر في كل جزئي وفرع مختلف فيه أن الحق في أي جانب؟ والإجمال أان تنظر جميع أحوال كلّ إمام وصفاته ليتعلم من منهم على الحق في الأغلب؟ ففي الصورة الأولى مع ما فيه من الحرج وتكليف ما لا يطاق، لا يبقى المقلد مقلداً بل هو المتبع لتحقيق نفسه لا لسبيل غيره، وهو خلاف المفروض. فتعينت الصورة الثانية أي التحقيق إجمالاً. فمنهم من غلب ظنّه وترجّح إعتقاده في حق الإمام أبي حنيفة، نظراً إلى مجموع أحواله، أنه هو المنيب والمصيب. ومنهم من حصل له ذلك في

---

[249]. نفس المصدر: ص. 263

[250]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية" ص. 375

حق الإمام الشافعي أو الإمام مالك أو أحمد، ولذا، فكلّ اتبع واحداً منهم.

والشواهد على هذا المذكور من مسلكهم الفقهي بالتفصيل المسطور أكثر من أن تحصى، فان مؤلفاتهم وفتاواهم مملوءة بها وبالأمثلة لهذا أي التقليد مع التحقيق من غير عناد وتعصب، والترجيح بناء على الدلائل ولو كانت في جانب الخصم والمخالف، أو الإجازة والإفتاء بالعمل لمذهب غير الحنفية من الأئمة الأربعة عند الضرورة وخصوص الظروف والأحوال، ويتبيّن لنا ذلك مما وضع الشيخ أشرف علي التهانوي من الدستور الذي بنى على هو وأصحابه تأليف أعظم كتاب، وأوسعه وأحسنه، في بيان مأخذ الحنفية من الأحاديث النبوية[251].

وإن الشيخ ولي الله الدهلوي ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كشفاً، وهو إنه اعتمد فيه واختير ما وافق الحديث من أقوال الأئمة الثلاثة (من الحنفية) الإمام أبو حنيفة وصاحبيه. بل رُجّح قول الإمام الشافعي على قول الحنفية في بعض المسائل، وكتب في تلك المواضع إنه لم يوجد حديث في تأييد الحنفية في كتاب من كتب الحديث الموجودة، ومن الممكن وجود حديث في ذلك عند أئمتنا لم نقدر عليه، ففي هذه الحال قول الإمام الشافعي هو القوي[252].

ومن تدبّر كلامنا المارّ آنفاً، ومطالعة كتاب "إعلاء السنن" عُلم أنّا لسنا من المقلّدين الذين ذمّهم ابن القيم، بل نحن إنما نقلّد إمامنا أبا حنيفة وأصحابه لعِلمِنا بأنهم اتبع الناس

---

251. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث" ص. 122.
252. البنوري: "نفحة العنبر" ص. 103

القرآن والسنة، وأن لهم في الحديث أصولاً كما أن للمحدثين أصولاً، فلا لوم علينا إن خالفناهم (أي المحدثين) في قبول بعض الأحاديث والعمل به، وترك العمل لغيره، لأن مبنى أصول الطرفين على الاجتهاد، ولا مشاحة في الاجتهادات.

وعلماؤنا قد يتركون أقوال إمامهم إلى أقوال أصحابه إذا خالفت النصوص، ومثل ذلك في المذاهب، يعرفه كل من له نظر فيها، وربّما أفتوا بقول الأئمة الذين فيهم نظير إمامنا أو نظراء أصحابه، إذا رأوا قوة الدليل عندهم ونحوها.

ومن أراد التفصيل والتحقيق فليراجع فتاواهم وشروحهم للحديث، وما كتبوا وألفوا في الفقه، وخير مثال لافتائهم بالعمل بمذهب غير الحنفية كتاب "الحيلة الناجزة في الحيلة العاجزة" فقد ألفوه في مسألة "زوجة المفقود" واختاروا القول على مذهب الإمام مالك، لأن لها سعة في مذهبه، خلافاً للحنفية وغيرهم[253].

واختيار قول غير الحنفية من المذاهب الأربعة، وترجيحه والإفتاء به، والإذن بالعمل بقول أحد من الأئمة غير الإمام أبي حنيفة في مثل هذه الأحوال عندهم خلافاً للمذهب ولا الخروج عنه، وإنما هو من العمل بالمذهب في الجملة، فمع ذلك أيضاً ينسب المرء إلى مذهبه الذي يتقيّد به ويقلّده.

وذلك لما روي في ذلك من أقوال أئمة المذاهب، إنه إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب، يعمل بالحديث ويكون

---

[253]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية"، ص. 402 - 403

ذلك مذهبه، ولا يخرج مقلّده عن كونه حنفياً بالعمل به فقد صحّ عن أبي حنيفة إنه قال: إذا صحّ الحديث فهو مذهبي[254].

ولما اختاره المحققون من العلماء والفقهاء إلى أحد هذه المذاهب، و بناء على ذلك أنهم نسبوا عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء إلى أحد هذه المذاهب مع أنه له اختيارات وترجيحات خلافاً للمذهب الذي ينسبون إليه، وينتسبون هم أيضاً إليه. على سبيل المثال، الشيخ نواب صديق حسن البوفالي، أحد الأعلام من علماء الهند، نسب الشيخ بن تيميه وتلميذه ابن القيم إلى الحنابلة، وكما هو قال في محمد بن عبد الوهاب أيضاً. ونسب الإمام ولي الله الدهلوي وجميع علماء بيته وسلالته إلى الحنفية وهو الذي صرّح به واختاره علماء ديوبند.

ومن المناسب المفيد، بل الواجب الأكيد أن الفت الأنظار هنا إلى أن مسلك علماء ديوبند في الفقه والاجتهاد، والتقيّد بأحد المذاهب الأربعة واستحسانه، واعتقاد أنّ فيه المصلحة لعامّة المسلمين في القرون المتأخرة، والتزام المذهب الحنفي من بين المذاهب الأربعة لخصوص أحوال البلاد، ولكن مع التوسيع وعدم التضييق، هو ما أخذوه عن إمام هذه الطائفة، وعمدتهم في الدين، وقدوتهم في العمل، الإمام ولي الله الدهلوي بالسند المتصل منهم إليه بواسطة أخلافه من ابنه و من بعده ووجدوا عليه علماء هذه السلسلة الكريمة قرناً بعد قرن وطبقة عن طبقة. وهذا ليس بادعاء محض بل ثبت ذلك بما يوجد الآن من كتبهم وكتاباتهم وبما روي ويروى عن ثقات هذه السلسلة وخواص

---

[254]. انور شاه كشميري: "تحية الاسلام" ص. 11

هذه الطائفة بالأسانيد القوية المعتبرة لدينا، ولا يمكن لغيرنا أيضاً الإنكار عنه والجحود به[255].

فلذا اضطرّ على الاعتراف والتصريح بذلك عدد من الأعلام والمحققين من العلماء الذين لم يكونوا على مذهبهم ومنهجهم، كيف وقد صرّح به، وأزال عن الصدور ما اغترّ به، وغرّ كثير من أهل الشرور بذلك، الشيخ المصلح المجاهد الداعية سيد أحمد بن عرفان الشهيد أيضاً، الذي رافقه وقاتل معه وتحت لوائه الشيخ إسماعيل الدهلوي الشهيد مع أعداء الإسلام، نسب إليه ما ينسِبُ رافضو التقليد من مسلمي شبه القارة إلى هذه البيت من أنهم لا يتقيدوا بأحد المذاهب الأربعة ويتبرءون عن الحنفية، فكتب الشيخ السيد أحمد الشهيد إلى جماعة من العلماء ورسالة طويلة صرّح فيها وأوضح مسلكه الفقهي، وقال فيها "إن هذا العبد وأسرته لم يكونوا من الخاملين في بلاد الهند"، فانه يعرفهم ألوف آلاف من الأنام من بين الخواص والعوام، بأن مذهب هذا العبد أباً عن جدّ هو المذهب الحنفي. وكذا جميع أقوال الضعيف وأفعاله منطبقة وجارية على أصول الحنفية وقواعدهم بالفعل، فلا يوجد فيه شيء خارج عن ذلك[256].

وممن صرّح بذلك من العلماء المحققين وهم من أعلام المنابذين للتقليد في هذه البلاد، الأمير الشيخ صديق حسن خان البوفالي، وذلك في عدة كتبه، والشيخ محسن بن يحيى الترهتي في كتابه "اليانع الجني في أسانيد عبد الغني"، والشيخ مسعود عالم الندوي في كتابه "تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند"، إلا

---

[255]. الفريواني: جهود علماء الهند في خدمة القرآن الكريم" ص. 35

[256]. محمد الرابع الحسني: "الشهيد احمد بن عرفان"، المجمع العلمي للبحث والنشر لكناؤ، 2002، ص. 44 - 45

أنه لم ينسب إلى الحنفية إلاّ الشيخ عبد العزيز نجل الشيخ ولي الله الدهلوي ومعظم تلاميذه فقط، أمّا الشاه ولي الله نفسه وحفيده الشيخ إسماعيل الشهيد فقال فيهما "إمام أهل الحديث في الهند وحامل لوائهم"[257].

أنور شاه الكشميري ومحاولاته في خدمة المذهب الحنفي

قمنا بذكر مزاياه الخاصة في صدد تدريس الحديث وأساليبه فيه. والحق هذا لا يسعنا أن نذكر كل شيء من ميزاته مع أننا سعينا في هذا المجال إلى حدّ كبير. فان الشيخ أنور شاه قد خدم المذهب النعماني برهة طويلة في دروس الحديث، دروس "سنن أبي داود" و "جامع الترمذي" و "الصحيح للبخاري" وغيرذلك، وفي رسائله المؤلفة في المواضيع المهمة ما سنذكرها، وفي مجالسه ومحافله ومواعظه وخطبه، فكم من أحاديث قد استدل بها له! وكم من آثار احتج بها له! وكم من المسائل الجرينة في الفقه الحنفي قد رصص بنيانها! وكم من قواعد كلية وضوابط عامة للمذهب أسس عمرانها! وكم من غوامض ودقائق وصل إليها فكره! وكم من سوانح جاد بها نظره وسمح بها لسانه، وقد مضى نحو ثلاثين عاماً وهو شطر عمره في خدمة مذهب إمامنا ومقتدانا الإمام القطب الذي تدور حوله رحى الفقه من فقهاء الأمصار الإمام الكوفي أبي حنيفة، فحاز كنوزاً وذخائر من الدلائل والشواهد والآثار والمتابعات، وكان قد يجري على مقاله كان الله خلقني لتأييد مذهبه، وقد يقول: قد

---

[257]. الأسعدي: "دار العلوم مدرسة فكرية"، ص. 410.

أسست بنيان الحنفية بحيث لا يفني مذهبهم مائة سنة. وضبط ذلك في مضابطه وجمع فيها ذخائر أوبسطت اليوم مرتبة منتظمة مفصلة على الطريقة التأليفية على الأوراق، وجمعت نقول الأسفار التي أحال عليها برمز صفحاتها لبلغت أجزاء كبيرة مما يتعلق بالفقه الحنفي فقط دون سائر العلوم، فلو أمعن خبير عاقل في مساعيه الجميلة وآثاره الباقية الصالحة ليعترف بمتن هذا الشيخ، وليعترف بأن وجوده كان تأييداً ربانياً للمذهب النعماني بدا في هذه القرون المجدبة والعصور الماحلة. وكان يقول: ما رأيت مسألة في الفقه الحنفي لم تكن له حجج موزرة أزيد من مذاهب الأئمة أو مساوية لها، إلاّ في مسألة الخمر، فان دلائل الجمهور فيها غالية .كثيرة لم أفز لقول الإمام بشيء يقاوم براهينهم[258]. وكان ينبه الطلبة تنبيهاً عظيماً بأن لا يذهب وهلكم إلى ضعف مذهب إمام من الأئمة المجتهدين، فكلهم أئمة قدوة، ولنا فيهم أسوة، ولكل وجهة هو موليها. فهذا حاله من خدمة المذهب الحنفي.

ورأى أنور شاه المحدث الكشميري في بعض آرائه التحقيق عن الأحاديث المتعلقة بالفقه أو بالعمل وغيره، نحن في صدد ذكر بعض الأمثلة لكي يغوص في حل بيانه. ومثل "إنما الأعمال بالنيات الخ" (الحديث) فان المعتبر في الارادة هو اصدار المراد، ولا يعتبر فيه غرض للمريد، بخلاف النية، وإنها يعتبر فيها غرض، ولذا لا يكاد يترك معها ذكر الغرض، فيقال: نويت لكذا، بخلاف الإراداة، فانه يستعمل بدون ذكر الغرض أيضاً. والحديث إنما ورد في العبادات دون القربات والطاعات ونحن

---

[258]. أنور شاه كشميري: "مشكلات القرآن" ص. 15.

نلتزم أن الوضوء بدون النية لا ينعقد عبادة. أما أنه لا يصلح لكونه مفتاحاً للصلاة فلا يدل عليه الحديث أصلاً. وقيل: العبادة يشترط فيها النية ومعرفة من يتقرب إليه. والقربة يشترط فيها معرفة من يتقرب إليه دون النية كتلاوة القرآن والطاعة لا يشترط فيها شيء كالنظر الموصل إلى الإسلام. ويقول الشيخ أنور شاه: "إن من الوسائل ما يشترط فيها النية عندنا أيضاً، كالتيمم، والوضوء بالنبيذ، فانها شرط للصحة فيهما". والعجب أن الإمام الأوزاعي والحسن بن حي، لا يشترطان النية في التيمم أيضاً كما في العيني، فقد سبقوا إمامنا أبا حنيفة في عدم اشتراط النية[259].

وكذلك في التسمية، هل التسمية جزء من كل سورة أم لا؟ يرى الشافعية أن التسمية جزء من كل سورة وجزء من الفاتحة أيضاً، ويقول الحنفية إنها ليست جزءاً للفاتحة ولا من كل سورة، قيل أول من كتب هذه المسألة من الحنفية هو أبو بكر الرازي وليست منقولة عن الإمام أبي حنيفة، فيقول الشيخ أنور شاه ومن رآها مكتوبة بين كل سورتين يحكم ذهنه إلى أنها آية نزلت للفصل ين السّور كما ذكر في الكنز، واعترض على الشافعية أن التسمية لو كانت جزء من كل سورة نزلت هناك أيضاً وأجاب عنه الشافعية أولاً بأن مضمونه التسمية قد اديت في ضمن اقرأ باسم ربك، وثانياً بأنها صارت جزءاً بعد نزولها وهو كما ترى فان الكلام في صيغة التسمية لا في معناها[260]...

---

[259]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 224. كوندو: "الأنور"، ص. 123. انظر شاه مسعودي: "نقش دوام"، ص. 55 - 56

[260]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري"، ص. 23 – 24.

الباب الثالث

شعر أنور شاه المديحي باللغة العربية

- قصائد أنور شاه في مدح الرسول الأكرم
- القصائد الصوفية في مدح مشائخه

قصــائد أنـور شــاه فـي مــدح الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم

إذا حاولنا ذكر شيء من مزايا الشيخ أنور شاه تتسابق إلى مآثره المتكاثرة سراعاً من كل صوب وناحية فان حياته حافلة بالمآثر، ومنها ملكته الفذة في قرض الأبيات التي تستمع إليها الآذان وتستحسنها الفطرة البشرية السليمة. كان ماهراً في سبك الأبيات وصياغتها بالدقة والتعبير مع الروعة البيانية فان عدد أبياته يبلغ الآلاف، وقد قرض الأبيات في مناسبات عديدة لأغراض متنوعة، فمنها في ضوابط الفقه الحنفي على نحو الأراجيز، وفي بعض معارف الحديث، وفي شتىَ مسائل العلوم، ورسالة منظومة في مسألة وجود الصانع الحكيم وحدوث العالم وعلم التوحيد والكلام. بعض أبيات الشيخ يشمل الحكم والحقائق والأمثال، ورثاء الشيوخ، ومديح بعض أماثل المعاصرين. أما قصيدته في مدح النبي الكريم فهي قصيدة غرّاء محكمة النسج، بديعة التعبير، رشيقة الألفاظ، بديعة المعاني. وهذا لأن الشيخ الكشميري وُلدَ في بيت العلم والشعر، فكان والده شاعراً مجيداً للفارسية وأخوه الأكبر كان أشعر أهل كشمير بل كان أشعر بين كثير من معاصريه[261]. فكان الشعر خلط بلحمه، وسط بدمه، ونشأ في مهد الشعر، ثم ارتوى بلبانه؛ فصار الشعر طبيعته الثانية. و عرضها تعبيراً عن ما يكنّ قلبه من الحب والشوق للمصطفى صلى الله عليه وسلم. فانه عاش وعايش السيرة

---

[261]. محمد راشد ندوي: "منتخب من الشعر العربي"، ط. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عليكراه الاسلامية، 1990، ص. 249-250وعبد الرحمن كوندو: "الأنور"، ص. 334.

النبوية العطرة طول حياته، وكان الحديث الشريف شغله الشاغل، وكان البحث فيما ثبت عن ذات المصطفى صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل وما لمس حياته الشريفة عن حادث أو فعل وما يتعلق بهذا الموضوع من جهود وأعمال وسير من لهم علاقة بهذه الجهود ومن نقلوا الأخبار ودوّنوها ومن شرّحوها وما شرحوها، ومن انخرط بهذه السلسلة الذهبية التي يرتفع طرفها الآخر إلى مقام السمو ويتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم. كان كل هذا وذاك شعاره في حياته وبذلك كانت ذات المصطفى صلى الله عليه وسلم النقطة المركزية التي منها تبدأ هذه الجهود إليها تعود، ومصدر النور الذي تسطع أشعته وتتشعب فتغمر دنيا العلم على مدار المسافات الزمنية والمكانية لتنير جميع بقاع الأرض مع جميع أنحائها في كافة مراحل التاريخ العلمي، وكان الشيخ أنور شاه بشغفه بتتبع هذه الأشعة في اقتباس دائم من أنوار النبوة، فيترأى له وجهه من خلال ما يدرس من الأحاديث وتتشخص له ذاته الطاهرة من وراء آثاره وجوامع كلمه وتتمثل له صفاته وشمائله العطرة عبر دقائق التفاصيل التي سجلتها السيرة السنية، فمن يكون أوضح وأصدق في الحديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من هذا العالم البارع ومن يكون أشد حيطة وألصق علاقة به منه.[262]

ومما يدل على مقدرته اللغوية وسليقته الشعرية إنه قرض قصيدة طويلة تحتوي على أربعمأة بيت دبجها بعنوان "ضرب الخاتم في حدوث العالم" تناول فيها الأبحاث الفلسفية

---

[262]. الدكتور زبير أحمد فاروقي: "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي"، ط. دار الفاروقي-نيودلهي، 1990، ص.101

المعقدة في الموضوع وعالجها ببراعة ودقة، وأعجب بها أهل العلم والمثقفين.[263]

كان الشيخ أنور شاه مطبوعاً على الذوق الأدبي السليم وكان يحفظ أكثر من خمسين ألف بيت، ونستطيع أن نتمكن مدى قدرته على نظم الشعر بواقع أن عدد ما قاله من الشعر باللغة العربية يبلغ إلى 1155 بيتاً. وكان مع ذلك شاعراً قديراً باللغة الفارسية. وقد عالج في قصائده العربية شتى الأغراض من المديح والرثاء ومن المواضيع النظرية والفلسفية، ومن المواضيع الدينية وما إلى ذلك. ومنها قصيدته المعروفة بعنوان "صدع النقاب عن جساسة الفنجاب". وتشتمل على سبعين بيتاً وتتضمن الدلائل على كذب مدعي النبوة ميرزا غلام أحمد القادياني.[264]

فيحلوا لنا أن نبدأ في بيان القصيدة التي قرضها الشيخ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

هذه القصيدة التالية تحتوي على 47 بيتاً ومستهلّ القصيدة، هو لعهد الحمى، والنسيم والصبا والظباء، والدموع والهجر والتلول وما إلى ذلك من ذكرى وتأويب وتأويد وهي قصيدته الدالية التي نحن بصدد الحديث عنها يوحي بأنه ليس من جنس المجاراة أو المحاكاة فحسب وإنما يدل على الأصالة في التناول لتصويره جواً مليئاً ببشائر الربيع والطبيعة الفاتنة. وملاءمة ذلك بصميم موضوع المديح النبوي ظاهرة غنية عن

---

[263]. مجلة ثقافة الهند: مقال من الدكتور عبد الماجد القاضي بعنوان : "وقفة مع الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري ومدائحه النبوية باللغة العربية"، المجلد 52، عدد 1، 2001، ص.96.

[264]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. 388.

البيان. وقرض الشيخ أنور الأبيات التالية في مدح النبي الأكر صلى الله عليه وسلم استحصالاً للبركة والطمانينة فيقول:

برق تألق موهناً بالوادي
فاعتاد قلبي طائف الأنجاد

أسفاً على عهد الحمى وعهاده
تولى على الإبراق والإرعاء

هبّ النسيم على الرّبى فتضاحكت
بشرى العميد عرارها والجادي

لعبت صباها والشمال تارة
لعب الغصون بعطفها الميّاد

سنح الظباء فكا يهلك مغرم
خور العيون وعطفة الأجياد

وأكاد أشرق بالدموع إذا بدا
هجر فتبكي الودق بالأسعاد

أسقي التلول واستحث ركائبي
وجداً على التأويب والإسآد

تهيامي الاتهام همى همة
نفت الكرى عني على اسهاد

لله درّ صحابة الفيتهم
ديم الندى للمجتدى والجادي

فرق الصديع على مناثر رفعة
سرج الرشاد على ذرى الاطواد

وأبرّهم قلباً وأطهر ضنضناً
وأقل تكلفة نجوم النادي[265]

---

[265]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 187 - 188

قام الشاعر أنور شاه في هذه القصيدة باظهار محبته تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه شبّه النبي بالبرق الذي لمع في وادي فارغ، وفي الوقت نفسه يرجع إلى ذاته إن قلبه اعتاد أن يتيه في الميادين والساحات، وجعل يهب الهواء على حيطان الجبال مثل كانت تضحك، وهذا هو سبب بعثة النبي، كما وأخذت تتحرك أغصان الأشجار التي كانت ساكتة قبل ولكن بدأ ترقص في نسيمه العاطف الرحيم.
ثم يتطرق الشاعر أنور شاه قائلاً:

أنا في أمـان في دآدي حيرة
ولـي اهتـداء بالنبـي الهادي

ثم ينتسب نفسه إلى أنه في حفاظ عاطفة النبي ووجد سبيلاً مستقيماً تباع هداية الهادي النبي، مع أنه يجد نفسه يصرف من هنا إلى هنالك.

وبعد ذلك يستطرد الشاعر في ذكر محاسن النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الكريمة وقد استطاع رصف أسماءه وسبكها في قالب الشعر ببراعة وجمال، يقول:

شمس الضحى بدرالدّجى صدر العلى
علـم الهـدى هو قـدوة للقادي
مولى الـورى وبشيـرهم وشفيعهم
وخطيـبهم في مشهـد الأشهـاد
من سيّد عبـد الالــه وحمـده
وحبيـبه وخـليلـه الحمّـاد
سهل العريكة أكرم العرب الآلى
خيـر العبـاد وخِيَرَة العبّاد
خير الـورى بيتاً وأخير محتداً
ونبيّهم مـن معدنٍ منـطاد
ختـم النبـوة والرّسالـة إنهـا
بدئت بـه ختمـت بـه لمـعاد
العـاقب المـاحي وأكثـر تابعاً
والقـاسم المبعوث للإرشـاد
والأفصح الأمـي أصدق لهجـة

ممن تكلم باللسان الصنادي

سرّ المهيمن عبده ورسوله

بشرى محياه وحياة الصادي [266]

أبيات القصيدة لها ميزة خاصة، فهو يعتني بالأوزان والقوافي كما و تهتم بالبحور اهتماماً خاصاً وتحتل مكانة لانقة في حسن السبك والنسيج، وبديع الإنسجام والصوغ، ونصاعة الألفاظ، وفصاحة الكلمات، وقد يوجد بعض الإغلاق في بعض الأبيات، وذلك لغوصه في الدقائق التي قد تملي عليه قريحته الوقادة، وذهنه الفياض، وخياله الهائج المائج الجيّاش. ونرى أن الشاعر يتجنّب التعبيرات الغريبة، والألفاظ الركيكة، والكلام الذي تأباه الفطرة السليمة، والذوق اللطيف، بل نرى في القصيدة انسجاماً وصياغة في تراكيبها وتعبيراتها.

ثم يصف الشاعر الرسول الكريم بأوصافه الخِلقية والخُلقية بقوله:

ومفخَم فخم تهلل وجهه

ضحكا كضحك البدر إذ هو باد

الأبلج الأقنى الأزجَ ورحمةَ

للعالمين وأجود الأجواد

ولرعبه سار مسيرة أشهر

ولذكره باق على احماد

وافت بطيبة داره ولملكه

بالشام مكة موعد الميلاد

---

[266]. أنور شاه كشميري : "ضرب الخاتم في حدوث العالم"، المجلس العلمي دابهيل، 1996، ص. 22

وافي شهيداً منذراً ومبشراً

من ربه بالوعد والأبعاد

فلواءه ومقامه مع حوضه

يوم التنادى للوسيلة شاد [267]

ثم ذكر الشاعر البارز الشيخ أنور الأوضاع الاجتماعية والدينية والخلفية التاريخية وقت بعثة النبي وحالة العرب و وضع العالم قبله، قائلاً:

قد جاء والدنيا على ظلماتها

والجهل والبؤسى على اعتاد

فأضاء كالبدر المنير ووجهه

نور مبين في ظلام دآدي

ويستمر في سرد مننه على البشرية وفضله في أحداث الثورة الكبرى في ضمائر البشر وربط صلتهم المنقطعة بربهم من جديد:

فتحت به غُلفُ القلوب وبصرَتْ

عمي العيون بسنة وسداد

قد أيّد التقوى وشيّد أمرها

بقواعد التأييد ذات عماد

ثم ذكر الشاعر أن البركات، والعصمة من الأزمة والحياة الطيبة معقودة ناصيتها بالشريعة التي جاء بها النبي خير هدي ودينه خير الأديان فقال:

وبوجهه تُستنزَل البركات من

فوق السّماء فأيّده بأياد

---

[267]. مجلة : "الداعي" عدد 8، اكتوبر-نوفمبر، 2002، ص. 36

وبه النجاة وعصمة من أزمة

وبه حياة طيبة لبلاد

فلخير هدي هديه ولدينه

دين الإله علا لدى الأسناد [268]

ثم يذكر الشاعر أولئك الذين تشرّفوا بصحبة النبي، وتربّوا في أحضان الرسالة، وامتثلوا أوامر الشريعة بما في وسعهم من المال والجاه والنفس والأهل والعشيرة، وتركوا الوطن المألوف، والعقار والحائط، من المهاجرين والأنصار والأبرار الأطهار والتابعين لهم بإحسان.[269]

قامت به غرّ الوجوه عصابة

ثم الأنوف وصفوة الأعضاء

كانوا من الأبرار والأطهار والـ

أخيار والأنصار والأنجاد

ثم اهتدى بمنارهم سعداؤهم

سعدوا وكانوا وفقوا الرشاد [270]

ونظم الشاعر الشيخ أنور شاه قصيدة على طراز قصيدة قالها الأديب البارع في اللغة الفارسية الشيخ سعدي الشيرازي في أسماء النبي المباركة، حيث يقول:

شفيع مطاع نبي كريم

قسيم جسيم نسيم وسيم

صبيح مليح مطيب النسيم

---

[268]. أزهر شاه قيصر: "سيرت أنور"، ص. 86

[269]. أنور شاه كشميري: "مرقاة الطارم على حدوث العالم"، المجلس العلمي دابهيل، 1412، ص. 5. مجلة : "الداعي: عدد 8، ص. 37

[270]. كوندو : "الأنور" ص. 382

مضـاض الجبين كبـدر مبين

غياث الورى مستغاث الهضم

أحيد وحيد مجيد حميد

وخيـر البـرّ يا بفضل جسيم

وأسـرى به ربـه في السمـاء

كنـور تجلـى بليـل بهـيم

وآثـاره ما شـاء من عـلاء

وعـزّ عـزيز وحيـاة قديم

فيـا رب صـل وسلم عليه [271]

ثم هو يُنهي قصيدته الغرّاء بالأبيات الآتية:

حتى تـأذّن دهـرهم بمضيّـهم

والدهر أرود ذو صروف عاد

فمضى الخيار فلا ترى آثـارهم

فكأنهـم كانـوا علـى ميعاد

هـذا ولا يبقى سـوى الملك القد

يم وكلّ شـيء رائـح أو غاد

قفـا نبـك أطلالا وهـت أركانـها

أخنـى عليهـا الدهر بالمرصاد

يـا ربّمــا أرثى الطلول فما هنـا

داع ولا متسمّـع إنشـــادي

سبحان من صرف الأمور وما أتت

غيـر عليـه على مـدى الآباد

---

[271]. أنور شاه: "ضرب الخاتم على حدوث العالم" ط. جيد برقي بريس دلهي، ص. 16

ثم الصلاة مع السـلام علـى النبي

وآله مـع صحبـه الأمجـاد[272]

هذه أبيات عصماء فريدة خير نموذج للسلاسة والطلاقة، نرى فيها صناعة لفظ الجاهلية والغرب وحلاوة انسجام الشعراء الإسلاميين، وحسن نسيج النابغين، في قرض الأبيات. القصيدة تبدي لنا صورة واضحة للأهداف النبيلة والأغراض المصادفة البنّاءة التي لأجلها خاض الشاعر هذا المضمار، وغاص في بحور الأبيات؛ لينثر لآلي بين طالبي العلوم والباحثين، قافية القصيدة و رويّها لهما تأثير خاص في إيقاع وأوتار القلوب، وتفتيق القريحة، وإيقاظ الشعور، وترقيق الوجدان، وتصفية الخيال.

يبدو أن الشاعر قد نظم لؤلؤاً، وحاك ديباجاً، ونسج حريراً، وقدّم لنا باقة الأزهار الأنيقة الجميلة، من خصائص النبي وميزاته، وأعماله وأخلاقه وتضحياته، بالتلميح إلى الشمائل النبوية بأنقى تعبير وأوفى تحبير. وهذه القصيدة تُسكن الأكباد الهائمة المقروحة المتعطشة، وتذكى لوعة الحب والغرام. ويرسّخ أسس الحياة التي لا يمكن أن تحيي الأمة الإسلامية بدونها في غرّة وسعادة.

والقصيدة جديرة بأن تعدّ من القصائد البديعة التي أنتجها أبناء الهند المسلمون في شرقها، غربها، شمالها وجنوبها أداء لضريبة الحب والوفاء، والحنان والولاء، للنبي

---

272. انور شاه الكشميري: "فصل الخطاب" ص. 128. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 183، الدكتور عبد الماجد القاضي: مقال له نشر في "مجلة ثقافة الهند"، عدد 1 المجلد 52، 1996، ص. 101 – 102. مجلة : "الداعي"، عدد 8، ص. 37.

الخاتم الذي لولاه ما استيقظت الإنسانية من غفلتها، وما وجد العالم الإيمان الذي فقده و أفلس فيه، منذ مدة طويلة، الإيمان بالله وبالبعث، والإيمان بقيمة الإنسان وكرامته، وما إلى ذلك من الأمور التي يجب الإيمان بها بالضرورة.

ومن الميزات كذلك التزامه بالواقعية والصدق في الوصف والتعبير وتجنبه عن المبالغة والإغراق والغلو، وموقفه العملي في هذا الباب يدل على أنه رفض رفضاً باتاً قول بعض البلاغيين القائلين بأن "أحسن البيت أكتبه" متأثرين بالمقاييس البلاغية اليونانية القديمة، ولذلك نجده على جانب كبير من الحيطة والحذر في الحديث عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يصفه جزافاً بل توقف عند المأثور منها والمقبول لدى المسلمين جميعاً. وقد دلت التجارب الإبداعية والأدبية التي مر بها الشعراء في مجال المديح النبوي، كما دلت الزلات التي تورط فيها بعضهم، أنه من أصعب المواضيع إطلاقا لما يتطلب من التأدب والتهيب من جهة والاتزان والحيطة من جهة أخرى وقلما نجد من يمشي سويا بين هذا وذاك من دون أن يتجنح ذات اليمين وذات الشمال، وقد رسمت الشريعة السمحة حدوداً واضحة المعالم للإجلال والتقدير لا ينبغي لبشر أن يتخطاها فيثبت للبشر من الصفات التي اختصت بها الذات الإلهية وتفردت بها دون الخلق أجمع، كما تجب معرفة مكانة العصمة والسمو الذي يحظى بها المصطفى الأكرم صلى الله عليه وسلم، فإذا قسنا قصائد الشيخ الكشميري بهذا المقياس نجده فيها جم التحشم والتأدب وغاية التحذر والترقب، نجد أن علمه يحرس وجدانه الواله ويتمسك بعواطفه وحنينه كي لا يجتاز الحدود المشروعة وهكذا

نرى أن وازع العلم لا يغفل عن نازع الشوق قدر لحظة، وذلك يزيد من صفاءها ونقاءها ومن تأثيرها وبهاءها.

لا يوجد في كلامه شيء يخلّ بالعقيدة الإسلامية الصحيحة. ومدحه النبي بعيد من الاطراء والمغالاة، اللذين ليس لهما أيّ أساس في الشريعة، وهذا التوفيق من منن الله وكرمه عليه، وإلا:

فللناس فيما يعشقون مذاهب.

القصائد الصوفية في مدح مشايخه

إن حياة الشيخ أنور شاه الكشميري حياة حافلة بالمآثر العلمية انقضت في الأكباب على علوم السلف والعكوف على زبرهم وأسفارهم، والاستخراج من دفائنهم ومعادنهم، والاسترواء من مناهلهم العذبة السائغة وبحارهم الزاخرة، لا غير، ولكن كما أنه جُعل الإنسان وهذا الهيكل المخصوص الصغير الجثمان عالماً صغيراً أودع فيه نماذج العالم الكبير من الملائكة والشياطين والجنود والعساكر والسلاطين والبحار والجبال وبطون الأودية والآكام والظراب. نرى فيه من بدائع أنواع العلوم وعوارف جدداً، ومن خصائص علماء العهد الغابر معارف جدداً ما يختلب القلوب ويختلس العقول. للشيخ أنور شاه الكشميري شعر غزير رائق، وإذا استشرف أحدا إلى شعره ليظن أن الشاه الكشميري لم يبرح عاكفاً وصياغته، وفله شعر في بعض ضوابط الفقه الحنفي على نحو الأراجيز، وشعر في بعض معارف الحديث، وشعر في شتات مسائل العلوم، ورسالة منظومة في مسألة وجود الصانع الحكيم وحدوث العالم من علم التوحيد والكلام، وشعر في مديحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد ذكرنا في الفصل السابق، وشعر في الحكم والأمثال، وشعر في الحقائق، وشعر في رثاء بعض شيوخه، وشعر في الأسف على العهد الغابر وعلمائه، وشعر في مديحة بعض أماثل معاصريه في

ضمن بعض مكاتيبه إليه. ثم كل ذلك بكاء واستبكاء، وأدب وحكمة ومثال.[273]

ولا غرو فان ثلاثة نفر من إخوان الشيخ أنور شاه كلهم شعراء بالفارسية، فلذا كان له شعر طبيعي أغزر، ومع هذا أرق وألطف وأزهر. ففصح العربية وشواردها، وأما حوشى الكلام وركاكة اللفظ فما أبعدها من شأنه. وبالجملة محاسن شعره لا تُسأل عنها فانه مشجون بها، فترى فيه انسجاماً وصياغة، يزري بقلائد العقيان وعقود الجمان، وتخجّل دون حسنه وبهائه سموط اللؤ لؤ والمرجان.[274]

فقد رثى الشيخ أنور شاه الكشميري الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم ديوبند بقوله:

قفا يا صاحبيَ على الدّيار

فمن دأب الشجيَ هو ازديار

وعوجا بالّرباع رباع أنس

ففي المرأى لشيء كاصطبار

وإن عادت دوارس بعد هجر

فقد كانت معاهد للمزار

فتلك بلادها أمضيت فيها

ليالي من طوال أو قصار

وبتَ أسارق المرأى وأهوى

نسيماً من شميم من عرار

---

[273]. انظر شاه : "نقش دوام"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبعة الثانية)، 1996م، ص. 248 - 249

[274]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 176. ازهر شاه قيصر: "حيات انور"، ص.85 - 86

أسابق ريب دهر ذي فنون

وإن سراه لا يدريه دار

كأنك ما سمعت حديث شيخ

تلقاء الخيار عن الخيار

وبعد ذكر الديار والرباع والبقاع والدراسة والهجر وليالي الإقامة يذكر الشيخ مزايا حجة الإسلام محمد قاسم النانوتوي قائلأ:

وذلك قاسم البركات طرأ

يسير بذكره تالٍ وقاري

إمام حافظ مسند همام

لسان الحق مقدام الكبار

طراز للهدي حبل متين

دليل حجة عالي المنار

شهير مسند بدر منير

كشمس فوق رابعة النهار

مجدد هذه الأعصار حقاً

محدثها وذلك فتح باري

ومشكاة الهدي هدياً وسمتاً

ومصباح به وارشاد ساري

ورحلة عصره طود عظيم

خليفة مسلم ثم البخاري

ومحي السنة البيضاء لمّا

توارت كأمثال الدراري

متى ما جئت تستقيه قطراً

تجِد بحراً يطمّ على البحار

وصوباً صيباً سيحاً فسيحاً

فراتاً محيياً رحب المجاري[275]

تبدو هذه الأبيات حين قرأناها كأنها الماء الزلال، وتروي العاطفة والذوق الأدبي، وكأنها الشلال يتدفق بكل قوة وحيوية ونشاط وصفاء. ثم يقول:

مناقبة قد اشتهرت وصحّت

وأخرجها الثقات على الجهار

وما أتاه خالقه مقاماً

وأثـــــــره وليــاً باختــيار

فمعروف به وسرى عصرٌ

فريد فيه من غير المدار

جنيد همة داود حالاً

وغوث الملتجى قطب المدار

إذا ما جاءه أحد مريداً

تهلّلَ بالغوادي والسّواري

فأولاه فيوضاً ساميات

وأحياه بأنهار غزار

وأورثه اليقين وذوق حال

وأبقاه على وجد مثار.

---

275. مجلة : "الداعي"، عدد 8، اكتوبر – نوفمبر 2002، ص. 34. كوندو : "الأنور" ص، 385، الدكتور زبير فاروقي: مساهمة دار العلوم الخ. ص. 103.

طريق القـوم قد دارت عليه

فشدّ لـه الرحـال على المهاري

فأضحـى كعبـة للعاكفـين

ومأوى الطائفين بلا عمـار

فصار مدار كل الفضل حتى

دعـاه الربّ حـي لخير دار

أحـبّ لقـاءه حتـى تلقـى

ولبّـاه وحـجّ لـلاعـتمـاد

فيا ترب الرضى ملتقيا ورياً

بما نزل من الرضوان جاري

متى ما فـاح من طيب ونشر

وما تـرثى الحمائم والقماري[276]

كذلك الشيخ أنور شاه الكشميري يقوم برثاء الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي أحد كبار العلماء البارزين الهنود فيقول في بداية القصيدة.

قفا يا صاحبيّ عن السفـار

بمرأى من عرار أو بهـار

يسيـر بنشرها نفخات أنس

وريّاً عنـد محي من قـطار

يفيض لروحها رشحات قدس

حيـاة للبـراري والقفـار

وقد عـادت صبَاها من رُباها

---

[276]. أنور شاه : "ضرب الخاتم على حدوث العالم" ص. 9. مجلة : "الداعي"، عدد9، 1993، ص. 69

بأنفاس يطيب بها الصحاري

فيسري في قلوب الصحب وجد

بأطراف الحديث لدى اعتبار

أطيب لنشره نفساً ونفساً

فأروي من روايات الكبار

أتابعهم ويميلني دموعي

حديثي من شيوخي لادكاري

أجلهم وأبجلهم مقاماً

أبو مسعودهم جبل الوقار

لقد فرع الورى عملاً وعلماً

مكارم ساعدت كرم النجار[277]

ثم يقول:

إمام قدوة عدل أمينُ

ونور مستبين كالنهار

فقيه حافظ علم شهير

كصبيح مستنير هدي سار

إليه المنتهى حفظاً وفقهاً

وأضحى في الرواية كالمدار

ففي التحديث رُحلة كل راوٍ

وفي الأخبار عمدة كل قاري

وغرّة دهره علماً وديناً

طراز زمانه مثل النضار

وأما فضله ذوقاً وحالاً

---

[277]. أنظر شاه : "نقش دوام" ص. 252.

فمفرد فيه لا أحد يجاري

فقيه النفس مجتهد مطاع

وكوثر علمه بالخير جاري

وأحي سنة كانت أميتت

وإذ وضح النهار فلا تمار

وأصبح في الورى صدراً وبدراً

منيراً دارناً حلك التواري

وأصبح مفرداً علماً رفيعاً

كرفع المفرد المعلم المنار

وآية رحمة فضلاً وفيضاً

عباباً مستطاباً للقواري[278]

وغرة دهره علماً وديناً

طراز زمانه مثل النضار

يقوم لشكره آثاره في

مدارس أو مساجد كالدراري

متى ما جاد جود قام شكراً

له العزمات من باد وقار

علو مقامه قدماً وسبقاً

فلا من طائر فيه مطار

فضيل زمانه ورعاً وزهداً

وحاتم عصره عند امتيار

كأن جبينه بدر مبين

تهلل نوره عند الزوار

---

278. يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 184- 185.

وهمتـه كصبـح مستطيـر

أو الغيـث المغيث لـدى انتظار

لقد نفع الـورى شرقاً وغرباً

وأشـرق نـوره عنـد اعتـكار

وزحزح عن الحريم الحق نكراً

فخصخص في البسيط على الجهار

ودار مـع استقـامتـه مـداراً

أصيـل الأصل محمـي الزمار

فـرحمـة ربـه أبـداً عليـه

وطاب ثراه من رضوان باري[279]

وكذلك رثى الشيخ أنور شاه الشيخ محمود حسن الديوبندي وهو من أساتذة الأجلاء في دار العلوم بديوبند، وقد أجاد، يقول:

قفا نبك من ذكر مزار فندمـعا

مصيفاً ومشتاً ثم مرأى ومسمعا

قد احتفه الألطاف عطفاً وعطفة

وبورك فيـه مربعـاً ثم مربعاً

وقـد كان دهـراً طـريقـتي

طريقـة غرٌ ثم أولـى فأوقعا

يجاوبني دار وجارٌ على البُكا

ولـم أرَ إلاّ باكـياً ثم موضـعاً

وإن كان مما ليس يشفي ويشتفي

---

[279]. انور شاه كشميري: "تكملة تحية السلام" ص. 201. أزهر شاه قيصر: "حيات انور" ص. 86

بشيء ولكن خلّ عينيك تدمعا

ثم يقول:

نهضتُ لأرثى عالماً ثم عالماً
حديثاً وفقهاً ثم ما شئنت اجمعا
وهدياً وسمتاً سنة وجماعة
وخِلقاً وخُلقاً ما أناف وأوسعا
وعزماً وحزماً حكمة وإصابة
وزهداً وتقوى كان أروع أورعا
مقاماً وحالاً نية واستقامة
وخيراً وخيراً فأرثها كلها معاً
كبيراً ينادي في السماوات أمة
إمام الهدى شيخاً أجل وأرفعا
ومولى الورى محمودهم وحميدهم
ومسندهم فيما روى ثم أسمعا
وبلغ عنه شاهداً ثم غالباً
أمانة رب عنده ثم أودعا
ومهما تصدى للحديث وفقهه
أعاد رياض الدين أخصب أمرعا
مصابيحه مشكاة صدر وفيضه
من السنة البيضاء حتى نضلّعا
ووافي البخاري عنده فتح باري
وارشاد سار كيف أصلّ فرّعا
وترجمة للوحي في الأرض أصلها

ووافي السمـاء فرعها ثم أفرعا

وأصحـابه ألف فـأزيـد منهم

حديثاً وفقـهاً هل أردت فتسمعا

وقام إمامـاً في زمـان مخـادع

على قدم كالطـود أرسى وأوقعا

وقـام بأمـر الله في كل حـالـة

فيخشاه إن لم يخش حصناً ممنعاً

فسبحـان من أتاه علمـاً ونشـره

وأعطاه حلمـاً ما أطاب وأطوعا

نعم قد وسعت العلـم والعلم ميت

ولو كان حياً ضقت حتى تصدّعا[280]

ثم ان الشيخ أنور شاه يمدح شيخه الأجل محمود حسن الديوبندي إلقاء الضوء على قامته وشخصيته قائلاً :

إذا جئتـه وافيتـه متهـلـلاً

كبـدر منيـر من جبين وأوسعا

وغرّتـه سيمـا السّجود وبشـره

تباشير صبح أو كمسك تضوعا

وكـان حثـا أذنـي دراً وحكمة

فتخرَج من عينيَ دمعا مرصعاً

معـارف معروف وآداب حـاتم

أذكـره حتـى يقـول فأسمعا

أزور محيـاه وأصغـى لقولـه

---

[280]. انور شاه كشميري: "ضرب الخاتم في حدوث العالم"، ص. 15. و"فصل الخطاب" ص. 129.

أصادف نور أو سرور فأرجعا

فوافيت دهراً ثم دهراً بمنيتي

وألقيت عمراً ثم عمراً ممتعا

إلى أن قضى نحبا وأوفى بنذره

فلم أر غير الله للمرء مفزعا

تصدى لظل العرش في عدن ربه

ومقعد صدق قد دعاه فأسرعا

وأبقى قلوبا في الصدور كأنما

تضرب حيتان لماء تفجعا

أقدر أن لو جاءه حال صحبه

لمن عليهم زروة ما فيرجعا

حسينا عزيرا مرتضى ثم أحمدا

عزيزاً حبيباً ثم شبيره معا

وأصغرهم أو قلت أنور ما درى

لما قد دهاه حياته ما فيصنعا

وأذكر أيام المزار وانثني

على غصمص في القلب حتى تصدعا

نعم كنت دهراً قد ظفرت بحاجتي

فالفان غرا لم أجرب فأدقعا

فمن للهدي والهدي والعلم والتقى

وما مطمع إلا أرى الأمر أسرعا

يضيق نطاق في المراثي لحقها

وثم مجال كيفما شئت فاصنعا

بكيت إماماً أو ولياً لربه

وإن شئت حقاً فالفضائل أجمعا

بكته سماء ثم أرض كلاهما

وعين وقلب قاسيان فأجمعا

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما

سرى علمه فوق الركب ورفعا

وشعيه المخلوق من كل جانب

فلم أر إلا الفضل كان مودعا

ولم أر مثل اليوم كان باكياً

وما كان دمع القوم دمعا مضيعا

ولم أدر ماذا كان احرام حجه

أ كان قراناً أم أجاز تمتعاً

ولما حسبت العام عند قضائه

وجدت وكان الله قدر مسمعا

سقى الله مثواه كرامة ريعه

وكان غداً لي شافعاً ومشفعاً[281]

وإذا يمعن النظر في شجون هذه القصائد وغضونها، وراعيت مغزاها من ظهورها وبطونها ما ارتبت شيئاً في آن شعر الشيخ أنور شاه الكشميري، فاق شعر كثير من نوابغ الشعراء في فصاحتها وبلاغتها، تسمو قصائدهم ببيت يتبين فذين توأمين. وأما قصائد الشيخ أنور فنرى كل قصيدة من قصائده تسمو وتمتاز بطرف من الأشعار، وأما لطافة الخيال ودقة المأخذ، فليكن أمر وراء الفصاحة ومن توابعها، فان مدارها على نصاعة

---

[281]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 186 – 187. أزهر شاه قيصر: "حيات أنور" ص. 88. مجلة : "الداعي" عدد 8 ص. 35. وعدد 9 ص. 50 – 51.

اللفظ، ومحطها أن يكون مجراها على أساليب كلماتهم وخصائص عباراتهم والقوانين المستنبطة من كلمات فصحاء القوم في النضد والنسق والسلاسة والعذوبة، بحيث لا يمّل السامع، ولا يكلّ عنها مقول القارئ، بل كثيراً من يشتاق إلى الازدياد ويبقى مشتاقاً عند النفاد، وليكن لطافة الخيال من الفصاحة بمنزلة البديع من علمي البلاغة، ليستحسن بعد تحقق أمر الفصاحة، فإذا لم يكن محط الشاعرية على دقة المغزى ولطافة المسك وغموض المرمى فأولى وأحرى أن لا يكون محطاً للفصاحة كيف؟ وأن البدويين كانوا أبعد الناس عن لطافة الخيال، ومع هذا كانوا أقربهم إلى الفصاحة، بل أولئك هم الفصحاء، ومن ثم كان أمر الفصاحة كالملاحة لا يوصف يسري في الكلمات، كالروح في البدن لا يتعين مرعاها ومغزاها، ومن أجل ذلك لم يقدموا على تحديد التنافر، بل قالوا كل ما يعد الذوق الصحيح ثقيلاً متعسراً النطق على اللسان هذا.[282]

والخصيصة الأخرى التي نلاحظها في هذه القصائد هي أن الشاعر عارض بها فحول الشعراء المتقدمين وتقلد أسلوبهم في التشبيب كما أنه اهتم في بعضها برعاية المحسنات اللفظية على عادة المتأخرين، لكنه كان موفقاً في اختيار الكلمات الجزلة التي لها وقع خاص كما استخدم بعض الكلمات الغريبة، مما لا يخلو منه الشعر عامة بطبيعته الخاصة غير أنه تحاشى عن الكلمات الركيكة والعبارات المنحطة عن المستوى القياسي، وأتى بالاستعارات والتشبيهات البليغة ولا نجد فيها تعقيداً لفظياً أو

---

[282]. احمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري" ص. 248. انظر شاه: "لااله وغل" ص. 59 – 60

معنوياً. ومع أن أسلوبها تقليدي عموماً لكن رصانة اللفظ وسمو معانيها وإصالتها تجعلها رائعة مستساغة.

البـــاب الـــرابـــع

حمـلـة الشيـخ أنـور شـاه ضـد الأحمـديـة

- الأحمدية ومعتقداتها الأساسية.
- معارضة العلماء ضد الطائفة الجديدة.
- العناصر في حملة أنور شاه لمكافحة الفئة الأحمدية.

الأحمدية ومعتقداتها الأساسية

قد كانت جرت العادة من أول يوم، أيا من كان له وسع أو استهال ليكبر نفسه تجاه هذا العالم، فالبعض يدّعي في أزمان أصحاب النبي، وهو ابن صياد وهو لم يبلغ حلمه فترك النبي على حاله، والبعض يدّعي تالياً فتالياً نحو مسيلمة في زمن خلافة أبي بكر الصديق حتى يتقصر اليوم إلى هذا العصر المعاصر، وقد تم ادعاء النبوة أو الرسالة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي من قبل شخص كان ينتمي إلى بلاد الهند ونعرفه باسم "غلام أحمد القادياني" (1839 – 1908)[283] الذي ينتهي شعبه إلى مغول التتر، وكان سوى من أول أمره ما يدعيه ويفتريه آخراً، ولكنه تدرج وتلون في دعواه تلون الحرباء، وسلك في تمشية مرامه وتعمية كلامه طريق الزنادقة والباطنية، فادّعى أولاً: إنه مجدد ومثيل المسيح، ثم انتقل إلى أنه المهدي الموعود والمسيح المعهود[284]، ومن الجانب الآخر أوله: إنه نبي لغوي أو ظلي أو بروزي، على معاني أنه اخترعها، ثم تحول إلى أنه نبي غير تشريعي ورسول كذلك، ثم إلى أنه نبي تشريعي ورسول، ثم إنه لم تنته أمانيه التلبيسية إلى هذا الحد حتى صار رباً وإلهاً، ثم أصبح أباً لله،[285] كذلك باح به في أربعينه وتحدّى بالآيات، وجعل وحيه كالقرآن، كما في "نزول المسيح"، وتيقنت أني هو الله، ولما وُلِدَ له ولدٌ فقال: "كان الله نزل من السماء وادعى أنه مريم

---

[283]. Britanica Concise: "Featuring a concise edition of Encyclopedia Britanic, Marriam-webster's collegiate Dictionary and editorially selected website.

[284]. غلام احمد: "إزالة الأوهام"، ط. مكتبة القاديان، لاهور، ص. 58.

[285]. ميرزا بشير محمود: "حقيقة الوحي" ص. 108

وحوى طعنه وقال فيما يوحي إليه شيطانه يريدون أن يروا طمثك، وادعى أنه آدم وإبراهيم وموسى ونوح وإلى غير ذلك".[286]

وجعل يحاكي معجزات سائر الأنبياء ومعجزات خاتم الأنبياء أيضاً، فجعل مسجده "المسجد الأقصى" وجعل قريته "مكة المسيح"، وجعل "اللاهور" مدينته، وجعل لمسجده منارة سماها "منارة المسيح"، فجعل كل ما يتعلق بعيسى النبي عليه السلام على التأويل إلاّ المنارة، فإنها كانت تتهيأ ببذل المال، وقد جمعه من أتباعه. وجعل مقبرة سماها "مقبرة الجنة"، من دفن بها فهو من أهل الجنة، وسمى أزواجه "أمهات المؤمنين"، وأتباعه أمته، ومن أكبر ما ادعاه من معجزاته نكاح المسماة بـ "محمدي بيكم" من فوق السماء، وجعله وحياً أوحى به، واستمر على هذا الوضع نحو عشرين سنة فإنه أول ما شهره هو في سنة 1888م في اشتهاره، وقد وصل وقضى نحبه في سنة 1908م، فأصرّ عليه نحو ثلث عمره[287]، وقال فيه:

إن الله يرفع كل مانع من هذا النكاح وتدخل في نكاحه، وإنه تقدير مبرم، وأوحى إليه شيطانه فيه، كما ذكر في كتابه: : "أنجام أشهم".

كذبوا بآياتي وكانوا بها يستهزون فسيكفيكهم الله ويردها إليك أمر من لدنا إنا كنا فاعلين".[288]

وهكذا يتلقف كلمات القرآن، ويحكيها كما هي لنفسه له، وأشاع في كتابه "إزالة الأوهام" في ذلك: "الحق من ربك

---

[286]. غلام أحمد: "براهين أحمدية" جلد5، ط. ص. 91.

[287]. ميرزا بشير أحمد: "كلمة الفصل" ط. قاديان، ج4، ص. 131.

[288]. يعقوب علي : "حيات احمدج2" ص. 86.

فلا تكونن من الممترين"، وجعل كل ذلك وحياً سماوياً يقطع به كالقرآن. وجعل بناءه ذلك معيار صدقه وكذبه عند كافة الخليقة من المسلمين والنصارى واليهود، ودلاّه بكل مكر وحيلة، فلم يمارس الاّ الفضيحة على شأنه على رؤوس الأشهاد وعلى أعين الناس، فكان كذلك، وكان كل غرضه جمع الأموال ونيل اللذات والشهوات، وابقى داهية دهياء للإسلام والمسلمين، وكفر من لم يؤمن به كما في جريدة "الحكم" (24 تشرين الأول 1899م) وفي "حقيقة الوحي"، وفي مكتوبة المندرج في "الذكر الحكيم".[289]

وأهان عيسى بن مريم بما تنشق منه الأكباد، ولم يوجد نبي هجا نبياً، أو حطّ عليه، وقد وجد من العلماء بل من الأولياء من حط على مثله وكفره، ويعتل في ذلك بالزام النصارى، فقضى وطره من إبراز كفره المكنون بهذه العلة. والحال إنه يجعله عندما يسترسل في قعاقعه حقاً واقعاً.[290]

واستمرّ على ديدنه ذلك إلى أن قال في آخر سنة من حياته في جريدة "البدر": "إني رسول ونبي".[291]

وفي مكتوب له إلى جريدة "أخبار عام": "إني على حكم الله نبيّ". وكذا في "حقيقة الوحي"، إلى أن قد تم القبض عليه بعد ما أرسل مكتوبه الى مدير "أخبار عام" لخمسة أيام، أخذ عزيز مقتدر، واستقر في دار البوار، وكانت منيته موتاً يعتبر

---

[289]. غلام احمد: "إزالة الأوهام" ص. 157. وروحاني خزائن: ص. 180. (لم اطلع على تاريخ الطباعة).

[290]. ابو الحسن علي الندوي: "Qadianism a critical study", قد ترجم ظفر اسحاق انصاري، ط. الجمع العلمي للنشر والطباعة، لكناؤ، 1980، ص. 11 – 12 .

[291]. مجلة البدر: كانت تصدر من مكتب غلام احمد القادياني، في قاديان

به المعتبر، فقد كتب الى ذو وجاهة من "اجهرة" من مضافات لاهور عن آخر ذي وجاهة: أن القدر المحتوم رماه بمرض إيلاوس.[292]

[292] "رسالة اخبار عام: قاديان، عدد 8، 1920/9/16.

معارضة العلماء ضد الطائفة الجديدة

ومن اللازم إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية التي تأثرت من التعليمات والدعوات جاءت بالطائفة الجديدة واجهتها الأمة الإسلامية وابتليت بها الشريعة المحمدية لا تكاد تحصى غير أن الفئة التي أثيرت في الهند في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كانت من أبشعها صورة وأخطرها على كيان الإسلام وأنفذها في قمع شوكة الإسلام، وطمس وجهه المشرق وتشويه معالمه وتغيير ملامحه، وهي فتنة عرفت بـ "القاديانية" بل أفضل أن نسمي "بالأحمدية"، وهي ليست كالفتن العادية بل إنها تمتاز من بينها، بكونها خروجاً على العقيدة الإسلامية وثورة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إنها فتنة تبغي القضاء على الدين باسم الدين[293].

قد ظهرت هذه الطائفة في الهند حينما كانت نار الحرب تلهب بربوعها بين الإسلام والمسيحية وبين المشرق والمغرب، وكان الصراع شديداً بين الدعاة المسلمين والداعين المسيحيين، وذلك بعدما احتل الإنغليز الهند وقامت دولة استعمارية على إنقاص الحكومة المغولية الإسلامية[294].

وأخذ المستعمرون يبذلون أقصى جهودهم لدعم كل حركة معادية للإسلام تعمل للقضاء على الدين واضعاف قوة المسلمين وابعادهم عن الدين. فانتهز غلام أحمد القادياني

---

293. Britanica Concise: "Featuring a concise edition of Encyclopedia Britanic, Marriam-webster's collegiate, dictionary and editorially selected website.

294. The Encyclopedia of Religion: vol. 1, Chief editor-Mircen Eliade, Mcmilan publishing Co., New York-1987, p. 154

الفرصة للحصول على ولاء الإنغليز وأخذ يعمل كعميل للحكومة الاستعمارية[295].

قام أولاً كداع إلى الإسلام، لكنه سرعان ما كشف اللثام عن وجهه، وبدأ يدّعي ادعاءات لا تتطابق مع الإسلام في شيء. فأنكر عقيدة "ختم النبوة" وادعى أنه المسيح الموعود وأثبت لنفسه النبوة والوحي، وأنكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وأبطل الجهاد، وامتدت الفتنة وظهرت القاديانية كحركة معادية للدين تبغي القضاء على الإسلام، والحكومة البريطانية كانت تقدم إليها كل نوع من الدعم والمساندة.[296]

واستفحل الأمر وتفاقم الشر وباضت الحركة وفرخت، ورغم كون غلام أحمد مصاباً بنوع من الجنون ورغم كل ما صدر من دعاوى وضحكة، ومبكية، متهافتة، ومتضادة وقع في شبكته كثير من الأغرار وكانت حركته تمتد إلى سائر أقطار شبه القارة الهندية. وقد شعر علماء الهند البواسل خطر هذه الفتنة العمياء فقاموا بصيانة العقيدة التي هي ركيزة أساسية لكل أمة تريد لها البقاء لا بد من الاحتفاظ بها من غوائل الدهر ومكائد الحاقدين عليها.

وكان في طليعة من قام بمقاومة "القاديانية" ودحض أباطيلها معظم علماء البارزين من جميع نواح من أهل السنة والجماعة وبخاصة علماء الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند ومشايخها، لعبوا دوراً هاماً بالغا وعارضوا معارضة شديدة في

---

[295]. محمد طاهر رزاق: "قاديانيت شكن"، ص. 18. مجلة : "محدث عصر" تصدر عن معهد الأنور، ديوبند، (بالأردية) وهي مجلة شهرية، عدد 4، سبتمبر 2002، ص. 39.

[296]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. 119. محمد الياس برني: "قادياني مذهب كا علمي محاسبه"، ص. 309

هذا المجال واستخدموا لردّ تياراتها الجازمة المنابر والمنصّات ومجالس المباهلات الشعبية وأجهزة النشر والإعلام، فتتابعت النشرات وأقيمت المناظرات، وألقيت الخطب في سائر أقطار "الهند" و "باكستان" و "بنغلاديش (أي شبه القارة الهندية).[297]

والذي قام بأكبر مساهمته في هذا المضمار هو الشيخ أنور شاه الكشميري الذي كان إلى جانب تضلعه من العلوم الإسلامية وتدفقه بالمعارف المتنوعة، يضطرم غيظاً على كل ما يمسّ كرامة الشريعة الإسلامية، وكان شديد الغيرة على عقيدة ختم النبوة بصفة خاصة، فقام الشيخ أنور واستنهض الهمم وأيقظ الرقود، وأعدّ أفواجاً من أصحابه الغيوريين الفعاليين نحو الشيخ مرتضى الـ شاندبوري، المفتي محمد شفيع العثماني، محمد أنور لانلبوري، الشيخ بدر عالم الميرتهي، الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، الشيخ ثناء الله الأمرتسري وأمثالهم الذين قاوموا فتنة "القاديانية" وطاردوها مطاردة مريرة في جميع أنحاء الهند، حتى أخمدوا نارها وردّوا كيد الأعداء إلى نحورهم[298].

وقد ألف الشيخ أنور شاه كتبا عديدة هامة نافعة، مع ما يعرف عنه من عدم انقطاعه للتأليف إلاّ بدافع من الضرورة من أهمها "إكفار الملحدين في تأويل شيء من ضروريات الدين"، مؤلف في 128 صفحة، ويقول الشيخ في هذا الكتاب:

---

[297]. مجلة : "الداعي" عدد خاص، ص. 49. رضوان الله: "سيرت انور"، ط جامعة عليكراه الاسلامية 1978م. ص 146

[298]. انظر شاه : "نقش دوام" ص. 184 – 185. نفحة العنبر: ص. 107

"فهذه رسالة في واقعة فتوى قصدت بها النصح والذكرى لمن كان قلب أو ألقى السمع والحكم وهو شهيد، سميتها : [اكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين]، أخذاً للاسم والحكم من قوله تعالى : إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا، أ فمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة، اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير".[299]

وقال في ختمها:

"فكان موضوع الرسالة ما ذكرنا، لكن في أثناء التأليف أبخر البحث عند الكلام في مسألة التأجيل إلى نقولٍ آخر، والشيء بالشيء يذكر، فانضم وإليها أطراف وذيول لعلها تفيد الطالبين، فليس من الدين أن يكفر مسلماً، ولا أن يغمض عن كافر، والناس في هذه المسألة في هذا العصر على طرفي نقيض، ولقد صدق من قال: إن الجاهل إمّا مفرط أو مفرّط. وهذا آخر الرسالة وختام المقالة، وما أريد بها إلا دعوة صالحة من طلبة العلم بحسن العاقبة وخير الخاتمة ـ إلى أن قال: وقد وقع

---

[299]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. 116

الفراغ من جمع هذه الرسالة في أسابيع".[300]

كما و أن الشيخ أنور شاه ألف كتباً نادرة على هذا الموضوع نحوها "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" و "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام" و "خاتم النبيين" بالفارسية.

تمتاز هذه الكتب بغزارة المادة ورصانة الأسلوب وكلها بالعربية سوى "خاتم النبيين" مرّ ذكره، فانه قد ألفه لإنقاذ مسلمي كشمير خاصة ومسلمي الهنود عامة من شبكة القاديانيين باللغة المحلية (الفارسية).

كما وصنف الشيخ محمد شفيع، ويوسف البنوري والشيخ بدر عالم الميرتهي والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ ثناء الله الأمرتسري كتباً ماثلة بكلتي اللغتين العربية والأردية، وفي تعليق الشيخ عبد الفتاح ابو غدة على "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، فإنه بأسماء بعض الكتب التي ألفت في هذا الموضوع في الهند وباكستان. وهؤلاء الكتّاب البارزون قد كتبوا كثيراً متأثراً بتعليمات الشيخ أنور شاه ومنهجه المعلوم الذي لقّن الشيخ على تلامذته وأتباعه وهم الأسماء المذكورة أعلاه.

ولعب العلماء الآخرون بهذا الصدد دوراً بارزاً بكتابتهم ومقالاتهم، مثل الشيخ أشرف علي التهانوي وكذلك الشيخ شبير أحمد العثماني لم يألا جهداً في دحض هؤلاء الأباطيل، كما

---

[300]. أنور شاه كشميري: "اكفار الملحدين في ضروريات الدين" ص. 17. انظر شاه: لاله وغل: ص. 60 - 61

والشيخ مرتضى حسن الـ شاندفوري بذل مجهوداته في مقاومة تلك الفتنة الضالة، وهؤلاء كلهم من مشيخة الجامعة وعلمائها الأفذاذ.

وحينما أصدرت الحكومة الباكستانية قراراً تاريخياً حاسماً في مجلس الأمة بكون "القاديانية" مارقة عن الدين غير مسلمة بتوجيه من جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز كان في داخل باكستان، الشيخ محمد يوسف البنوري "رئيس مجلس ختم النبوة" والشيخ محمد شفيع في طليعة العلماء الذين طالبوا من الحكومة باتخاذ هذا القرار الذي لقي ترحيباً حاراً في جميع أنحاء العالم ا لإسلامي.

ومع كل ما بذل هؤلاء العلماء من الجهود الجبارة لمطاردة "القاديانية" أو "الأحمدية" لا ينبغي لنا أن تتناسى أن تلك النحلة الضالة قد وجدت باكستان أرضاً خصبة لمواصلة نشاطها كما بدأت تزحف إلى دول إفريقيا والبلاد الأخرى النائية، وهي تمارس ألواناً من النشاطات في عديد من الدول للقضاء على الإسلام، ولها وشائج وثيقة مع إسرائيل والصهاينة وكانت ترتيبها حكومة الاستعمار البريطاني قبل تقسيم الهند، وأخذت تتسلل اليوم هذه الحركة الهدامة إلى الدول الإسلامية[301]، وهذه الممارسات من الأعداء تطالب منا بأن تقوم بالجهاد المتواصل والكفاح المستميت لأجل صيانة العقيدة وإنقاذ الأمة المسلمة الهندية بل أمم شبه القارة من شبكة دقيقة النسج.[302]

---

[301]. The Encyclopedia of Religion: vol. 1, Chief editor-Mircen Eliade, Mcmilan publishing Co., New York-1987, p. 154

[302]. مجلة: "الداعي" عدد 8، ص. 40 – 14.

العناصر في حملة الشيخ أنور شاه لمكافحة الفئة الأحمدية

ما من قرن من القرون الجالية في الأمة الإسلامية إلاّ وقد ألمت خطوب كارثة أزعجت المسلمين كافة، وكانت المصالح الكونية والأسرار الربانية داعية لها ليميز الله الخبيث من الطيب ولنجلي على العالم سر بلاء المحسنين، فكانت تقوم لحسمها أو استيصالها عصابة الحق والهدى، لا يزعجها شيء كأنها بنيان مرصوص، وهكذا تكون الحرب سجالاً برمة، ثم يكون الغلبة الباهرة للحق، أما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، فكلما بدت فتنة عمياء في الدين قام لدمغها وقطع عروقها علماء وعرفاء وربانيون وفقهاء وأمراء وحكماء، شهر سلاطين الأمة صوارمهم وسلّ أساطين الملة ألسنتهم وأقلامهم، فأوصلوها إلى منتهى نحورهم، فاعتبر بالفرق الباطلة المعادية للدين، كيف اجتاحها الله عن ظهر البسيطة؟ وكيف استأصل شأفتهم؟ أين الاسماعيلية الباطنية والقرامطة؟ أين الأخشونية والمزكية، ثم وثم إلى المهدوية، ثم البابية والبهائية وقرة العينية وغيرها. فهل يوجد هنا أيّا من باقية؟[303] كلاّ! أصبحت كلها باندة فانية، فهذه أيام ظهرت فيها أشراط الساعة، وافترق المسلمون أنفسهم فرقاً وأحزاباً واستهوتهم الأماني. وفوق ذلك الطامة الكبرى والداهية العظمى إن حرمت الأمة بالهند عن شوكة السلطنة الإسلامية وظلت الحكومة الإلهية حتى أقفلت عليهم

---

[303]. انور شاه كشميري: "عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه" ط. المجلس العلمي دابهيل، 1413هـ ص. 15.

الأبواب وشدّوا بالسلال الوثيقة المحصدة ضغث على إبالة فبدت في هذه الأيام فتنة كبرى تدعى "الدبار بلاقع"، وهي الفتنة الكارثة التي تسمى بـ "الأحمدية" أو "القاديانية" تعزى إلى زعيمها الميرزا غلام أحمد القادياني[304]، لم يغادر شيئاً من شعائر الإسلام إلاّ أزعجه و أبطله، ونحن نبدأ الذكر هنا العناصر ضد هذه الطائفة الحديثة.

فتم عليه قوله تعالى [ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ولو تر إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم، أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم من آياته تستكبرون]. فيقول الشيخ أنور شاه في أوائل رسالة "إكفار الملحدين". ثم جاء ملحد وحرّف تلك النصوص كما فعلته الزنادقة، وقال بأن الله سماه: "ابن مريم"، وأن المراد باليهود "علماء الإسلام" الذين لا يؤمنون بذلك الزعيم غلام أحمد القادياني، لأنهم جمدوا على الظاهرية وحرموا الروحانية، ولم يدر الملحد إن الزنادقة الذين مضوا وبادوا كانوا أبلغ منه في تلك الروحانية إن كانت تلك الزندقة روحانية، وهذا أستاذ، وأبوه الروحاني "الباب" ثم "البهاء" وقرة العين هلكوا عن قريب وادعوا ما ادعى، و أتباعهم الأشقياء أكثر من أتباعه، فأين له بهاء كالبهاء؟ وأين له ثبات في الحروب ومكافحة بالصدر لبنادق الرصاص وأخباره

---

[304]. انور شاه كشميري: "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" ط. مكتبة مدينة ديوبند، 1977، ص. 24.

بالنجاة منها، ثم وقوع الأمر كذلك؟ وأين له منطق كمنطق قرة العين؟.[305]

وإنما بضاعته تلقف كلمات من الصوفية، كالتجلي والبروز وتحريف مرادهم وسرقة القباء واتخاذه قميصاً، واتباع الفلسفة الجديدة وما فتنته أهل أوروبا وجعله وحياً يوحي إليه شيطانه، وقد مهد له ذلك قبله أمثاله، منهم الحكيم محمد حسن الأمروهي صاحب "غاية البرهان في تأويل القرآن"، على أنهم كانوا أحسن حالاً منه، فانهم لم ينبثوا، فإذا كان الأمر هكذا أكفرنا بالاجماع[306] كما يعجبنا قول المتنبي:

لقد ضلّ قوم بأصنامهم　　　وأما بـزق ريـاح فـلا

هذا ما ذكره أنور شاه الكشميري طرفاً من أحوال هذه الداهية الكبرى. وقال الشيخ في كتابه "عقيدة الإسلام": فقام ذلك الملحد، فوقع في شأن ذلك النبي الجليل بما تقشعرّ منه الجلود وتنشق الأكباد، وقد سرد بعض ما نفوه به ونطق وتمطق في عرضه عليه السلام في رسالتنا "إكفار الملحدين في شيء من ضروريا الدين"، وقد باع إيمانه بالدنيا حتى لم يوفقه الله على دعوى العيسوية لحفظ شيء من القرآن وأطفال المسلمين يحفظونه، ولم يوفق للحج وأوساط المسلمين يفوزون به، وهو لا يستحق أن يكون رجلاً شريفاً، فكيف يكون مؤمناً؟ فكيف أن يكون المهدي المسعود؟ فكيف أن يكون عيسى الموعود؟ نعم

---

[305]. ازهر شاه قيصر: "حيات أنور" ص. 235

[306]. أنور شاه كشميري: "اكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين" ط. المجلس العلمي دابهيل، 1414هـ ص. 38.

مجلة "محدث عصر" تصدر عن (مهد الأنور ديوبند) عدد 10، مايو 2004، كتبه نسيم أختر شاه قيصر، تحت عنوان "حضرت امام العصر اور ترديد قاديانيت" ص 27.

يستحق أن يكون أتان الدجال ركبها، أو كسجاح اليمامة نكحها أبو ثمامة.[307]

كانت هذه الطائفة في بدء نشأتها، ثم التهبت جرأتها إلى الأقطار والأكناف حتى بلغ السيل الزبى، وبلغ الدماء النتن، "بال حمار فاستبال احمرة". وكانت هنا دسانس أخرى تنمو بها عروق هذه الفتنة، وكان دهاء ومكرا عظيماً لهدم أساس الإسلام، وأحبولة لإزاغة غفلة المسلمين، وتدلسا واختلالاً في "الملة المحمدية". ثم بالت بينهم الثعالب، وفسى بينهم الظربان، وفافترقت أذنابه بعد موته فرقتين، واختلط الحابل بالنابل، فرقة تتمسك بأصل دعواه، ويزعمون أنه نبي، ويعلنون بنبوته على أعين الناس، ويسمون أنفسبهم بـ "الأحمدية"، وهذه الطائفة جمهور الميرزانية والقاديانية، وزعيمها: محمود ابن غلام أحمد. وفرقة يظهرون أنه كان مجدداً مصلحاً ومسيحاً موعوداً، يخدعون بذلك أغراء المسلمين والأغمار الغافلين، ويتأولون في صرائح دعاوية وعباراته تلبيساً وتدليساً على المؤمنين، تدعي اليوم بـ "اللاهورية" وزعيمها محمد علي اللاهوري، وهؤلاء كلهم أشد مكراً و أقوى كيداً لاصطياد البلة والغفلة، وأعظم فتنة وأكب ضرراً على الإسلام والمسلمين، خذلهم الله وأخزاهم كلهم أجمعين على رؤوس الأشهاد وأعين الناظرين في الدنيا والدين. ثم مع هذا الإفتراق إنهم اتفقوا في كثير من أصول مذهبهم، ودانوا بما تفوه به اللعين المتنبي فقد أطبقوا على أن عيسى لم يخلق من غير أب، بل يوسف النجار أبوه، وإنه لم يصدر منه معجزة، وإنما صدر منه شعبدات وطلسمات، وسلموا ما تفوه

---

[307]. محمد الياس برني: "قاديانی مذهب كا علمی محاسبه" (الأردية) ص. 315

غلام أحمد بشدقية في عيسى النبي، وأمه الطاهرة المطهرة البتول، واتفقوا على أن الميرزا غلام أحمد أفضل من جميع الأنبياء والرسل وان الله قد خصّه بمعجزات وبينات، لم تبلغ إليها معجزات خاتم الأنبياء محمد رسول الله لا كمّاً ولا كيفاً، وما عدا من الكفريات الصريحة والالحاد البين والزندقة الجلية يكررون في كل جعجعة لهم، حتى أصبحوا فيه أشغل من ذات النحيين.[308]

فانتهض الشيخ أنور شاه الكشميري لدمع مزخرفاتهم وصلم عروقهم، وكانت لطيفة إلهية، وأخذته الحمية الدينية، وأغرته الغيرة الإسلامية، فسرى البعض مع هذه الفئة المتطرفة دينية والثلة الطاغية في الله. وقد شاهدنا مثالاً حياً ناطقاً للحب في الله والبغض في الله، فشمر عن ساعد العمة وساق الجد لمكافحة هؤلاء المردّة، فحذر وبلغ وأرشد الأمة إلى الحق الصريح ونبأهم على ذلك كفر البواح، وصنف في هذا الباب رسائل عديدة وجيزة وبسيطة، أيقظ فيها العلماء والفضلاء عن رقدات الغفلة، وحضضهم لمقاومة هذه الفتنة بكل ما أمكن تبليغاً وتصنيفاً، وأعلن أصحابه وتلامذته بذخائر العلم للتصنيف والتأليف وإشاعة للناس، تحذيراً لهم عن مكائد هؤلاء المارقين، حتى بلغ نداءه بأرجاء الهند القصوى، ونبّه قاطنيه من ساحل البحر إلى شواهق كشمير حتى بلاد الأفغان، بل جميع ما ارتج اليوم في العالم الإسلامي من العراق، والشام، ومصر والحجاز من التشنيع على هذه الطائفة الميرزائية، كل ذلك ببركة مساعيه الجميلة التي ألزمت على إساءة الملة وهداة الأمة أن يقدروها ويمكنوها في حنايا الصدور وحبات القلوب، وهذا الذي ترى

---

[308]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. 200, انظر شاه : "نقش دوام"، ص 184.

اليوم في أقطار الهند من تأسيس لجنات وانعقاد اجتماعات حافلة، وإجراء الجرائد والمجلات لحسم عروق هذه الفتنة المتأصلة، لا سيما مساعي "جميعة الأحرار" ورئيس شعبة تبليغ هذه الجمعية الشيخ عطاء الله شاه البخاري، كل ذلك من مآثره السنية الباقية على صفحات الدهر، وسنته الحسنة السائرة بين المسلمين، فأباد الله بسعيه الحثيث وجهده المثمر حصحص الحق وزال الرين وانكشف الغين وبين الصبح لذي عينين من العالم والخاصي والعامي، وأصبح كفر هؤلاء المارقين من الدين أبين من فرق الصديع، بحيث لم يبق مجال للمرتاب ولا مساغ للمتأول، إذ قد عمّ نداؤه البلاد وانتبه الرقاد، فخدم الملة، وذب عن حريم العقيدة الإسلامية، ودافع عن حوزتها، وهكذا سنة الله خلت في عباده على حمر الدهور وتعاقب الأدوار، يضرب الحق على الباطل أينما سار ودار، استولت على الديار الهندية سلطة الروافض، فقام رجل عصامي بارز وحامل الطريقة الشيخ ولي الله الدهلوي وابنه الحجة المتقن الشاه عبد العزيز.[309]

ثم لما اضطرمت نيران البدع والحوادث، وهبت في أكناف الهند رياحها المنتنة أقام الله لاطفاء لهيبها وحزامها الشيخ الشاه إسماعيل الشهيد الدهلوي ثم لما هبت عواصف الإلحاد وأخذت الملاحدة في الإيرادات على عقائد الملة المحمدية، ونشأ شخص من فئة الهندوسيين، التي تدعى بـ "آرية سماج" يرمي حريم العقائد الإسلامية بباله ونصاله، أقام لكفاحه ومكامعته الشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوي.

---

[309]. مجلة "الداعي" عدد 8، 2002 ص. محمد رضوان الله: "سيرت انور" ص. 204.

وهكذا لما حدثت هذه الفتنة الميرزائية القاديانية، وماجت في أرجاء الهند، بل سرى هذا الداء العقام خارج الهند قام الشيخ الشاه محمد أنور الكشميري.[310]

لا شك أنه قد شعر بعض النفوس الزكية بنشاطات هذه الطائفة إبّان حدوثها، ولكن لم يهمله الأجل لمكامعتها، ولكن حسب أنها في زقزقة ستبيد عن قريب، ما عسى أن يبلغ عض النمل، وظن بعضهم أن ترك ما لا يصلح أصلح، وأخذ بعض في مقاومتها فلم يضر مزية، ولكن هذه السعادة الأزلية كانت مقدرة مقضية للشيخ أنورشاه الكشميري، فتفرس الشيخ أنور في بدنها بفراسته وبصيرته أن هذه الفتنة من أدهى الملمات على الدين، وأعظم المصائب، وما هي إلاّ فالية الأفاعي والعقارب، فلو بلغ السكين العظم وتفاقم الشر والفساد ولم تسد أبوابها ولم تنتهض لمقاومتها لسلت هذه الفتنة روح الإسلام من قلوب المؤمنين، ولغادرتهم خشباً مسندة بلا إيمان، ولكان السعي عند ذلك كدابغة، وقد حلم الأديم. فهكذا أزعجت الشيخ وأطارت رقاده، وأزالت راحته فقام مستنفذاً وسعه وجهده البالغ في قطع عروقها، فأخذ الأمر بقوابله بالاستعجال، وبعث أهل عصرنا على المقاومة، ونفخ فيهم روح المكافحة والنضال، وحذرهم عن مكائدها، ونبأهم على شبكاتها المنغرزة على وجه البسيطة. فهذا الذي ترى اليوم من مساعي أصحاب الجرائد الهندية واللجنات التي أسست على الدفاع عن حوزة الملة الإسلامية. وكشف عوار هذه الطائفة، وصدع مضارها الدينية والسياسية على المسلمين، كل

---

[310]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر" ص 201 – 203، انظر شاه كشميري "نقش دوام" ص 182. أبو الحسن علي الندوي: "Qadyanism a critical Study" (Islamic Research publications, Lucknow,) ص 25 - 26

ذلك من مآثره الجليلة. فنهضته السامية انفجرت عيونهم المنغمضة وانفتحت أبوابهم المنغلقة. فهذه مزية كبرى أكبر من سائر مزايا الشيخ أنور شاه الكشميري. وتفوق سائر مآثر السامية، فلو لم يكن للشيخ حسنة غير هذه الحسنة العظيمة لكفاه شرفا وفضلاً على أنه كان رباني هذه الأمة بعهده، فهذه منقبة زهراء من بين سائر مآثره الخالدة، يبقى آثارها الجميلة في قلوب أهل الحق، وتلألأ لامعة على صفحات التاريخ الإسلامي على انقراض الدهور وانقضاء العصور. فالشيخ أنور شاه درّة يتيمة لامعة من فوائد العقد الذي انتظمت فيه أولئك الذين ذكرتهم من أفراد علماء الهند.[311]

رفع دعوى محكمة بهاولفور العالية في قضية تكفير المجموعة القاديانية

قبل أن نغوص في قضية تكفير هذه الطائفة، علينا أن نفهم خلفية الدعوى التي تقدمت به أسرتان منتميتان إلى باكستان في المحكمة العالية والعلياء ـ بهاولفور، في ثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي. حيث شخصان الهي بخش وعبد الرزاق يزعمان الأقرباء فيما بينهما.

السيد الهي بخش، زوّج ابنتها مع عبد الرزاق في صغر سنّها، في أثناء ذلك اختار عبد الرزاق القاديانية و آمن على كل من البيانات و الاستيضاحات نطق ميرزا غلام احمد القادياني، وامتثل وقبل أن ميرزا غلام أحمد أنه كما هو يدّعي، على الرغم

---

[311]. أحمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري" ص 204. البنوري : "نفحة العنبر" ص 203- 204

من عبد الرزاق لا ينحرف من جميع الإعتقادات السابقة الإسلامية. فعندما بلغت الحلم غلام عائشة ابنة الهي بخش، استدعى عبد الرزاق السيد إلهي بخش أن يخلّص إجراءات الزواج التي كانت تبقى من زمان. ففكّر ودبّر إلهي بخش وأقربانه حول هذه القضية وإجراءات الزواج، أم عبد الرزاق باق على الإسلام بعد ما هو اختار القاديانية وأيقن على كل الدعوات والاستيضاحات جاءت من قبل ميرزا غلا أحمد القادياني وأعضاء مجلسه أو لا؟. فقام بعض علماء هذا البلد وساكنيه بعلاج هذه المسألة وظنوا أن عبد الرزاق أصبح كافراً وخرج عن الإسلام، فلا جواز فيه أن تُسلّم غلام عائشة عبد الرزاق.

فجرت بين إلهي بخش وعبد الرزاق النزاعات والمتشاجرات. في غضون ذلك، السيدة غلام عائشة بنفسها رفعت الدعوى في المحكمة العالية في **1926/7/24**م، واستدعت فسخِ نكاحها مع عبد الرزاق مهما إنه ارتدّ عن مذهبه الإسلام، وفسخَ النكاحُ. وطلبت غلام عائشة الحكم في حقها، وإنه بسبب اختيار عبد الرزاق الميرزائية وارتداده عن الإسلام، لم تزل غلام عائشة مسموحاً له ولم يظل النكاح باقياً فيما بينهما (بين غلام عائشة وعبد الرزاق).

ولكن عبد الرزاق أصرّ على أنه لم يتغير دينه ولم يخرج من حرم الايمان والإسلام، حتى تشاجر وأجرى المناقشة إن الأحمدية ليس ديناً آخر إلاّ هو الإسلام، ولم يرتدّ أحد لو يتبع على تعليمات ميرزا غلام أحمد القادياني.

وطال الأمر إلى المجادلة بين الفريقين أي بين اهل السنة والجماعة والطائفة القاديانية، وعلى صعيد آخر، لا يزال الأمر

يجري في المحكمة العلياء، وفي ضوء هذه المجادلة تأخرت المحكمة حكمها حتى يأتي اليقين فيما بين الفريقين، وكانت الدولة والعالم ينتظران المعالجة المثبتة والنتيجة الإيجابية في حقَ أيَ من الفريقين على هذه القضية.

فأقيمت المناقشة والمجادلة على هذا الموضوع، فمن قبل المدّعية السيدة غلام عائشة عيّن الناقش والمناظر الشيخ أنور شاه الكشميري والشيخ مفتي محمد شفيع والشيخ غلام محمد غوتوي والشيخ مرتضى حسن تشاندفوري، بل إنهم حضروا في المحكمة العلياء وناقش الدعوى في ضوء القرآن والسنة والإجماع أمام محاكم البارزين الرسميين. وقدّموا براهينهم واستدلالاتهم، وأثبتوا بأن الطائفة الأحمدية هي مردودة وكافرة ومتبعيها خارجين عن الإسلام، ومن جهة أخرى، ناقش من قبل الأحمدية الميرزا غلام أحمد بنفسه والشيخ جلال الدين شمس وآخرون. وراحت المناقشة من جانب المناقشين الأخيرين أساسة على الكذب والافتراء ولم تكن مناقشتهما أساسة على التعليمات المتوفرة من القرآن والسنة إلا العبث والتحكم.

وما برحت المناقشة برهة فسحب، بل جرت عدة سنوات، وسنحت المحكمة الفريقين حرّة كاملة أن يقدما مواقفهما بشكل كامل وصورة تامة. فمهما فرغ الفريقان من تقديم موقفهما على الدعوى المقدم في المحكمة، وغارت المحكمة وغاصت بكل فكر ونظر غامق في القضية وتحققت على كل جزء من أجزاء الاستدلالات والبراهين من كلا الجانبين، صدرت المحكمة حكما تاريخياً، ووافقت على دعوى المدعيَة السيدة غلام عائشة على المدّعى عليه عبد الرزاق في 1935/2/7م، بأن غلام عائشة قد

خرجت من نكاح عبد الرزاق وقد فسخ النكاح بعد أن عُلم أنّ عبد الرزاق قد اختار القاديانية، وثبت أن الفرقة الأحمدية هي كافرة وخارجة عن الإسلام[312].

والآن نحن نلقي نظراً خاطفاً على جرح بطل هذا البحث الشيخ أنور شاه الكشميري على هذه القضية حيث أنه حضر بنفسه في المحكمة أمام المحاكم وناقش مناقشة هامة ذي براعة.

تصريح تعديل أنور شاه بدعم المدعية في دعوى محكمة بهاولفور ضد استدلالات الطائفة الأحمدية

لا شك أن الشيخ أنور شاه قد أحس بعض أصحاب الشعور بظهور هذه الفتنة إثر بروزها، فيبدأ الشيخ تصريحاته قائلاً في هذا الدعوى مشيراً إلى حديث صحيح للامام مسلم: من علم كلمتي ولم يصدّق ما جئتُ به فهو ليس بمسلم، شرّح النبي عليه السلام ما استفسر جبريل منه عن الإيمان، والإيمان بالله والملائكة والكتب السماوية والرسل واليوم الآخر وعلى الخير والشر فهما من الله، فهؤلاء أجزاء الإيمان، وصدّق جبريل على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وما يصرح القرآن بأنه من الإيمان فهو من الإيمان ومن ينكره فهو خارج من الإسلام.

ويقول إن بناء الإسلام على خمس، والحديث متواتر، ومن ينكر تواتر الحديث يخرج من الإسلام. وما قام العلماء بتدوين أقسام التواتر بأنفسهم، بل أخذوه من القرآن والسنة وهي

---

312. مقدمه مرزانيه بهاولفور 1935، وجرى الدعوى في المحكمة مدى تسع سنين منذ 1926، ص. 13 - 15

أصبحت اصطلاحات العلماء حتى يستخدم ميرزا غلام أحمد هذه الأقسام في كتبه إياها. غير أن التواتر المعنوي في جزء من قدر مشترك، وإيجابه أو ثبوته واضح، فمنكره كافر وإن كان خفياً فالإيمان المحض به لازم وضروري.

ولا يكون كافراً من لم يسلم إن خبر الواحد حجة بل هو مبتدع، ولكن إجماع صحابة الرسول قطعي ومن ينكره يصير كافراً، والإكفار أو الإعراض عما بعد إجماعهم، فهو مبتدع أو فاسق.

وإن نقوم بالقياس على نزول المسيح عليه السلام فإنه علامة القيامة ومسألة نزول المسيح ليست هي إجماعا فحسب، بل تتواتر النصوص والأحاديث عليها. يعني لو يوجد تواتراً في مسألة فاعتقذها عقيدة إيمانية لاتجرحوا ولاتناقشوا عليها.

وكذلك تسليم الخليفة كخليفة لا يحدّد بأنه جزء من أجزاء الإيمان بل من واجباته فهي ليست بقطعية. ولكن إجماع الصحابة على أية مسألة، فمن ينكره يكون كافراً. ومسألة تعدد الخليفة والوحدة في البداية ظلت مختلفاً فيها. ولو يكون الإجماع على بعض مسألة أو على عملية، فان اتفق الإجماع على مسألة فحكمه يبقى ما هو حكم إجماع الصحابة.

مثل؛ الرافضون ينكرون خلافة الخلفاء الثلاثة بناء على أنهم لا يستحقون بها، فهم كافرون، إلاّ أن الصحابة لو يضع أيديهم على سوى يد أبي بكر الصديق لا يخلفون أي جزو إيماني، فحياة مسيح مسألة إجماعية فيما بين الصحابة، كما وتتواتر الأحاديث ولم ينكرها إلاّ الملحدون، ولكن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير بأنه قد تم رفعه

جسمياً وهو حيّ، ويختلف في أنه مات قبل الرفع أم نام؟، ولكن تمت الموافقة على أن عيسى حيّ على السماء، فعندنا حياته ونزوله شيء واحد، أما محور بحثي وهو الإجماع والتواتر كما صرّح الشيخ أنور شاه الكشميري في استيضاحاته في المحكمة أمام المحاكم البارعين.

الإنكار عن ضروريات الدين يعني ترك العقيدة الأساسية كفر، والإعراض عن العمل ليس بكفر بل ذلك فسق وإثم. كذلك الشخص الذي ترك الحكم الشرعي بناء على دستور الدولة أو المملكة مع ذلك هو يقدر أن يمتثل به فالحكم يجري عليه بأنه يخرج عن الإسلام. وإن ينكر العقيدة وينطق، إن هذه الشريعة غير صحيحة أو يقول إن العقيدة هي صحيحة والمسألة ثابتة ولا يستطيع العمل عليه من سوء حظه فهو داخل في الإيمان لا مفر من أن يكون عاصياً وآثماً.

فمن ذا الذي يدّعي النبوة ويدعو الناس إلى هذه الدعوة والدعاية فجزاءه القتل. وصاحب الشريعة يستضيح بعض الأشياء، طبقاً لدستور المملكة أو الجمهورية فهو شريعة وما يتلفظ من فيه فهو أيضاً شريعة، أو هو يسكت على شيء وذلك يصدر أمامه فهو شريعة بلا شك.

كان ادّعى ابن صيّاد أمام النبي عليه السلام فلم يُقتل لأنه لم يبلغ أشدّه في وقت ذاته كما صُرّح في صحيح البخاري.

ثم تمت الدعوة النبوية في زمن خلافة أبي بكر الصديق من جانب مسيلمة فحارب الصديق وحواريه وقاتلوا حتى قتلوه.

لا ينبغي لبشر أن يكلم الله معه إلا بطريق الوحي أو من خلف الحجاب أو بعد أن يرسل إليه قاصداً ويرسل الرسالة عن

طريق القاصد، فالوحي يكون قطعياً. (*ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً ومن وراء حجاب* (القرآن). والذي يدّعي أنه يحصل الوحي بعد أن انتهت النبوة فهو كافر. أما الوحي الذي نزل على أمّ موسى ومريم (وذُكر هذا الوحي في القرآن) فيطلق عليه أن هذا الوحي هو ظني لأنهما لم تكونا رسولتان أو نبيتان، فالمراد بالوحي الوحي الظني.

وقد صرّح الشيخ أنور شاه الكشميري إن إهانة الأنبياء والسبّ له من التعريضات وكذلك اللزوم ويخرج الشخص من العقيدة الأساسية بلا جدل.

ويقول: إنني لم أجعل التعريض أساساً لارتداد ميرزا غلام أحمد القادياني من الإسلام بل الهجوء الذي استند به من كلام الله سبحانه وتعالى (اسمه أحمد) وعدّه تفسير القرآن، والهجوء الذي حققه وثبته من جانبه، فأنا أؤكد وأحدّد وأوثق بأنه مردود ومرتدّ من الإسلام وهذا هو الارتداد جعل سبباً لخروجه من الإسلام[313].

وللشيخ أنور شاه قصائد رائقة تتعلق بهذه الفئة الضالة ونرى أن نذكر شيئاً منها ليظهر ما في صدر الشيخ من الغضب في الله مع هذه الطائفة المردودة والاضطراب من هذه الملة، وليكون أسوة لمن بعده في نصرة الحق وارشاد الخلق. فيقول:

بالقاديانى ذلك الآخر الذي
أسى زعيم الكفر والالحاد
وأبان عن كفر ينوء بعصبة
ويبوء بالأغلال والأصفاد

[313]. نفس المصدر: ص. 439 – 445.

رزء على دين النبـي يهده

آخر فهل من راشد في النادي

والله يهـدي من يشاء لدينـه

ولمـن يضـل فما لـه من هاد[314]

في هذه الأبيات قد أعرب الشيخ أنور شاه عن نافوخه بشأن الطائفة الميرزانية ويحاول الإصلاح لطالبي الحق المبين ومحبي ومصدقي ختم النبوة بأن النبي هو النبي الخاتم ولا نبي بعده، وهذه الدعوة الميرزانية باطلة من جميع نواحيه، بل ظهر الكفر عياناً بلا غشاء بها وإن غلام أحمد هو من الضآلين وليست له هداية وتوفيقاً لأن الضآلين ليس لهم طريقاً مستقيماً.

ويقول في آخر قصيدة له في إسراء النبي صلى الله عليه وسلم:

ومن عضّ فيـه هنات تفلسـف

على جرف هار يقارف أن يردى

كمن كان من أولاد مأجوج فادعى

نبوتـه بالغي والبغي والعدوى

ومن يتبع في الدين أهواء نفسه

على زيغه فليعبد اللات والعزى[315]

وفي الأبيات التالية ينادي الشيخ أنور الأمة الاسلامية ليدافع دينهم ويحارب بهذه الطائفة.

---

314. أنور شاه كشميري: "ضرب الخاتم في حدوث العالم"، ط. المجلس العلمي دابهيل 1996، ص. 5. أزهر شاه قيصر : "حيات أنور" ص 89

315. محمد راشد الندوي: "المنتخب من الشعر العربي" ط. قسم اللغة العربية وادابها، علي غراه، 1990، ص 251

ألا يا عباد الله قوموا وقوّموا

خطوباً ألمت ما لهن يدان

وقد كاد ينقضّ الهدى ومناره

وزحزح خير ما لذلك تدان

يسب رسولاً من أولي العزم فيكم

تكاد السماء والأرض تنفطران

وحارب قوم ربّهم ونبيّهم

فقوّموا لنصر الله إذ هو دان

وقد عيل صبري في انتهاك حدوده

فهل ثم داع أو مجيب آذان

وإذ عزّ خطب جئت مستنصراً بكم

فهل ثم غوث يا لقوم يداني

لعمري لقد نبهت من كان نائماً

وأسمعت من كانت له أذنان

وناديت قوماً في فريضة ربهم

فهل من مصير لي من أهل زمان

دعوا كل أمر واستقيموا لما دهى

وقد عاد فرض القوم عند عيان[316]

ثم هو يتوجه إلى بيان مراتب الأنبياء والرسل ويتعين لهم كما هم يستحقون.

تحطم في جمع الحطام ونيلها

وبسط المنى في حاصلات مجان

---

[316]. أنور شاه كشميري: "عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام"، ط. مكتبة الرحيمية ديوبند 1352هـ ص. 412. البنوري : "نفحة العنبر" ص 206

وكل ضيع أو دهاء فعنده

لنيل المنى بالطرد والدوران

ومعجزه منكوحة فلكية

يصادفها في رقية الكروان

ومنى له الشيطان فيها بموجبه

رفاء ووصلاً خطبة وتهان

يهم بأمر العيش لو يستطيعه

وقد حيل بين العير والنزوان

ففضحه ربّ السماء بحوله

وقوته والله فيه كفاني[317]

ثم يتطرق الشيخ إلى ذكر من ينطق كمثل هذا ويتبع هواء فما يكون مثواه:

ألا فاستقيموا واستهيموا لما دهى

فموت عليه أكبر الحيوان

وعند دعاء الرّب قوموا وشمّروا

حنانا عليكم فيه أثر حنان

وكن راجياً أن يظهر الحق وارتقب

لأولاد بغي في السهيل يمان

وللحق صدع الصديع وصولة

وحزب وطعن فوق كل بنان

وآخر دعوانا أن الحمد للذي

لنصرة دين الحق كان هداني

---

317. كوندو : "الأنور"، ص 191.

وصلّ على ختم النبيين دائماً

وسلم مادام اعتلى القمران[318]

وكان يقول الشيخ الشاه الكشميري، لما انتشرت هذه الفتنة ولا تزال تترقى الطائفة كانت لا تأخذني في المضجع نومة كمداً واضطراباً من هذه الرزية الدهياء، فأقلقتني جداً مخافة أن يقع بها ثلمة في الدين يعتاد سدادها، وغلبني الأرق والسهاد حتى مضت على ستة شهور كاملة في هذه الحالة المقلقة، حتى ألقى الله تعالى في قلبي أستبيد شوكتها وتضعف صولتها، فشفى الله قلبي بعد هذه البرهة حتى اطمأنت نفسي وسكن جاشي ويشير الشيخ إلى هذه الواقعة في بعض قصائده العربية والفارسية. ولما ألف الشيخ أنور شاه كتابه ".عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام" قال : أرجو أن يشفع لي سيدنا عيسى بهذه الرسالة.[319]

---

[318]. مجلة "الداعي" عدد 8، 2002، ص 31

[319]. البنوري :"نفحة العنبر" ص 204

خاتمة الكتاب

بحمد الله سبحانه وتعالى وعونه اختتم الكتاب وعُرف من خلال الأبواب والفصول التابعة له حول موضوع 'الحديث النبوي والأدب العربي عند العالم الهندي أنور شاه الكشميري' ومساعي أساتذة الحديث في المدارس الإسلامية، وذلك بفضل عناياتهم بالقرآن والإعتصام بالسنة.

حيث كانت حركة دراسة الحديث ضئيلة بل كانت أصبحت بَطيئة جداً في مدينة دلهي وجوارها خاصة وسائر بلاد الهند عامة، حيث إن مدينة دلهي لا تزال تُزعم مركز الدراسة والعلوم لاشتغال العلماء بالفقه وأصوله وبعلوم الفلسفة، فجاء الشاه ولي الله الدهلوي وتكّرس نفسه على نشر السنة درساً وتأليفاً أكثر من نصف قرن بكل جد ونشاط وإخلاص؛ بحيث اشتهر بين الناس، وهذا، لا يصدقه الواقع إلا أن جهوده المشكورة أثرت أثراً كبيراً في نشر السنة في شمال الهند ومنطقة دلهي خاصة، فتغلغل إليه طلاب الحديث من جميع نواحي الهند واعترفوا ببحار علومه، وتخرّجوا عليه. ثم ساهموا في خدمة علم الحديث.

أولاً كنّا قد اقترحنا العنوان لهذا الكتاب: 'أنور شاه الكشميري: من حيث أستاذ الحديث، الشاعر العربي وحملته ضد الأحمدية'. ولكننا عندما قدمنا هذا الاقتراح لدى أساتذتنا وتشاورنا بعضا من زملائنا فإنهم لم يوافقوا على هذا الاقتراح، بل قاموا بتغييره كله وفضّلوا على أن يكون الموضوع شاملا وجامعا ومانعا وأخيرا تمت الموافقة على أن يكون العنوان 'الحديث النبوي والأدب العربي عند العالم الهندي محمد أنور شاه

الكشميري'. وفي هذا الصدد قد ساعدَنا الأخ النبيل والصديق الحميم الدكتور خلدون سعيد صبح، السوري الجنسية وحالياً يقوم بأداء واجباته كأستاذ زائر في مركز دراسات اللغة العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، بدلهي، في انتخاب العنوان المناسب للكتاب فقام بتصليحه ووافق على العنوان المنتخب أعلاه. غير أنه كنا قد قدمنا أطروحة الدكتوراه بعنوان 'مساهمة أنور شاه في الحديث والأدب العربي' حيث قمنا بالبحث والتحقيق به فإنه يجب أن يشمل العنوان العموم بدلاً عن الخصوص عنه. ولكن المحتويات التي طرحناها تحت العنوان السابق بقيت كما هي راحت.

إنه لا شكَ في أن المواد والموارد لهذا الكتاب تتواجد في كمية وافرة حيث تتوفر مكتبات الجامعات الأهلية والمدارس الإسلامية ولكنها باللغة الأردية. إذ نحن اخترنا العنوان، لم يتم البحث مثله كهكذا حتى تاريخه ولا فخر. وفي هذا الصدد، سافرنا مرات عدة إلى مدرسة دار العلوم بديوبند وحصلنا على معلومات كافية ومشورات قيمة وآراء نافعة من الشيخ أنظر شاه الكشميري رحمه الله، نجل الشيخ أنور شاه الكشميري الذي قضى نحبه في سنة 2008، وشيخ الحديث بمدرسة دار العلوم بديوبند (وقف) سابقاً،{نوّر الله مرقده} وحفيده الشيخ أحمد خضر الموقر أستاذ الحديث بمدرسة ديوبند (وقف)، نحن نشكر لهما لمساعدتهما القيمة في هذا الصعيد. كما وتوفرت مكتبة مدرسة دار العلوم ديوبند الرئيسية معلومات مفيدة من الكتب الأصلية والأساسية التي صنفها الشيخ أنور شاه الكشميري حول المواضيع المختصة.

كما أننا قمنا بالمحاولة لالقاء الضوء على شعره في مديح النبي ورثائه لشيوخه في الطريقة الصوفية. وفي هذا السياق، يذهب أنور شاه إلى تقليد شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس وغيره، حيث يبدأ الشاعر من : كلمة قفا نبك، فحذى الشيخ حذوه في شعره قائلاً قفا....، على كل حال إنه اهتم في شاعريته اهتماماً تاماً بالأوزان والقوافي والبحور.

كذلك ناقشنا الموضوع مع عملاء مركز بنيودلهي للطائفة المسمّاة بالأحمدية الواقعة بجوار جامعة همدرد، إذ لدينا باباً كاملاً حول الأحمدية ومعتقداتها الأساسية، وكافح الشيخ أنور شاه الكشميري هذه الفئة ومعتقداتها، وتشمل هذه المكافحة موضوع الباب الذي ناقشناه في هذا الكتاب، ومعتقدات الفرقة الأحمدية واضحة في كتبها وأحاديثها.

والحقيقة، أن هذا الكتاب يدور حول مناهج دراسة الحديث واتجاهاتها في القرنين قمنا بالإشارة إليهما، خاصة المنهج الذي اختار الشيخ أنور شاه الكشميري، متأثراً بالأساليب وردت له من الشاه ولي الله الدهلوي بسلاسل العلماء والمحدثين Genealogically. ومنهج أنور شاه وأسلوبه في دراسة الحديث الذي يمتاز له من العلماء الآخرين، هو إعتصامه بتقليد الحنفية وتثبيته. ولأن القاري يريد أن يخلص نفسه من الأساليب المتقدمة بنتيجتين لا اختلاف عليهما، وهما: أن مناهج دراسة الحديث التي اقترنت بالأساليب القديمة قد تغيرت في العصور المتأخرة. ولاسيما الاتجاهات في علم الحديث. وأن مشكلات الأساليب لا تزال كما كانت أكبر من جهود المحدثين وأضخم من الحلول التي انتهت إليها تلك الجهود.

والله نسأل أن ينفع بهذا الكتاب ويجعله في ميزان حسناتنا وهو المستعان والهادي إلى سواء السبيل.

المراجع والمصادر

الكتب العربية

1. الأسعدي، عبيد الله	"دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية، حركة دعوية إصلاحية، مؤسسة تعلمية تربوية"، أكاديمية شيخ الهند، دار العلوم ديوبند، 2000م.
2. البرني، عبد الرحمن	"علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، أكاديمية شيخ الهند، دار العلوم ديوبند،1998م.
3. البنوري، محمد يوسف	نفحة العنبر في هدية الشيخ أنور"، بيت الحكمت ديوبند، 1993م.
4. الحسني، أبو الحسن	"المسلمون في الهند"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، 1998م.
5. الحسني، أبو الحسن	"الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، 1986م.
6. الحسني، أبو الحسن	"أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، 1995م.
7. الحسني، أبو الحسن	أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، 1995م.
8. الحسني، أبو الحسن	"رجال الفكر والدعوة"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، 1993.
9. الحسني، عبد الحيء	"نزهة الخواطر" المجلد5 والمجلد8، دار عرفات راي بريلي،1984م.
10. الحسني، عبد الحيء	"الهند في العهد الإسلامي"، مجمع الإمام احمد بن عرفان، دار عرفات راي بريلي، 2001م.
11. الحسني، محمد رابع	"الشهيد احمد بن عرفان"، المجمع العلمي للبحث والنشر لكناؤ، 2002م
الدهلوي، شاه ولي الله	حجة الله البالغة" المجلدالأول، مكتبة رشيدية دلهي.
12. زبيد أحمد	"مساهمة الهند وباكستان في الأدب العربي"، 1968م.
13. السباغي، محمد إسماعيل	"حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد"، إدارة البحوث الإسلامية

	بنارس، 1989م.
14. شجاعت علي، عبد الحق	"الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية بعد استقلال 1947م"، المعهد الديني دلهي، 1989م.
15. الفاروقي، زبير أحمد	"مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي"، دار الفاروقي نيودلهي، 1990م.
16. الفريواني، عبد الرحمن	"جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة"، إدارة البحوث الإسلامية، بنارس، 1986م.
17. الفريوائي، عبد الرحمن	"جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، إدارة البحوث الإسلامية، بنارس، 1986م.
18. الكشميري، أنور شاه	"ضرب الخاتم على حدوث العالم"، المجلس العلمي، دابهيل، 1412هـ.
19. الكشميري، أنور شاه	"فصل الخطاب في مسئلة أم الكتاب"، المجلس العلمي، دابهيل، 1990م.
20. الكشميري، أنور شاه	"تحية الإسلام"، المجلس العلمي، دابهيل،1413هـ.
21. الكشميري، أنور شاه	"كشف الستر"، المجلس العلمي، دابهيل،1991م.
22. الكشميري، أنور شاه	"عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام"، المجلس العلمي، دابهيل، 1988م.
23. الكشميري، أنور شاه	"إكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين"، المجلس العلمي، دابهيل، 1413هـ.
24. الكشميري، أنور شاه	"مشكلات القرآن"، المجلس العلمي، دابهيل، 1412هـ.
25. الكشميري، أنور شاه	"العرف الشذي على جامع الترمذي"، مكتبة المدنية ديوبند، 1994م.
26. الكشميري، أنور شاه	"التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، مكتبة المدنية ديوبند، 1977م.
27. الميرتي، بدر عالم	فيض الباري على صحيح البخاري" المجلد4،1،2،3، المكتبة، الأشرفية ديوبند،2000م
28. الندوي، عبد الحليم	مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند"، مطبعة موري، المحدودة مدراس، 1986م.
29. الندوي محمد راشد	"منتخب من شعر العرب"، قسم اللغة العربية، جامعة عليكراه، الإسلامية، 1990م.
30. صديق حسن خان	"الحطة في ذكر الصحاح الستة، دراسة وتحقيق علي حسن الحلبي"، ط. دار الجيل،

	بيروت 1968
31. محمد نعمان الدين ندوي	ابو الحسن علي ندوي: "الروائع والبدائع في البيان النبوي"، ط. دار الصحوة للنشر، بيروت 1996
32. غوري، عبد الماجد	غوري، عبد الماجد: "السنة النبوية: حجيتها وتدوينها؛ دراسة عامة"، ط. دار ابن كثير، القاهرة 2009
33. غوري، عبد الماجد	"المدخل إلى دراسة علم الحديث"، ط. دار ابن كثير للطباعة والشنر والتوزيع، القاهرة 2010
34. غوري، عبد الماجد	"علم مصطلح الحديث: نشأته وتطوره وتكامله"، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2007
35. شقير، شفيق بن عبد	"موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار"، ط. المكتب الإسلامي، القاهرة 1998
36. نور الدين عتر	"في ظلال الحديث النبوي: دراسة فكرية اجتماعية وأدبية جمالية معاصرة"، ط. 1999
37. يوسف زيدان وعلي بن حزم ابن النفيس	"المختصر في علم أصول الحديث النبوي"، ط. الدار المصرية اللبنانية، بيروت 1991
38. أحمد محمد عبد الله	"مشاهد القيامة في الحديث النبوي"، ط. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991
39. أحمد زكريا الغوري	"مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي"، ط. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010
40. حبيب الرحمان الأعظمي	"الحاوي في رجال الطحاوي"، ط. مكتبة دار العلوم ديوبند، 1995
41. محمد عبد الله أبو صعيليك	"جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة"، ط. دار القلم، دمشق 1995
42. عبد الفتاح أبو غده	"تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية"، ط. مكتبة المطوعات الإسلامية، كراتشي، 1997
43. أرحيلة ، عباس	"حركات الإصلاح في العالم الإسلامي"، منشور في موقع رسمي على الانترنت

	للكاتب، 2009
44. النجار، فهمي قطب الدين	"الشيخ السرهندي من رواد الصحوة الإسلامية في الهند"، ط. شبكة الألوكة الثقافية الإلكترونية
45. المودودي، أبو الأعلى	"تجديد الدين وإحياءه"، ط. دار الفكر الحديث لبنان، الطبعة الثانية 1967
46. الندوي، مسعود عالم	"تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند" ط. دار العربية بيروت، 1986
47. الندوي ، محمد إجتباء	الأمير نواب صديق حسن خان، حياته وآثاره"، ط. دار ابن كثير 1999
48. عجلان ، عبد الله ابن محمد	"حركة التجديد والاصلاح في نجد في العصر الحديث"، ط. مكة 1992
49. عبد الوهاب خليل الرحمان	"الحركة السلفية في الهند"، لاهور 1983
50. أحمد، صلاح الدين مقبول	" دعوة شيخ الإسلام إبن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة ومواقف الخصوم منها"، در ابن الأثير، القاهرة 1996
51. ابو المكرم بن عبد الجليل	"دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها" ط. مكتبة السلام الرياض، 2000
52. عبد الباقي محمد فؤاد	"مفتاح كنوز السنة"، في مقدمته أعرب رشيد رضا عن رأيه حول علماء الهند وخدماتهم.
53. أجمل ، محمد	"الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي ومآثره العلمية"، ط. روز وورد بوك، نيودلهي 2012
54. السلفي ، محمد مستقيم	السلفي ، محمد مستقيم: "جماعة اهل حديث كى تصنيفى خدمات"، ط. الجامعة السلفية بنارس 2002
55. الحسني ، محمد الرابع	"ندوة العلماء: فكرتها ومنهاجها"، ط. مؤسسة الصحافة والنشر، لكناو-الهند 2001
56. القرضاوي، يوسف	"ندوة العلماء بالهند ودورها المعاصر"، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، 2012
57. الندوي ، عبد الحلي	"مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ط. مطبعة موري المحدودة، مدراس 1986

الكتب الإنكليزية

1. Ahmad, Moenuddin	A History of the Frāidi Movement in Bengal, 1987.
2. Chandra, Bipan	India's struggle for Independence, Penguin Books, New Delhi, 1988
3. Desai, Z. A.	Centres for Islamic Learning in India, Publications division, Ministry of Information and Broadcasting Government of India, New Delhi, 1978.
4. Gopal, Ram	Indian Muslim, A Political History, Bombay, 1987.
5. Metcalf, Barbara Daly	Islamic Revival in British India, Deoband 1800-1900, Princeton University Press, New York, 1982.
6. Mircen Eliade (ed):	The Encyclopedia of Religion, Mcmilan publishing campany, New York & London. 1978.
7. Mohammed Mujeeb	The Indian Muslim, London, 1967.
8. Sarkar, Sumit	Modern India, (1855-1947), Mcmilan India Limited, New Delhi, 1995.
9. Shan Mohammed	Successors of Sayyid Ahmad Khan, Idarae Adabiat, Delhi, 1981.
10. Tarachand	Influence of Islam on Indian Culture, Allahabad, 1963.
11. Britanica Concise	Featuring a concise edition of Encyclopedia Britannica, Marriam Webster's collegiate dictionary and editorially selected website.
12. Singh, Rajendrapal, Rana, Gopal	"Teacher Education in Turmoil: Quest for solution", Sterling Publishers Pvt. Ltd. New Delhi-2002
13. Engineer, Asghar Ali	"They too fought for India's freedom: The role of minorities", Hope India Publications, New Delhi 2005.
14. Sarkar, Sumit	"Modern India (1855 - 1947), Mcmilan India Limited, New Delhi, 1995
15. Eliade, Mircen	(ed): "The Encyclopedia of Religion", Mcmilan Publishing Company, New York & London.

المجلات العربية

1. البعث الإسلامي	عدد 18، ربيع الثاني 1396هـ ندوة العلماء لكناؤ، مقال للشيخ معراج الحق حول أوضاع المسلمين في الهند، رئيس التحرير، سعيد الأعظمي.
2. ثقافة الهند:	المجلد 52. العدد1، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية 2001م، مقال لعبد الماجد القاضي تحت عنوان: "وقفة مع الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري ومدائحه النبوية باللغة العربية"، رئيس التحرير د/زبير أحمد الفاروقي.
3. الداعي:	العدد الخاص رقم 1، 2، 3، 4، آذار – نيسان 1980م، صادرة عن دار العلوم ديوبند، رئيس التحرير، بدر الحسن القاسمي.
4. الداعي:	عدد 5، أغسطس 2000م دار العلوم ديوبند، مقال للشيخ أصغر حسين ديوبندي، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.
5. الداعي:	عدد 2، أيار 2001م، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.
6. الداعي:	عدد 5، تموز – آب، 2001م، مقال للأستاذ ياسين مظهر صديقي حول الشاه ولي الله، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.
7. الداعي:	عدد 6، آب – أيلول 2001م، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.
8. الداعي:	عدد 8، تشرين الأول وتشرين الثاني 2002م، مقال للسيد صدر الحسن الندوي حول الشيخ أنور شاه الكشميري، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.

97

